AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

E12.78
.16fA

كتاب الفرج بعد الشدة

تأليف

القاضي أبي علي المحسن التنوخي

٩٧٨٤

طبع على نفقة محمود افندي رياض

وتصحح

بمعرفة الاستاذ الفاضل الشيخ محمد الزهري الغمراوي

« حقوق الطبع محفوظة »

29682

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٣

قد عثرت على نسخة هذا الكتاب بمكتبة المرحوم جدي تي عانى كثيراً اتخاذها ومنها سبق استخراج كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ومرو الذهب للمسعودي وغيرهما فأحببت اظهارها للجمهور خدمة للا وبعد مراجـ على نسخة أخرى موجودة في الكتبخانة الخديوية صار طبعها وعـ آن يحوز ذل رضا اهل الفضل لاشرع في طبع غيره من الكتب النادرة وعلى الله اتكال

محمود باش

ترجمة المؤلف نقلاً عن تاريخ ابن خلكان

هو أبوعلي المحسن بن ابي القاسم علي بن محمد بن ابي الفهم داود بن ابراهـ تميم التنوخي ولد ليلة الاحد لاربع بقين من شهر ربيع الاول سنة سبع وعشـ وثلاثمائة بالبصرة وسمع بها من ابي العباس الاشرم وابي بكر الصولي والحسين محمود بن عثمان ونزل بغداد وأقام بها وحدث الى حين وفاته وكان سماعه صحـ واول سماعه الحديث في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وكان من العلماء الـ والشعراء المجيدين وفيه يقول ابوعبد الله بن الحجاج الشاعر

اذا ذكر القضاة وهم شيوخ ... تخيرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم اصفعه الا ... بحضرة سيدي القاضي التنوخي

وله ديوان شعر اكبر من ديوان ابيه ومن مؤلفاته كتاب الفرج بعد الـ وكتاب نشوان المحاضرة وكتاب المستجاد من فعلات الاجواد وتولى القضاء قبل ابي السائب عتبة بن عبيد الله في بابل والقصر وما والاهما في سنة تسع وار وثلاثمائة ثم ولاه الامام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وايذج ورامهرمز وتقلد ذلك اعمالاً كثيرة في اماكن مختلفة ومن شعره قوله

قل للمليحة في الخمار المذهب ... افسدت نسك اخي التقى المترهب
نور الخمار ونور خدك تحته ... عجباً لوجهك كيف لم يتلهب
وجمعت بين المذهبين فلم يكن ... للحسن عن مذهبهما من مذهب
فاذا اتت عين لتسرق نظرة ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

كتب رحمه الله تعالى الى بعض الرؤساء في شهر رمضان

نلت في ذا الصـيام ما ترتجيـه وكفـاك الاله ما تتقيـــه
انت في الناس مثل شهرك في الاشـــهر بل مثـل ليـلة القدر فيه

من شعره في بعض المشائخ وقد خرج ليستسقي وكان في السماء سحاب فلما
ت السماء فقال ابو علي

رجـا لنستسقي بيمن دعائه وقد كاد هدب الغيم ان يلحق الارضا
سما ابتدا يدعو تكشفت السما فـا تم الا والغمام قـد انقضـا

كانت وفاته رحمه الله تعالى ببغداد ليلة الاثنين لخمس بقين من المحرم سنة اربع
ن وثلاثمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب

الحمد لله الذي جعل بعد الشدة فرجا * ومن الضيق سعةً ومخ
ولم يخل محنة من منحة * ولا نقمة من نعمة * ولا نكبة ورزيه * من
وعطيه * وصلى الله على سيد المرسلين * وخاتم النبيين * وعلى آله
الطاهرين * أما بعد فاني لما رأيت أبناء الدنيا متقلبين فيها بين خير
ونفع وضر * ولم يكن لهم في أيام الرخاء * أنفع من الشكر والثناء *
أيام البلاء * أنجع من الصبر والدعاء * لان من جعل الله عمره أطول من
فانه سيكشفها عنه بطوله ورأفته * فيصير ماهو فيه من الاذى * كما قا
من مضى ويروى للاغلب العجلي أوغيره

الغَمَرَاتُ ثُمَّ يَنْجَلِينَا ثُمَّتَ يَذْهَبْنَ فَلَا يَجِينَا

وطوبى لمن وفق في الحالين * للقيام بالواجبين * وجدت من
يفزع اليه * من أناخ الدهر بمكروهه عليه * قراءة الاخبار التي تن
تفضل الله عز وجل على من حصل قبله في محصله * ونزل به م
ومعضله * بما أتاحه الله تعالى له من صنيع أسهل به الارزاق * ومعو
بها الخناق * ولفظ غريب نجاه * وفرج عجيب أنقذه وتلافاه *
خفيت من ذلك الاسباب * ولم يبلغ ماحدث منه الفكر والحساب * فان
الممتحن بذلك تشحيذ بصيرته للصبر * وتقوية عزيمته على التسليم
كل أمر * وتصويب رأيه في الاخلاص * والتفويض الى من بيد
النواص * وكثيرًا اذا علم الله تعالى من وليه وعبده * انقطاع آماله

عنده * لم يكله الى سعيه وجهده * ولم يرض له باحتماله وطوقه * ولم يخله من عنايته ورفقه * وأنا بمشيئة الله تعالى جامع في هذا الكتاب * أخبارًا من هذا الجنس والباب * أرجو به انشراح صدور ذوي الالباب * عند ما يدهمهم من شدة ومصاب * اذ كنت قد قاسيت من ذلك في محن دفعت اليها ما يحنو بي على الممتحنين * ويحدو بي على بذل الجهد في تفريج غموم المكروبين * وكنت وقفت في بعض محيي على خمس أو ست أوراق جمعها أبو الحسن علي بن محمد المدايني وسماها كتاب الفرج بعد الشدة والضيق وذكر فيها أخبارًا تدخل جميعها في هذا المعنى فوجدتها حسنة ولكنها لقلتها نموذج صغير ولم يأت بها مؤتلفة * ولا سلك بها سبيل الكتب المصنفة * ولا الابواب الواسعة المؤلفة * مع اقتداره على ذلك ولا أعلم غرضه في التقصير ولعله أراد أن ينهج طريق هذا الفن من الاخبار * ويسبق الى فتح الباب فيه بذلك المقدار * وينقل جميع ماعنده فيه من الآثار * ووقع الى كتاب لابي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة في نحو عشرين ورقة والغالب فيه أحاديث عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وأخبارٌ عن الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى يدخل بعضها في معنى طلبته * ولا يخرج عن قصده وبغيته * وباقيها أحاديث وأخبار في الدعاء والصبر والارزاق والتوكل والتعرض للشدائد بذكر الموت وما يجري مجرى التعازي ويتسلى به عن طوارق الهموم * ونوازل الاحداث والغموم * ويستحق عليها من الثواب في الاخرى * مع التمسك بالحزم في الاولى * وهو عندي خال من ذكر فرج بعد شدة غير مستحق أن يدخل في كتاب مقصور على هذا الفن وضمن الكتاب نبذًا قليلة من الشعر وروى فيه شيئًا يسيرًا جدًا مما ذكره المدايني الا انه جاء به بلا اسناد له الا عن المدايني وقرأت أيضًا كتابًا للقاضي ابي الحسين عمر بن القاضي أبي عمرو محمد بن يوسف القاضي رحمهم الله في مقدار خمسين ورقة قد سماه كتاب الفرج بعد الشدة أودعه اكثر ما رواه

المدايني وجمعه وأضاف اليه أخباراً أخر أكثرها حسنة وفيها ماهو غير مماثل عندي لما عناه * ولا مشاكل لما نحاه * وأتى في أثنائها بأبيات شعر يسيرة * من معادن لامثالها جمة كثيرة * ولم يلم بما أورده ابن أبي الدنيا ولا أعلم أتعمد ذلك أم لم يقف على الكتاب ووجدت أبا بكر بن أبي الدنيا والقاضي أبا الحسين لم يذكرا للمدايني كتاباً في هذا المعنى فان لم يكونا عرفا هـذا فهو ظريف وان كانا تعمدا ترك ذكره تثنيفاً لكتابيهما وتغطية على كتاب الرجل فهو أظرف ووجدتهما قد استحسنا استعارة لقب كتاب المدايني على اختلافهما في الاستعارة * وحيدهما عن ان يأتيا بجميع العبارة * فتوهمت أن كل واحد منهما لما زاد على قدر ما أخرجه المدايني اعتقد انه اولى منه بلقب كتابه فان كان هذا الحكم ماضياً * والصواب به قاضيا * فيجب أن يكون من زاد عليهما أيضاً فيما جمعاه * أولى منهما بما تعبا في تصنيفه ووضعاه * فكان هذا من أسباب نشاطي لتأليف كتاب يحتوي من هذا الفن على اكثر مما جمعه القوم وابين للمعنى واكشف وأوضح وان خالف مذهبهم في التصنيف * وعدل عن طريقهم في الجمع والتأليف * فانهم نسقوا ما أودعوه كتبهم جملة واحدة وربما صادفت مالاً من سامعيها * أو وافقت سآمة من الناظرين فيها * فرأيت أن انوع الاخبار واجعلها ابواباً * ليزداد من يقف على الكتب الاربعة بكتابي من بينها اعجاباً * وان أضع ما في الكتب الثلاثة في مواضعه من ابواب هذا الكتاب الا ما اعتقد انه يجب ان لا يدخل فيه وأن تركه وتعديه اصوب واولى * والتشاغل بذكر غيره مما هو أدخل في هذا المعنى ولم يذكره القوم أليق واحري * وأن أعزو ما اخرجه مما في الكتب الثلاثة الى مؤلفيها تأدية للامانة * واستيثاقاً في الرواية * وتبييناً لما آتي به من الزيادة * وتنبيها على موضع الافادة * فاستخرت الله عز وجل ذكره وبدأت بذلك في هذا الكتاب ولقبته بكتاب (الفرج بعد الشدة) يتمنا لقارئه بهذا المقال * وليستسعد في ابتدائه بهذا الفال * ولم استبشع اعادة هذا اللقب * ولم احتشم تكريره على ظهور الكتب * لانه قد صار جارياً مجري تسمية رجل ابنه

محمدًا او محمودًا او سعدا او مسعودًا وليس لقائل مع التداول لهذين الاسمين ٭ ان يقول لمن سمي بهما الآن انك انتحلت هذا الاسم او سرقته ووجدتني متى اعطيت كتابي هذا حقه من الاستقصاء ٭ وبلغت به حده في الاستيفاء ٭ جاء في الوف اوراق لطول ما مضى من الزمان وان الله سبحانه وتعالى بحكمته أجرى فيه امور عباده منذ خلقهم والى ان يقبضهم على التقلب بين شدة ورخاء ورغد وبلاء واخذ وعطاء ومنع وصنع وضيق ورحب وفرج وكرب ٭ علمًا منه تعالى بعواقب الامور ٭ ومصلحة الكافة والجمهور ٭ فاخبار ذلك كثيرة المقدار ٭ عظيمة التردد والتكرار ٭ وليست كلها بمستحسنة ولا مستفادة ٭ ولا مستطابة الذكر والاعادة ٭ فاقتصرت على احسن ما رويته من هذه الاخبار ٭ واصح ما بلغني في معانيها من الآثار ٭ وملح ما وجدت في فنونها من الاشعار ٭ وجعلت قصدي الى الايجاز والاختصار ٭ واسقاط الحشو وترك الاكثار وان كان المجتمع من ذلك جملة يستطيلها الملول ٭ ولا يتفرغ لقراءتها المشغول ٭ وانا راغب الى من يصل كتابي هذا اليه وينشط للوقوف عليه ٭ ان يصفح عما يعثر به من زال ٭ ويصلح ما يجد فيه من خطأ او خلل ٭ والله اسأل السلامة من المعاب ٭ والتوفيق لبلوغ المحاب والارشاد الى الصواب ٭ ويفعل الله ذلك بكرمه انه جواد وهاب

الباب الاول

فيما انبأ الله تعالى به في القرآن من ذكر الفرج بعد البؤس والامتحان

قال الله تعالى وهو اصدق القائلين وقوله الحق اليقين بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ٭ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ٭ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٭ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا فَإِذَا فَرَغْتَ

فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ فهذه السورة كلها مفصحة باذكار الله عز وجل رسوله ﷺ صلى الله عليه وسلم منته عليه في شرح صدره بعد الغم والضيق ووضع وزره عنه وهو الاثم بعد انقاض الظهر وهو الثقل الذي اثقله لنقض العظام كما ينتقض البيت اذا صوت للوقوع ورفع جل جلاله ذكره بعد ان لم يكن بحيث جعله الله تعالى مذكورا معه والبشارة له في نفسه عليه الصلاة السلام وفي امته بان مع اليسر الواحد يسرين اذا رغبوا الى الله تعالى ربهم واخلصوا له طاعاتهم ونياتهم وقال الله تعالى سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَقَالَ جل ثناؤه أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ إلى قوله أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فاخبر الله تعالى ان الذي مر على القرية استبعد ان يكشف الله عنها وعن اهلها البلاء بقوله أني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مئة عام ثم بعثه الى آخر القصة فلا شدة اشد من الموت والخراب ولا فرج افرج من الحياة او العمارة فاعلمه الله تعالى بما فعله به انه لا يجب ان يستبعد فرجا من الله وصنعا كما عمل به وانه قادر على ان يحيي القرية واهلها كما احياه الله تعالى فأراه بذلك آياته ومواضع صنعه وقال جل ثناؤه أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وقال سبحانه وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وقال جل من قائل هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

حتَّى إذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ وقال جلَّ من قائل قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ وقال جلَّ ثناؤه وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ وقال جلَّ ذكره وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ وقال جلَّ من قائل أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ وقال تعالى وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ وقال تعالى وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ وقال تعالى وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي

وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ وقال تعالى وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ وقال عزَّ من قائل الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ

وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال عجباً لمكروب غفل عن خمس وقد عرَّف ما جعل لمن قالهن قوله وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ الى قوله هُمُ الْمُهْتَدُونَ وقوله تعالى وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وقوله تعالى وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ وقوله الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ الى قوله وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وقوله تعالى وَأَيُّوبَ (١) إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ الى قوله وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ

(١) وفي نسخة بدل قوله تعالى وأيوب اذ نادى قوله تعالى وما كان قولهم الاَّ أن قالوا ربَّنا اغفر لنا ذُنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحبُّ المحسنين

وروي عن الحسن البصري رضي الله عنه أيضاً أنه قال من لزم قراءة هذه الآيات في الشدائد كشفها الله تعالى عنه لانهُ قد وعد وحكم فيهن بما جعله لمن قالهن وحكمه تعالى لا يبطل ووعده لا يخلف وقد ذكر تعالى فيما قصه من أخبار الانبياء شدائد ومحناً استمرت على جماعة منهم وضروباً جرت عليهم من البلاء فأعقبها بفرج وتخفيف * وتداركهم منها بصنع جليل لطيف * فأول ممتحن منهم آدم عليه السلام أبو البشر فان الله جل جلاله خلقه في الجنة وعلمه الاسماء كلها وأسجد الملائكة له ونهاه عن اكل الشجرة فوسوس له الشيطان فكان منه ماقاله الرحمن في محكم القرآن وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى هذا بعد أن أهبطه من الجنة الى الارض وأفقده لذيذ ذلك الخفض * فانتقضت عادته * وغاظت محنته * وقتل أحد ابنيه الآخر وكانا أول أولاده فلما طال حزنه وبكاؤه * واتصل استغفاره ودعاؤه * رحم الله تذلله وخشوعه * واستكانته ودموعه * فتاب عليه وهداه وكشف مابه ونجاه فكان آدم صلى الله عليه وسلم أول من دعا فأجيب * وامتحن فأثيب * وخرج من ضيق وكرب * الى سعة ورحب * وسكن همومه * ونسي غمومه * وأيقن بتجديد الله تعالى له النعم * وازالته عنه النقم * وانه تعالى اذا استرحم رحم فأبدله الله تعالى هذا بتلك الشدائد * وعوضه بدل الابن المفقود والابن العاق الموجود نبي الله شيثاً عليه السلام وهو أول أولاده البررة بالوالدين * ووالد النبيين والصالحين وأبو الملوك الجبارين وجعل ذريته هم الباقين وخصهم من النعم بما لايحيط به وصف الواصفين وقد جاء في القرآن * من الشرح لهذه الجملة والبيان * مالا يحتمل ذكره هذا المكان * وقد روي فيه من الاخبار * مالا وجه للاطالة به والاكثار * ثم نوح عليه السلام فانه امتحن بخلاف قومه عليه وعصيان ابنه له والطوفان العام وركوب السفينة وهي تجري بهم في موج كالجبال واعتصام ابنه بالجبل وتأخره عن الركوب معه فقاسى نوح بذلك الشدائد فأعقبه الله تعالى الخلاص من تلك الاهوال بالتمكين له في الارض

و بغيض الطوفان وجعله شبه آدم عليه الصلاة والسلام لانه أنشأ منه ثانياً جميع البشر كما انشأهم اولاً من آدم فلا ولد لآدم الا من نوح عليه الصلاة والسلام * قال الله تعالى وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ ٱلْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ * وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ثم ابراهيم صلى الله عليه وسلم وما وقع له من كسر الاصنام وما لحقه من قومه من محاولة احراقه فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً . وقال تعالى وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ثم اقتصَّ قصتهُ في قوله تعالى قَالُوا حَرِّقُوهُ وَٱنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ الى قوله تعالى وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وما كلفه الله تعالى اياه من مفارقة وطنه بالشام لما غارت عليه سارة من أم ولده هاجر فهاجر بها و بابنه منها اسماعيل الذبيح عليه السلام فأسكنهما بوادٍ غير ذي زرع نازحين بعيدين منه حتى أنبع الله عز وجل لهما الماء . وتابع عليهما النعماء . وأحسن لابراهيم فيهما الصنع . والفائدة والنفع . وجعل لاسماعيل النسل والنبوة والعدد والملك هذا بعد ان كان امر سبحانه وتعالى ابراهيم عليه السلام أن يجعل ابنه اسماعيل لسبيل الذبح قال الله تعالى فيما اقتصه من ذكره في سورة الصافات فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَٱنْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ ٱفْعَلْ مَاتُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ

اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ فلا بلاء أعظم من بلاء شهد الله جل ثناؤه انه بلاء مبين وهو تكليف انسان أن يجعل سبيل الذبح ابنه وتكليفه هو والمذبوح أن يؤمنا ويصبرا ويسلما ويحتسبا فلما أديا ما كلفا من ذلك وعلم الله جل جلاله منهما صدق الايمان ٭ والصبر والتسليم والاذعان ٭ فدى الابن بذبح عظيم وخلصهما من تلك الشدائد الهائلة ٭ ومن هذا الباب قصة لوط عليه السلام لما نهى قومه عن الفاحشة فعصوه وكذبوه وتضيفه الملائكة عليهم السلام فطالبوه بما طالبوه فخسف الله تعالى بهم أجمعين ٭ ونجى لوطاً وأثابه ثواب الشاكرين ٭ وقد نطق بهذا كلام الله العظيم في مواضع من الذكر الحكيم ٭ ويعقوب ويوسف عليهما السلام فقد أفرد الله تعالى بذكر شأنهما وعظم بلواهما وامتحانهما سورة محكمة بين فيها حسد اخوة يوسف له على المنام الذي بشره الله فيه بغاية الاكرام حتى طرحوه في الجب فخلصه الله تعالى منه بمن أدلى الدلو ثم استعبد فألقى الله عز وجل في قلب من صار اليه اكرامه واتخاذه ولداً ثم مراودة امرأة العزيز اياه عن نفسه وعصمة الله له منها وكيف جعل عاقبته بعد الحبس الى ملك مصر وما لحق يعقوب من العمى لفرط البكاء وما لحق اخوة يوسف من التسريق وحبس أحدهم نفسه حتى يأذن له أبوه أو يحكم الله له وكيف أنفذ يوسف عليه السلام الى أبيه عليه السلام قميصه حتى رده الله عز وجل به بصيراً وجمع بينهم وجعل كل واحد منهم بالنعمة مسروراً ٭ وأيوب عليه السلام وما امتحن به من الاسقام وعظم اللاواء ٭ والدود والادواء ٭ وقد جاء القرآن الكريم بذكره ونطقت الاخبار بشرح أمره قال الله تعالى وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ

أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ * ويونس عليه السلام وما اقتص الله عز وجل من قصته في غير موضع من كتابه العزيز ذكر فيها التقام الحوت له وتسبيحه في بطنه وكيف نجاه الله تعالى وأعقبه بالرسالة والصنع قال الله تعالى وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ الى قوله فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ومنها قوله وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ قال بعض المفسرين معنى أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ اي نضيق عليه وهذا مثل قوله تعالى وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ اي من ضيق عليه رزقه ومثل قوله تعالى إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ وقد جاء قَدَرَ في القرآن بمعنى ضيق في مواضع كثيرة ومن هذا قيل للفرس الضيق الخطو فرس أقدر لانه لايجوز أن يهرب من الله تعالى نبي من أنبيائه ومن ظن أن الله تعالى لا يقدر عليه أي لا يدركه وأنه يعجز الله هربا فقد كفر والانبياء عليهم السلام أعلم بالله سبحانه من أن يظنوا فيه هذا الظن الذي هو كفرٌ وقد روي أنه من أدام قراءة وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ الى قوله نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ في الصلاة وغيرها في أوقات شدائده عجل الله له الفرج وأنا أحد من واظبها في نكبة عظيمة لحقتني يطول ذكرها عن هذا الموضع وقد كنت حبست وهددت بالقتل ففرج الله سبحانه

وتعالى عنى وأطلقت في اليوم التاسع من حين قبضت ٥ وموسى بن عمران عليه الصلاة والسلام فقد نطق القرآن بقصصه في غير موضع منها قوله تعالى وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ الى قوله وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فلا شدة أعظم من أن يبتلى الناس بملك يذبح أبناءهم حتى ألقت أم موسى ابنها في البحر ولا شدة أعظم من حصول طفل في بحر فكشف الله سبحانه ذلك عنه بالتقاط آل فرعون له وما ألقاه في قلوبهم من الرأفة عليه حتى استحبوه وحرم عليه المراضع حتى رده الى أمه وكشف عنها الشدة في فراقه وعنه الشدة في حصوله في البحر ومعنى قوله تعالى ليكون لهم عدوًا وحزنًا أي يصير عاقبة أمره معهم الى عداوته لهم وهذه لام العاقبة كما قال الشاعر

لدوا للموت وابنوا للخراب ٥ وكلكم يصير الى ذهاب

وقد علم ان الولادة لا يقصد بها الموت والبناء لا يقصد به الخراب وانما عاقبة الامر فيهما أن يصيرا الى ذلك وعلى الوجه الاول قوله تعالى وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أي عاقبة أمرهم وفعلهم واختيارهم لانفسهم يصيرهم الى جهنم فيصيرون لها لا أن الله جل ثناؤه خلقهم لقصد تعذيبهم بالنار في جهنم عزًا لله تعالى عن الظلم وقال عز وجل في تمام هذه القصة وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ فهذه شدة أخرى كشفها الله تعالى عنه وقال سبحانه وتعالى وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ الى قوله مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ فهذه شدة اخرى لحقته بالاغتراب والحاجة الى الاضطرار في المعيشة والاكتساب

فوفق الله له شعيباً عليه السلام وزوجه ابنته قال الله تعالى في تمام القصة
فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ
مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ثم أخبر الله تعالى في هذه القصة كيف زوجه شعيب ابنته بعد أن
استأجره ثماني حجج وانه خرج بأهله من عند شعيب فرأى النار فمضى ليقتبس
منها فكلمه الله تعالى وجعله نبياً وأرسله الى فرعون فسأله أن يرسل معه أخاه
هارون فشد الله عضده به وجعله نبياً معه فأي فرج أحسن من فرج من أتى
خائفاً هارباً فقيراً قد آجر نفسه ثماني حجج فجوزي بالنبوة والملك قال الله تعالى
وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ
قَاهِرُونَ فهذه شدة اخرى لحقت بني اسرائيل فكشفها الله تعالى عنهم
قال الله تعالى وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَقَالَ
مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا
قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ وقال تعالى وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ
فأخبر تعالى عن صنعه لهم وفلقه البحر لبني اسرائيل حتى عبروه يبساً واغراقه
فرعون لما تبعهم فكل ذلك أخبار عن محن عظيمة انجلت بمنح جليلة لا يؤدي
شكر الله عليها ويجب على العاقل تأملها ليعرف كنه تفضل الله بكشف الشدائد

واغاثته باصلاح كل فاسد لمن تمسك بطاعته .. واخلص في خشيته . واصلح من نيته .. ليسلك من هذه السبيل .. فانها الى النجاة من المكاره اوضح طريق واهدى دليل .. وذكر سبحانه وتعالى في والسماء ذات البروج اصحاب الاخدود وروي قوم من اهل الملل المخالفة للاسلام عن كتبهم أشياء في ذلك فذكرت اليهود ان اصحاب الاخدود كانوا دعاة الى الله تعالى وان ملك بلدهم اضرم لهم نارًا وطرحهم فيها فاطلع الله على صبرهم وخلوص نياتهم في دينهم وطاعتهم له فأمر النار ان لا تحرقهم فشوهدوا فيها قعودا وهي تضرم عليهم ولا تحرقهم ونجوا منها وجعل الله دائرة السوء على الملك فأهلكه وذكر هؤلاء القوم أن نبياً كان في بني اسرائيل بعد موسى عليه الصلاة والسلام بزمان طويل يقال له دانيال وان قومه كذبوه فأخذه ملكهم بختنصر فقدمه الى أسدين كان يجوعهما في جب فلما علم الله تعالى حسن اتكاله عليه .. وصبره طلباً لما لديه .. أمسك عنه أفواه الاسدين حتى قام على رؤسهما برجليه وهي مذللة له غير ضارة فبعث الله تعالى أرميا من الشام حتى خلص دانيال من هذه الشدة وأهلك من أراد هلاك دانيال ه وعضدت روايتهم أشياء رواها أصحاب الحديث منها ما حدثوني عن عبدالله بن أبي الهذيل قال ان بختنصر جوع أسدين وأطلقهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يهيجاه فمكث ماشاء الله ثم اشتهى ما يشتهي الآدميون من الطعام والشراب فأوحى الله تعالى الى أرميا وهو بالشام ان أعدد طعاماً وشراباً لدانيال فقال يارب أنا بالارض المقدسة ودانيال بأرض بابل من أرض العراق فأوحى الله اليه أن اعدد ما أمرتك به فسأرسل اليك من يحملك ويحمل ما أعددت ففعل فأرسل الله اليه من حمله وحمل ما أعد حتى وقف على رأس الجب فقال دانيال من هذا قال أنا أرميا قال ماجاء بك قال أرسلني اليك ربك قال وقد ذكرني قال نعم قال دانيال اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي لَا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ اَلَّذِي

مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي مَنْ وَثِقَ بِهِ لَمْ يَكِلْهُ إِلَى غَيْرِهِ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يَجْزِي بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا وَبِالسَّيِّآتِ غُفْرَانًا وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يَجْزِي بِالصَّبْرِ نَجَاةً وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هُوَ يَكْشِفُ ضُرَّنَا وَكُرْبَتَنَا وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هُوَ يَقِينُنَا وَرَجَاؤُنَا حِينَ تَنْقَطِعُ الْحِيَلُ عَنَّا وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هُوَ ثِقَتُنَا حِينَ تَسُوءُ ظُنُونُنَا بِأَعْمَالِنَا

وقد ذكر الله تعالى في محكم التنزيل الشدة التى جرت على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاخيار فيما اقتصه من قصة الغار فقال سبحانه وتعالى إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ الى قوله وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خاف أن تلحقه المشركون حين سار عن مكة دخل الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فاستخفيا فيه فأرسل الله تعالى عنكبوتًا فنسج في الحال على باب الغار وحمامة عششت وباضت وأفرخت للوقت فلما انتهى المشركون الى الغار ورأوا ذلك لم يشكوا انه غار لم يدخله أحد منذ حين وإن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه ليريان أقدامهم ويسمعان كلامهم فلما انصرفوا وبعدوا وجاء الليل خرجا فصارا نحو المدينة فورداها سالمين وروى أصحاب الحديث أيضًا في شرح حال النبي صلى الله عليه وسلم في المحن التي لحقته من المشركين من شق الفرث عليه ومحاولة أبي جهل وشيبة وعتبة ابني ربيعة وأبي سفيان بن حرب والعاص بن وائل وعقبة بن أبي معيط وغيرهم لعنهم الله تعالى قتله وما كانوا يكاشفونه به من السب والتكذيب والاستهزاء والتأنيب ورميهم له صلى الله عليه وسلم بالجنون وقصدهم اياه غير دفعة بأنواع الاذى والفضيحة والافتراء وحصرهم اياه صلى الله عليه وسلم وجمعهم بني هاشم في الشعب وتخويفهم اياه وتدبيرهم أن يقتلوه حتى بعد وبيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكانه

وعلى فراشه ما يطول ذكره واقتصاصه و يكثر شرحه ثم أعقبه الله عز وجل من ذلك بالنصر والتمكين * واعزاز الدين واظهاره على كل دين * وقمع الجاحدين والمشركين * وقتل أولئك الكفرة المعادين والمعاندين * وغيرهم من المكذبين الكاذبين الذين كانوا عن الحق ناكثين * وبالدين مستهزئين * وللمؤمنين ناصبين متوعدين * وللنبي صلى الله عليه وسلم مكاشفين محاربين * وأذل من بقي منهم بعز الاسلام * بعد أن عاد باظهاره * وأضمر الكفر في اسراره * فصار من المنافقين الملعونين * والحمد لله رب العالمين * فهذه أخبار جاءت في آيات من القرآن . . نفع الله بها و ينفع بها غير انسان . . وهي تجري في هذا الباب وتنضاف اليه * وروي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلو هذه الآية وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ثم يقول يا أبا ذر لو أنّ الناس كلهم أخذوا بذلك لكفاهم حدثنا علي بن أبي الطيب باسناده قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان بني فلان اغاروا عليّ فذهبوا بابني وابلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آل محمد لكذا وكذا مافي بيتهم مدّ من طعام فاسأل الله تعالى فرجع الى امرأته فقالت له ماقال لك فأخبرها فقالت نعم ماردّكَ اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث ان رد الله عليه ابله اوفر مما كانت وابنه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد الله واثنى عليه وامر النـاس مسألة الله عز وجل والرجوع اليه والرغبة وقراءة وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا وسئل أبو الدرداء عن هذه الآية كلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فقال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال من شأنه يغفر ذنبا ويكشف كربا ويرفع اقواما ويضع آخرين واخبرني محمد بن الحسن باسناد طويل قال سمعت سعيد بن عنبسة يقول بينما رجل جالس وهو يعبث بالحصا ويحذف به اذ رجعت حصاة منها عليه فصارت في اذنه فجهدوا بكل حيلة فلم يقدروا على اخراجها فبقيت الحصاة في اذنه مدة وهي تؤلمه فبينما هو ذات يوم جالس اذ سمع قارئا يقرأ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ الآية فقال الرجل يارب انت المجيب وانا المضطر فاكشف عني ضر ما انا فيه فنزلت الحصاة من اذنه في الحال ٭ وروي ان ابا عبيدة حصر فكتب اليه عمر رضي الله عنه مهما نزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وانه يقول عزوجل اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ .. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يونس عليه السلام حين بدا له ان يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فأقبلت الدعوة نحو العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف مكروب من بلاد غريبة قال أما تعرفون ذلك قالوا لا يارب قال ذلك عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل نرفع له عملاً صالحاً متقبلاً ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يارب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء وقال .. أبو صخر فاخبرني أبو سقيط وأبوه حدثه بهذا الحديث انه سمع ابا هريرة يقول طرح بالعراء فانبت الله عليه اليقطينة قلنا وما اليقطينة قال شجرة الدبا قال أبوهريرة وهيأ الله له أرنبة وحشية تأكل من حشائش الارض وتجيء فتفشح عليه وترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت جلده وقال أمية بن أبي الصلت قبل الاسلام في ذلك شعراً

فأنبت يقطينا عليه برحمة ٭ من الله لولا الله ألقي ضاحيا

وروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام أهوى به الى قرار البحر فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا وهو في ظلمات ثلاث ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل فَنَادَى فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ قال الله عز وجلَّ فَنَبَذْنَاهُ بِٱلْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس له ريش حدثني فتى من الكتاب البغداديين يعرف بأبي الحسن بن ابي الليث وكان أبوه من كتاب الجند يتصرف مع اشكرون بن سهلان الديلمي أحد الامراء في عسكر معز الدولة بن احمد بن بويه قال قرأت في بعض الكتب اذا دهمك أمر تخافه فبت وأنت طاهر على فراش طاهر وثيابك كلها طاهرة واقرأ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا الى آخر السورة سبعاً وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى الى آخر السورة سبعاً ثم قل اَللَّهُمَّ ٱجْعَلْ لِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً مِنْ أَمْرِي فانه يأتيك في الليلة الاولى أو الثانية الى السابعة آت في منامك فيقول لك المخرج منه كذا وكذا قال فحبست بعد ذلك بسنين حبسة طالت حتي أيست من الفرج — وكنت قد أنسيت هذا الخبر فذكرته يوماً وأنا في الحبس ففعلت ذلك فلم أر في أول ليلة ولا في الثانية ولا في الثالثة شيئاً فلما كان في الليلة الرابعة فعلت ذلك على الرسم فرأيت في منامي كأن قائلاً يقول لي خلاصك على يدي علي بن ابراهيم فأصبحت من غد متعجباً ولم اكن أعرف رجلاً يقال له علي بن ابراهيم فلما كان بعد يومين دخل عليّ شاب لا أعرفه فقال قد كملت ما عليك فقم واذا معه رسول الى السجان بتسليمي اليه فقمت معه فحملني الى منزلي وسلمني فيه وانصرف فقلت لهم من هذا قالوا رجل من أهل الاهواز يقال له علي بن ابراهيم يكون في الكرخ قيل لنا انه صديق للذي حبسك فطرحنا أنفسنا عليه فتوسط في أمرك وضمن ما عليك وأخرجك قال مؤلف هذا الكتاب فلما كان بعد يسير جاءني علي بن ابراهيم هذا وهو معاملي

في سنين كثيرة فذاكرته بالحديث فقال نعم كان هذا عبدوس الذي حبسه هو ابن اخت ابي علي النصراني خازن معز الدولة فلما طالبه بالمبلغ الذي كان عليه من الضمان الذي ضمنه منه وكان عبدوس صديقي فجاءني من سألني خطابه في أمره فجرى الامر على ما عرفت قال مؤلف الكتاب وجدت في كتاب محمد بن جرير الطبري الذي سماه بكتاب الآداب الحميدة والاخلاق النفيسة حدثني محمد بن عمارة الاسدي عن روح بن الحارث بن حبيش الصنعاني عن أبيه عن جده انه قال لبنيه اذا دهمكم أمر فلا يبيتن أحدكم الا وهو طاهر على فراش طاهر ولا يبيتن معه امرأة وليقرأ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا الى آخر السورة سبعاً وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى الى آخر السورة سبعاً ثم يقل اَللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً فانه يأتيه آت في أول ليلة أو في الثالثة أو في الخامسة واظنه قال أو في السابعة يقول لك المخرج مما انت فيه كذا قال أنيس وأصابني وجع شديد فلم أدر ما علاجه فبت على هذه الحالة فأتاني في أول ليلة اثنان جلس أحدهما على رأسي وجلس الآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه جسه فلمس جسدي كله فلما بلغ موضعاً من رأسي قال احجم هذا ولا تحلقه ولكن اغسله بخطمية ثم التفت الى أحدهما او كلاهما وقال لي فكيف لو ضممت اليهما وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فلما أصبحت سألت لم أمرت بالخطمية فقيل لتمسك المحجمة فبرأت وانا الى اليوم لا أحدث بهذا الحديث أحداً فيعالج به من تلك العلة الا وجد الشفاء باذن الله تعالى وأضمم اليهما قراءة وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وحدثت عن أحمد بن أبي داود قال حدثني الواثق قال حدثني المعتصم ان قوماً ركبوا البحر فسمعوا هاتفاً يهتف بهم من يعطيني عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمات اذا أصابه غم أو أشرف على هلكة فقالها انكشفت عنه فقام رجل من أهل المركب معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك حتى تعلمني فقيل له ارم بالمال في البحر فرمي بالمال فسمع الهاتف يقول

اذا أصابك غم أو أشرفت على هلكة فاقرأ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا فقال جميع من في المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا ان هذه لفظة ما أشك في نفعها قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم أحد غير ذلك الرجل على لوح فحدث بعد ذلك قال طرحني البحر على جزيرة فصعدت امشي فيها فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه من كل ما يكون من الجواهر التي في البحر وغيرها واذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من انت واي شيء تعملين هاهنا قالت أنا ابنة فلان بن فلان التاجر بالبصرة وكان أبي عظيم التجارة وكان لا يصبر عني فسافر بي في البحر معه فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت في هذه الجزيرة وانه يخرج الى شيطان من البحر فيتلاعب بي سبعة أيام من غير أن يطأني الا انه يلامسني ويؤذيني ويتلاعب بي وينظر الي ثم ينزل الى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله في نفسك واخرج قبل موافاته والا أتى عليك فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة عظيمة قد أقبلت فقالت قد جاء والله وسيهلكك فلما قرب مني وكاد يغشاني قرأت الآية فاذا هو قد خر كقطعة جبل الا انه رماد محترق فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت يا هذا الفتى الذي من الله علي بك فقمت أنا وهي وانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل ما فيه من نفيس وفاخر ولزمنا ساحل البحر نهارنا أجمع فلما كان الليل رجعنا الى القصر قال وكان فيه ما يؤكل فقلت لها من اين لك هذا قالت وجدته هاهنا فلما كان بعد أيام رأينا مركباً يبين عن بعد فلوحنا اليهم فدخلوا فحملونا وسلمنا الله عز وجل الى البصرة فوصفت لي منزل أهلها فأتيتهم فقالوا من أنت قلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الواغية وقالوا يا هذا لقد جددت علينا مصيبتنا فقلت اخرجوا ثم أخذتهم ورجعت حتى جئت بهم الى ابنتهم فكادوا يموتون فرحاً وسألوها عن خبرها فقصته عليهم وسألتهم ان

يزوجوني بها ففعلوا وجعلنا هذا الجوهر رأس مال بيني وبينها وأنا اليوم أيسر من بالبصرة وهؤلاء أولادي منها ٭ وذكر أبو عبد الله محمد بن عبدوس في كتابه الوزراء ان عبد الله بن المعلي بن أيوب حدثه عن أبيه قال قال المعلي بن أيوب أعنتني الفضل بن مروان ونحن في بعض الاسفار فطالبني بعمل بعيد يعمل في مدة بعيدة واقتضانيه في كل يوم مرارًا الى ان أمرني عن المعتصم ان لا ابرح الا بعد الفراغ منه فقعدت في ثيابي وجاء الليل فجعلت بين يدي نفاطة وطرح غلماني انفسهم حولي وورد علي امر عظيم لاني قلت ما تجاسر علي ان يوكل بي الا وقد وقف على سوء رأي فيّ من المعتصم قال فاني لجالس وذقني على يدي وقد مضى من الليل بعضه وأنا مفكر فحملتني عيني فنمت فرأيت كأن شخصاً قد مثل بين يدي وهو يقول لي قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّاكِرِينَ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ثم انتبهت فقرأتها فاذا أنا بمشعل قد أقبل من بعيد فلما قرب مني رأيت وراءه حمادا ونفس صاحب الحرس وقد انكر نفاطتي فجاء ليعرف سببها فأخبرته خبري فمضى الى المعتصم فأخبره فاذا الرسل يطلبونني فدخلت اليه وهو قاعد ولم يبق من الشمع الا أسفله فقال لي ما خبرك فشرحته له فقال لي وَيْلِي عَلَى ٱلنَّبَطِيِّ يَمْتَهِنُكَ وأي يدٍ له عليك أنت كاتبي كما هو كاتبي انصرف قال فانصرفت وبكرت الى الفضل على عادتي لم أنكر شيئاً ٭ حدثني أبو الفضل محمد بن عبد الله في المذاكرة في خبر طويل لست أقوم عليه ان رجلاً كانت بينه و بين رجل يتمكن من أذاه عداوة فخافه خوفاً شديداً وأهمه أمره ولم يدر ما يصنع فرأى في منامه كان قائلاً يقول له اقرأ في كل يوم في احدي ركعتي الفجر أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ ٱلْفِيلِ الى آخر السورة قال فقرأتها فما مضت الا شهور حتى كفيت أمر ذلك الرجل واهلكه الله عز وجل وانا

أقرؤها الى الآن قال مؤلف هذا الكتاب فوقعت أنا بعد ذلك في شدة لحقتني من عدوّ خفته فاستترت منه فجعلت دأبي قراءة هذه السورة في الركعة الثانية من صلاة الفجر كل يوم وأقرأ في الاولى منها ألمْ نَشرَحْ لَكَ صَدْرَكَ الى آخر السورة لخبر كان بلغني فيها فلما كان بعد شهور كفاني الله أمر ذلك العدوّ وأهلكه من غير سعي لي في ذلك ولا حول ولا قوة وأما الخبر في ألم نشرح فان أبا بكر بن شجاع المقري البغدادي الذي كان يخلفني على العيار في دار الضرب بسوق الاهواز في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وكان شيخاً ثقة نبيلاً وهو من أمناء القاضي الاحنف محمد بن أبي الشوارب حدثنا بأسناد ذكره ان بعض الصالحين ألح عليه الغم وضيق الصدر وتعذر الامر حتي كاد يقنط فكان يمشي يوماً وهو يقول أرى الموت لمن أمسى على الذلة له أصلح ٥ فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه او قال رأى في النوم كأن قائلاً يقول

ألا يا أيها المرء ٥ الذي الهم به برّح ٥ اذا ضاق بك الصد ٥ ر ففكر في ألم نشرح

قال فقرأتها في صلاتي فشرح الله صدري وأزال كربي وسهل أمري أو كما قال وحدثني غيره هذا الخبر من قريب بهذا الحديث وزاد في الشعر حيث قال

فان العسر مقرو ٥ ن بيسر بن فلا تبرح

وقد ذكر القاضي أبو الحسين في كتاب الفرج بعد الشدة البيتين فقط وقال في الاخير منهما

اذا أعضلك الامر ٥ بدل اذا ضاق بك الصدر

الباب الثاني

* ماجاء في الآثار من ذكر الفرج بعد اللأواء *
* وما يتوصل به الى كشف الشدة والبلاء *

أخبرني القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي بالاسناد الصحيح قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سَلُوا الله من فضله فان الله تبارك وتعالى يحبُّ أن يُسأل وأفضلُ العبادةِ انتظارُ الفرَج .. مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انتظارُ الفرجِ من الله عز وجل عبادةٌ .. علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ أعمالِ أمتي انتظارُها فَرَجَ اللهِ .. جعفر بنُ محمدٍ عن ابيهِ عن جدهِ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلَّم قال لعليٍّ رضي الله عنهُ في حديثٍ ذكره وَاعلَمْ أنَّ النَّصرَ معَ الصَّبرِ والفرَجَ معَ الكَرْبِ وأنَّ مع العُسرِ يُسرًا عن عمر بن مرة قال سمعت أبا وائل يحدث عن كردوس بن عمرو وكان ممن قرأ الكتب أنه قال ان الله عز وجل يبتلي العبدَ وهوَ يُحبُّهُ ليَسمَعَ تضرُّعَهُ حدثنا ابن أبي الدنيا يرفعه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما ألاَ أُعلِّمُكَ كلماتٍ تنتفع بهن قال بلى يارسول الله قال احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ احفَظِ اللهَ تجدْهُ أمامَكَ تعرَّفْ الى اللهِ في الرَّخاءِ يعرِفْكَ في الشدَّةِ واذا سألْتَ فاسأَلِ اللهَ واذَا استعنتَ فاستَعِنْ باللهِ جفَّ القلمُ بما كانَ وما هوَ كائنٌ ولو اجتهدَ العبادُ أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لم يكتبْهُ اللهُ لكَ لم يقدِروا عليهِ ولو جهدُوا أنْ يضرُّوكَ

بشيءٍ لم يكتبْهُ اللهُ عليكَ لما قدَرُوا فإنِ استطعْتَ أنْ تعملَ للهِ بالصدْقِ في اليقينِ فافعلْ فإنِ لم تستطعْ فإنَّ في الصبرِ على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا واعلمْ أنَّ النصرَ معَ الصبرِ وأنَّ الفرجَ معَ الكربِ وأنَّ معَ العسرِ يسرًا .. روى انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهُ قال قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم إنَّ المعونةَ من اللهِ عزَّ وجلَّ تأتي العبدَ على قدرِ المؤونةِ وإنَّ الصبرَ يأتي على قدرِ شدَّةِ البلاءِ وربما قال انَّ الفرجَ يأتي منَ اللهِ على قدرِ شدَّةِ البلاءِ .. وروى ابو هريرةَ عن رسولِ الله صلي اللهُ عليهِ وسلَّم انهُ قال منْ سترَ أخاهُ المسلمَ سترَهُ اللهُ يومَ القيامةِ ومنْ نفَّسَ عنْ أخيهِ كربةً منْ كُرَبِ الدُّنيا نفَّسَ اللهُ عنهُ كربةً منْ كُرَبِ يومِ القيامةِ واللهُ عزَّ وجلَّ في عونِ العبدِ مادامَ العبدُ في عونِ أخيهِ .. وروي ابنُ عمر رضي اللهُ عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وروي عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالبٍ رضي الله عنهم عن ابيهِ عن جدِّهِ عن النبيِّ صلي الله عليهِ وسلم انه قال منْ أجرَى اللهُ على يدِهِ فرجاً لمسلمٍ فرَّجَ الله عنهُ كربَ الدُّنيا والآخرةِ .. روي ابن عباسٍ رضي اللهعنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم انه قال منْ أكثرَ منَ الإستغفارِ جعلَ اللهُ لهُ منْ كلِّ همٍّ فرجاً ومنْ كلِّ ضيقٍ مخرجاً ورزقهُ منْ حيثُ لا يحتسبُ .. وروي ابو هريرةَ رضي اللهُ عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم انه قال لا حولَ ولا قوةَ الا باللهِ دواءٌ منْ كلِّ داءٍ ايسرُها الهمُّ .. وعن نصر بن زياد

قال كُنتُ عند جعفر بن محمد رضي الله عنهُ فأتاهُ سفيان بن سعيد الثوري
قال يا ابن رسول الله حدثني فقال ياسُفيان اذا استَبطأتَ الرِّزقَ فأكثِرْ
منَ الإستغفارِ واذا وَرَدَ عليكَ أمرٌ تكرَهُهُ فأكثِرْ منْ لاحولَ ولاَ قُوَّةَ
الاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ واذا أنعمَ اللهُ عليكَ بنعمةٍ فأكثِرْ من الحمدُ لله
حدثني محمد بن جعفر بن صالح الصالحي بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنهُ قال بَينَما ثلاثةُ نفرٍ من بَني اسرائيلَ يَسيرُونَ إذْ أخذَهُمُ المطرُ فأَوَوْ
إلى غارٍ في جبلٍ فانْطبقَتْ عليهمْ صخرَةٌ فسدَّتِ الغارَ فقالُوا تعالَوْا فليَسْألَ
اللهَ عزَّ وجلَّ كلُّ رَجلٍ منَّا بافضلِ عملِهِ فقال احدُهُمْ اللهمَّ إن كُنتَ
تعلَمُ انهُ كانَتْ لي ابنَةُ عمٍّ جميلةٌ وكُنتُ أهواها فدَفَعْتُ اليها مائةَ دينارٍ
فلمَّا جلَستُ منها مَجلِسَ الرَّجلِ من المرأةِ قالَتِ اتقِ اللهَ يا ابنَ العمِّ ولا
تَفُضَّ الخاتَمَ إلاَّ بحقٍّ فقُمْتُ عنها وتركْتُ لها المائةَ دينارٍ اللهمَّ إن كُنتَ
تعلَمُ انّي فعَلْتُ ذلكَ خشيَةً منكَ وابتغاءَ لما عندكَ فافرُجْ عنَّا فانفرَجَ
عنهُم ثلثُ الصخرةِ وقال الآخرُ اللهمَّ إن كُنتَ تعلَمُ انه كان لي ابوَانِ
شيخانِ كبيرانِ فكنتُ أغدُو عليهما بصبُوحِهما وأرُوحُ عليهما بغَبُوقِهما
فغدَوتُ عليهما يوماً فوجدتُهما نائمينِ فكرِهتُ ان اوقظَهما وكرِهتُ أنْ
أنصرِفَ عنهُما فيفقِدانِ غداءهُما فوقفتُ حتى استَيقظا فدفَعْتُ اليهما غداءهما
اللهمَّ إن كُنتَ تعلمُ أنّي انما فعَلْتُ ذلك ابتِغاءَ ما عِندكَ وخَشيَةً منكَ
فافرُجْ عنا فانفرَجَ عنهُم الثلثُ الثاني وقال الثالث اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنّني

استأجرتُ اجيرًا فلمَّا دفعتُ اليه أجرتَهُ قال عملي أوفى من هذا وترك لي اجرتَهُ وقال بيني وبينك يومٌ يؤخذُ للمظلومِ فيهِ من الظالمِ ومضى فابتعتُ لهُ بأجرتهِ غنماً فلمْ أزلْ أرعاها ونمتْ حتى تزايدتْ وكثرتْ فلما كانَ بعدَ مدةٍ منَ الدهرِ أتاني فقالَ ياهذا انَّ لي عندكَ اجرةَ عملتُ لكَ كذا وكذا في وقت كذا وكذا فقلتُ لهُ خذِ الغنمَ فهيَ لكَ فقال تمنعني أجرتي وتهزأُ بي فقلتُ خذْها فانها لكَ فأخذها ودعالي اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ اني انما فعلتُ هذا خشيةً منكَ وابتغاءَ لما عندكَ فافرجْ عنَّا فانفرجَ عنهم باقي الصخرةِ وخرجوا يمشونَ وذكر الحديث قال مؤلف هذا الكتاب هذا حديث مشهور رواه عن النبي صلى الله علية وسلم علي بن أبي طالب وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن أبي اوفي والنعمان بن بشير الانصاري رضي الله عنهم وعن كل واحد منهم عدة طرق وقد اختلف في ألفاظه والمعنى واحد وليس غرضي هنا جمع طرقه والفاظه فاستقصي ذلك هنا روي ابراهيمُ بنُ سعدٍ عن أبيهِ عن جدِّه قال كنَّا جلوساً عندَ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم فقالَ الا أخبركمْ بشيءٍ اذا نزلَ برجلٍ منكم كربٌ او بلاءٌ منَ الدنيا دعا بهِ فرَّجَ عنهُ فقيلَ لهُ بلى فقال دعاءُ ذي النونِ لا إلهَ الا انتَ سبحانكَ إني كنتُ من الظالمين ..حدثنا ابنُ بشار قال حدثنا ابنُ عدي بالاسناد عن حميد بن عبد الرحمن الحميري قال كان بأبي الحصاةَ وكانَ يلقى من شدة مابهِ من البلاء ألماً عظيماً فانطلقتُ الى بيتِ المقدس فلقيتُ أبا العوام فشكوت له الذي بأبي وأخبرتهُ خبرَهُ فقال مُرْهُ فليدعُ بهذه الدعوات وهيَ ربَّنا الذي في السماء تقدَّس اسمهُ أمرُكَ ماضٍ في السماءِ والارضِ كما

رحمتكَ في السماء فاجعلها في الارض اغفرْ لنا حوْبَتنا وخطايانا إنك ربُّ الطيبين أنزلْ رحمةً من عندك وشفاءً من شفائك على مابفلانِ بنِ فلانٍ من وجعٍ قال فدعا به فأذهبهُ اللهُ عز وجل.. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كلماتُ الفرَج لاَ إلهَ الاَّ اللهُ الحكيمُ الكريمُ لاإله الا اللهُ العليُّ العظيمُ لاإلهَ الا اللهُ ربُّ السمواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ وربُّ العرشِ العظيم.. حدثنا عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال دعوات المكروب اللهمَّ رحمتكَ أرْجُو فلا تكلني الى نفسي طرْفةَ عينٍ وأصلحْ لي شأني كلَّهُ لاإلهَ الا انتَ وروي عبدالله بن جعفر قال علمتني امي أسماء بنت عميس شيئاً أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تقول عند الكربِ اللهُ ربي لا أشركُ به شيئاً.. وروَى عبدُاللهِ بنُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ قالَ علَمَنِي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم إذا نزلَ بي كربٌ اوشدَّةٌ أنْ أقولَ لاإلهَ إلاَّ اللهُ الحكيمُ الكريمُ عزَّ اللهُ وتباركَ ربُّ العرشِ العظيمِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل بي كرب أن أقول لاَ إلَهَ الاَّ اللهُ العليُّ الكريمُ سبحانَ اللهِ وتباركَ اللهُ ربُّ العرشِ العظيمِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ قالت أسماء بنت عميس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منْ أصابهُ همٌّ أوْ غمٌّ أوْ سقمٌ أوْ شدَّةٌ أوْ ذُلٌّ أوْ لأْواءُ فقالَ اللهُ ربي لاشريكَ لهُ كُشِفَ ذلكَ عنهُ.. عن أبي سلمة الجهني عن أبي القاسم عن

عبدالرحمن عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب مسلماً قطُّ همٌّ ولا حزنٌ فقال اللهمَّ إني عبدُكَ وابنُ عبدِكَ وابنُ أمتكَ ناصيتي بيدِكَ ماضٍ فيَّ حكمُكَ عدلٌ فيَّ قضاؤكَ أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هوَ لكَ سمَّيتَ بهِ نفسكَ أو أنزلتَهُ في كتابكَ أو علَّمتَهُ أحدًا من خلقكَ أو استأثرتَ بهِ في علمِ الغيبِ عندكَ أن تجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي ونورَ بصري وجلاءَ حزني وذهابَ همي إلا أذهبَ اللهُ همَّهُ وأبدلَهُ مكانَ حزنهِ فرجاً قالوا يارسولَ اللهِ أفلا نتعلَّمُ هذهِ الكلماتِ قال بلى ينبغي لمنْ سمعهنَّ أن يتعلَّمهنَّ وروي عنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم انهُ كان إذا اصابهُ غمٌّ أو كربٌ يقولُ حسبيَ الربُّ منَ العبادِ حسبيَ الخالقُ منَ المخلوقينَ حسبيَ الرازقُ منَ المرزوقينَ حسبيَ اللهُ هوَ حسبي حسبي اللهُ ونعمَ الوكيلُ حسبيَ اللهُ لا إلهَ إلا هوَ عليهِ توكلتُ وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ .. روى اسماعيل ابنُ فديكٍ أنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم قال ما اكربني أمرٌ إلا تمثَّلَ لي جبريلُ وقال يا محمدُ قلْ توكلتُ على الحيِّ الذي لا يموتُ والحمدُ للهِ الذي لمْ يتخذْ ولداً ولمْ يكنْ لهُ شريكٌ في الملكِ ولمْ يكنْ لهُ وليٌّ منَ الذلِّ وكبِّرهُ تكبيراً .. وروي عن رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم انهُ كان إذا نزلَ بهِ همٌّ أو غمٌّ قال ياحيُّ ياقيومُ برحمتكَ أستغيثُ وروى ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه عن النبي صلى اللهُ عليهِ وسلَّم مثلَ ذلكَ .. وفي الاخبار أن موسى عليه السلام كان دعاؤه حين

يتوجه الى فرعون وهو دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ودعاء مكروب كنت وتكون وأنت حي لاتموت أبداً تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حيٌّ قيوم لا تأخذك سنة ولا نومٌ ياحيُّ ياقيوم .. دعاء للفرج أعطانيه أبو الحميد داود بن الناصر المعروف بطباطبا بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقال لي ان أهله يتوارثونه عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يامن يَحُلُّ عقد المكاره ويفك حلق الشدائد ويامن يلتمس به المخرج الى محل الفرج ذلت لقدرتك الصعاب وتشبثت بلطفك الاسباب وجرى بطاعتك القضاء ومضت على ذكرك الاشياء فهي بمشيئتك دون قولك مؤتمرة وبارادتك دون وحيك منزجرة أنت المدعوُّ للمهمات وأنت المفزع في الملمات لايندفع منها الا مادفعت ولا ينكشف منها الا ما كشفت قد نزل بي مايكيدني ثقله وألم بي مايهيضني حمله وبقدرتك أوردته عليّ وبسلطانك وجهته اليّ لامصدر لما أوردت ولا كاشف لما وجهت ولا فاتح لما أغلقت ولا مغلق لما فتحت ولا ميسر لما عسرت ولا معسر لما يسرت صلّ على محمد وعلى آل محمد وافتح لي يارب أبواب الفرج بطولك واحبس عني سلطان الهم بحولك وأنلني حسن النظر فيما شكوت وأذقني حلاوة الصنع فيما سألت وهب لي من لدنك فرجاً قريباً هنيئاً وصلاحاً في جميع أمري واجعل لي من عندك مخرجاً رحيباً ولا تشغلني بالاهتمام عن تعهد فروضك واستعمال سنتك فقد ضقت ذرعاً بما قد عراني وتحيرت في أمري وفيما نزل بي ودهاني وضعفت عن حمل ماقد اثقلني هماً وتبدلت فيما أنا فيه قلقاً وغماً وأنت القادر على كشف ما وقعت فيه ودفع ماثقلت به فافعل بي ذلك ياسيدي والهي وان لم أستحقه وأجبني اليه وان لم أستوجبه ياذا العرش العظيم ثلاث مرات وأعطاني دعاء آخر وقال لي ان أهله يتوارثونه عن أهل البيت عليهم السلام وهو لا اله الا الله حقاً حقاً لا اله الا الله تعبداً ورقاً لا اله الا الله ايماناً وصدقاً يامنزل الرحمة من أماكنها ومنشىء البركة من معادنها أسألك أن تصلي على محمد عبدك ونبيك وخيرتك من خلقك

وصفيك وعلى آله مصابيح الدجا وأئمة الهدى وأن تفرج عني فرجاً عاجلاً وتلبسني في أموري صلاحاً شاملاً وتفعل بي في ديني ودنياي ما أنت أهله وتنيلني صلاحاً لجميع أمري شاملاً يا كاشف كل كرب ويا غافر كل ذنب

• حدثني أيوب بن العباس بن الحسن باسناد كثير أن أعرابياً شكا الى أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه شكوي لحقته وضيقاً في الحال وكثرة من العيال فقال له عليك بالاستغفار فان الله عز وجل يقول اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا الآيات فمضى الرجل وعاد اليه فقال يا أمير المؤمنين اني قد استغفرت الله كثيرًا ولم أرَ فرجاً مما أنا فيه فقال له لعلك لاتحسن الاستغفار قال علمني فقال أخلص نيتك وأطع ربك وقل اللهم اني أستغفرك من كل ذنب قويَ عليه بدني بعافيتك أو نالته قدرتي بفضل نعمتك أو بسطت اليه يديّ بسابغ رزقك واتكلت فيه عند خوفي منه على أمانك ووثقت فيه بحلمك وعولت فيه على كريم عفوك اللهم اني أستغفرك من كل ذنب خفت فيه أماني أو بخست فيه نفسي أو قدّمتُ فيه لذتي أو آثرت فيه شهوتي أو سعيت فيه لغيري أو استغويت اليه من تبعني أو غلبت فيه بفضل حيلتي أو أحلت فيه على مولاي فلم يعاجلني على فعلي اذ كنت سبحانك كارهاً لمعصيتي غير مريدها مني لكن سبق علمك فيّ باختياري واستعمال مرادي وايثاري فحلمت عني ولم تدخلني فيه جبرًا ولم تحملني عليه قهرًا ولم تظلمني عليه شيئاً يا أرحم الراحمين ياصاحبي في شدتي يا مؤنسي في وحدتي يا حافظي في غربتي يا وليي في نعمتي يا كاشف كربتي يامستمع دعوتي يا راحم عبرتي يا مقيل عثرتي يا إلهي بالتحقيق يا ركني الوثيق يارجاي للضيق يا مولاي الشفيق يارب البيت العتيق أخرجني من حلق المضيق الى سعة الطريق بفرج من عندك قريب وثيق واكشف عني كل شدة وضيق واكفني ما أطيق ومالا أطيق اللهم فرج عني كل هم وغم وأخرجني من كل حزن وكرب يافارج الهم ويا كاشف الغم ويا منزل القطر ويامجيب دعوة المضطر

يارحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما صل على محمد خيرتك من خلقك وعلى آله الطيبين الطاهرين وفرج عني ماضاق به صدري وعيل معه صبري وقلت فيه حيلتي وضعفت له قوتي ياكاشف كل ضر وبلية ياعالم كل سر وخفية يا أرحم الراحمين وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ قال الاعرابيُّ فاستغفرت بذلك مراراً فكشف الله عني الغم والضيق ووسع عليّ في الرزق وأزال المحنة * وعن أبي مخلد أنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أبالي على أيّ حالة أصبحت على ما أحبُّ أو على ما أكره وذلك لاني لا أدري الخير فيما أحبُّ أو فيما اكره * روي عن الاعمش عن ابراهيم قال إن لم يكن لنا خيرٌ فيما نكره لم يكن لنا خيرٌ فيما نحبُّ وروي عن سفيان بن عيينة قال قال محمد بن علي رضي الله عنه لمحمد بن المنكدر مالي أراك مغموماً فقال أبو حازم لدين فدحه قال محمد بن علي أفتح له في الدعاء قال نعم قال بورك لك في حاجة اكثرت فيها دعاء ربك كانت لك ما كانت * دعاء لداود عليه السلام سبحان مستخرج الدعاء بالبلاء سبحان مستخرج الشكر بالرخاء * روي عن طاوس قال اني لفي الحجر ذات ليلة اذ دخل عليّ ابن الحسين عليه السلام فقلت رجلٌ صالحٌ من أهل بيت الخير لاسمعن الى دعائه الليلة فصلى ثم سجد فأصغيت بسمعي اليه فسمعته يقول عبيدك بفنائك يرجو ثوابك ويخشى عقابك قال طاوسٌ فما دعوت بها في كرب الا فرج الله عني * روي في الاخبار أن صدّيقاً ذبح عجلاً بين يدى أمه فخبل عقله فبينما هو كذلك ذات يوم تحت شجرة فيها وكر طائر اذ وقع فرخ ذلك الطائر في الارض فغبر في التراب فأتاه الطائر فجعل يطير فوق رأسه فأخذ الصدّيق الفرخ فمسحه من التراب وأعاده في وكره فرد الله عليه عقله * وقال ابن عيينة ما يكرهه العبد خيرٌ له مما يحبُّ لان مايكرهه يهيجه على الدعاء وما يحبه يلهيه * وروي عن عبد الصمد العمي قال سمعت مالك بن دينار يقول في مرضه وهو آخر كلام

سمعته منه ما أقرب النعم من البؤس يعقبان ويوشكان زوالاً * روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لجلسائه يوماً وفيهم عمرو بن العاص ما أحسن شيء يناله المرء فأتى كلُّ رجل برأيه وعمرو ساكت فقال له عمر مالقول ياعمرو قال الغمرات ثم ينجلين * كتب سعيد بن حميد الى عبيدالله بن عبدالله بن طاهر كتاباً من الانبار قال فيه وأرجو أن يكشف الله بالامير هذه الغمة الطويل مداها البعيد منتهاها فان طولها قد أطمع في انقضائها وتراخي أيامها قد سهل طريق الامل لفنائها * قال مؤلف هذا الكتاب لحقتني محنة عظيمة من السلطان فكتب اليَّ أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي رقعة يتوجع اليَّ فيها نسختها بسم الله الرحمن الرحيم مدد النعم أطال الله بقاء القاضي بغفلات المسار وان طالت احلام وساعات المحن وان قصرت بسوابغ الهم أعوام وأحظانا بالمواهب من ارتبطها بالشكر وأنهضنا باعباء المصائب من قاومها بعدد الصبر اذ كان أولها بالعظة مذكرًا وآخرها بمضمون الفرج مبشرًا وانما يتعسف ظلم الفتنة ويتمسك بتفريط العزم ضال الحكمة ومن كان بسنة الغفلة مغمورًا وبضعف المنية والرأي مقهورًا وفي انتهاز فرص الحرم مفرطاً ولمرضي ما اختاره الله تعالى متسخطاً والقاضي أنورُ بصيرة وأطهر سريرة وأكمل حزماً وأنفذ مضاءً وعزماً من أن يتسلط الشك على يقينه أو يقدح اعتراض الشبه في مروءته ودينه فيلقى ما اعتمده الله من طارق القضاء المحتوم بغير واجبه من فرض الرضا والتسليم ومع ذلك فانما تعظم المحنة اذا تجاوزت وضعف التنبيه من الله جل ذكره الى واجب العقوبة ويصير تجني السلطان بها وجوب الحجة فشغلت الالسن عن محمود الثناء منها بمذموم اللائمة فاذا خلت من هذه الصفات اللئيمه والشوائب المذمومة كانت وان راع ظاهرها بصفات النعم أولى وبأسباب المنح أحق وأحرى وهي أعمال ذي الفهم الثاقب والفكر الصائب مثله أيده الله تعالى بكامل عقله وزائد فضله فيما يسامح به الدنيا من مرتجع هباتها وتبدله من خدع لذاتها من علم أن أسعد أهلها منها ببلوغ الآمال أقربهم فيما خوله من التغيير والانتقال وصفاءها مشوبٌ

بالكدر وأمنها مروع بالحذر لان انتهاء الشيء الى حده ناقل له عما كان عليه الى ضده فتكاد المحنة بهذه القاعدة لاقترابها في الفرج بفسح الرجاء وانتهاء الشدة فيها الى مستجد الرخاء أن تكون أحق بأسماء النعم وأدخل في أسباب المواهب والقسم و بالحقيقة فكل وارد من الله عز وجل على العبد وان جهل مواقع الحكمة منه وساءه استتار عواقب الخيرة بمفارقة مانقل عنه غير خال من مصلحة بتقديم عاجل وادخار آجل وهذا الوصف ماذكر الله به القاضي اذ كان للمثوبة مفيداً وللفرج ضامناً و بالحظ مبشراً والى المسرة مؤدياً وبأفضل ماعوده الله عائداً وهو ينجز ذلك بمستحكم الثقة ووجاهة الدعاء والرغبة ووسائط الصبر والمعونة ونعله يكون اليه أقرب من ورود رقعتي اليه بقدرة الله تعالى ومشيئته ولولا الخوف من الاطالة والتعرض للاضجار والملالة باخراج هذه الرقعة عن مذاهب الكتابة وادخالها ذكر مانطق به نص الكتاب من ضمان اليسر بعد العسر وما وردت به في هذا المعنى الامثال السائرة والاشعار المتناقلة في جملة الرسائل وخير المصنفات لاودعتها نبذاً من ذلك لكنني آثرت أن لا أعدل بها عما افتتحتها به واستخدمتها له مقتصراً على استغناء القاضي عن ذلك بمراشد حفظه ووفور فضله ومأثور نباهته ونبله والله يبلغنا ويبلغه مافيه نهاية الآمال ولا يخليه في طول البقاء من مواد السعادة والاقبال ان شاء الله تعالى وهو حسبنا ونعم الوكيل ٥ وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال أفضل مايعمله المتحن انتظار الفرج والصبر على قدر البلاء والصبر كفيلٌ بالنجاح والتوكل لايخيب ظنه ٥ وقال بعض الصالحين استعمل في كل بلية تطرقك حسن الظن بالله تعالى في كشفها فان ذلك أقرب بك الى الفرج و يقال العاقل لايذل لاول نكبة ولا يفرح بأول نعمة فربما أقلع المحبوب عما يضرُّ وأجلي المكروه عما يسرُّ ٥ شكا عبد الله بن طاهر الى سليمان بن يحيى بن معاذ كاتبه بلاءً خافه وتوقعه فقال له أيها الامير لا يغلبن على قلبك اذا اغتممت ما تكره دون ما تحبُّ فلعل العاقبة تكون ماتحبُّ وتوقي ماتكره فتكون كمن يتسلف الغم والخوف قال أما انك فقد فرجت عني ما أنا فيه

بلغني أن الناس قحطوا بالمدينة في أيام عمر رضي الله عنه فخرج بهم مستسقياً فكان اكثر قوله الاستغفار فقيل له يا أمير المؤمنين لو دعوت الله تعالى فقال أما سمعتم قوله تعالى اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً الآيات فصار الاستكثار منه في خطب الاستسقاء سنة الى اليوم ٭ حكي عن أنو شروان أنه قال جميع مكاره الدنيا ينقسم على ضربين فضربٌ فيه حيلةٌ فالاضطراب دواؤه وضربٌ لاحيلة فيه فالاصطبار شفاؤه وكان بعض الحكماء يقول الحيلة فيما لاحيلة فيه الصبر وكان يقال من اتبع الصبر أتبعه النصر ٭ ومن الامثال السائرة الصبر مفتاح الفرج من صبر قدر ثمرة الصبر الظفر وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء وكان يقال تضايقي تنفرجي اذا اشتد الخناق انقطع الوثاق والعرب تقول ان في الشر خياراً قال الاصمعيُّ معناها ان بعض الشرّ أهون من بعض وقال أبو عبيدة معناها اذا أصابتك مصيبة فاعلم أنه قد يكون أجلّ منها فلتهن عليك مصيبتك ٭ وقال بعض الحكماء عواقب الامور تتشابه في الغيوب فربَّ محبوب في مكروه ومكروه في محبوب وكم مغبوط بنعمةٍ هي داؤه ومرحوم من داء فيه شفاؤه وربَّ خير من شرّ ونفع من ضر وروي أن علي بن أبي طالب سلام الله عليه قال يا ابن آدم لاتحمل هم يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتى فانه ان يكن من عمرك يأتك الله فيه بمحنتك واعلم أنك لن تكسب شيئاً سوى قوتك الا كنت فيه خازناً لغيرك بعد موتك ٭ وقال وادعة السهمي في كلام له اصبر على الشر ان فدحك فربما أجلى عما يفرحك وتحت الرغوة اللبن الصريح وقال شريح إني لاصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمده ان لم تكن أعظم مما هي وأحمده اذ رزقني الصبر عليها وأحمده اذ وفقني للاسترجاع لما أرجوه فيه من الثواب وأحمده اذ لم يجعلها في ديني ويشبه هذا ما يروى عن بزرجمهر لما حبسه أنو شروان عند غضبه عليه في بيت كالقبر ظلمةً وضيقاً وصفده بالحديد وألبسه الخشن من الصوف وأمر أن لايزاد على قرصين في كل يوم من

شعير وكف ملح جريشا ودورق ماء وأن تحصى ألفاظه فتنقل اليه فأقام بزرجمهر أياما لا يتكلم فقال أنوشروان أدخلوا اليه أصحابه وأمروهم أن يسألوه ويفاتحوه في الكلام واسمعوا مايجرى بينهم وعرفونيه فدخل اليه جماعة من المختصين به وقالوا أيها الحكيم نراك في هذا الضيق والحديد والصوف والشدة التي وقعت فيها ومع هذا فان سحنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم يتغيرا فما السبب في ذلك فقال اني عملت جوارشا من ستة أخلاط آخذ منه في كل يوم شيئا فهو الذي أبقاني على ماترون قالوا فصفه لنا فعسى أن يبتلى بمثل بلواك من اخواننا احد فيستعمله أو نصفه له قال الخلط الاول الثقة بالله عز وجل والخلط الثاني علمي ان كل مقدر كائن والخلط الثالث ان الصبر خير ما استعمله الممتحن والخلط الرابع ان لم أصبر فأي شيء أعمل والخلط الخامس قد يمكن أن اكون في أشر مما أنا فيه والخلط السادس من ساعةٍ الى ساعةٍ فرج قال فبلغ كسرى كلامه فعفا عنه

﴿ فصل ﴾ لبعض الكتاب وهو علي بن نصر بن علي بن بشر النصراني وكما ان الله عز وجل يأتي بالمحبوب من الوجه الذي قد ورد المكروه منه يأتي الفرج عند انقطاع الامل واستبهام وجوه الحيل ليحض سائر خليقته بما يريهم من تمام قدرته على صرف الرجاء اليه واخلاص التوكل عليه وان لا يزووا وجوههم في وقت من الاوقات على من تتوقع الروح منه ولا يعدلوا بآمالهم على حال من الحالات عن انتظار فرج يصدر عنه فكذلك أيضا سرهم فيما ساءهم بأن كفاهم بمحنةٍ يسيرة أعظم منها وأفداهم بملمة سهلة بما هو أنكى فيهم لو لحقهم * قال اسحاق العابد ربما امتحن الله العبد بمحنة عظيمة يخلصه بها من الهلكة فتكون تلك المحنة أجل نعمة وقال سمعان من احتمل المحنة ورضي بتدبير الله عز وجل في النكبة وصبر على الشدة كشف الله له عن منفعتها حتى يقف على المستور عنه في مصلحتها وقال عبد الله بن المعتز ما أوطأ راحلة الواثق بالله تعالى وآنس مثوى المطيع لله * حكي بعض النصارى ان بعض الانبياء عليهم السلام قال المحن تأديب من الله عز وجل والادب لا يدوم وطوبى لمن يصبر على التأديب ويثبت عند المحنة فيجب له لبس الاكليل

الغلبة وتاج الفلاح الذى وعد الله عز وجل محبيه وطائعيه ٥ وقال بزرجمهر انتظار الفرج بالصبر يعقب الاغتباط ﴿ فصل ﴾ لبعض الكتاب وهو علي بن نصر بن بشر وكما ان الرجاء مادة الصبر والمعين عليه فكذلك علة الرجاء ومادته حسن الظن بالله عز وجل الذي لايجوز أن يخيب فانا قد نستقري الكرماء فنجدهم يرفعون من أحسن ظنه بهم و يخيبون من يخيب أمله فيهم و يتحرجون من اخفاق رجاء من قصدهم فكيف باكرم الاكرمين الذي لايعوزه أن يمنح مؤمليه ما يزيد على آمالهم فيه وأعدل الشواهد بمحبة الله جل جلاله ان يمسك عبده برجائه وانتظاره الروح من ظله وفنائه ان الانسان لا يأتيه الفرج ولا تدركه النجاة الا بعد اخفاق أمله في كل ماكان يتوجه نحوه بأمله ورغبته وعند انغلاق مطالبه وعجز حيله وحيلته وتناهي ضره ومحنته ليكون ذلك باعثاً له على صرف رجائه أبداً الى الله تعالى وزاجراً له عن تجاوز حسن الظن بالله تعالى ٥ وروي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال الفرج والروح في اليقين والرضا والهمُّ والحزن في الشك والغضب قال أبان بن ثعلب سمعت أعرابياً يقول من أفضل آداب الرجال أنه اذا نزلت بأحدهم جائحة استعمل الصبر عليها وألهم نفسه الرجاء لزوالها حتى كأنه بصبره يعاين الخلاص والغناء توكلاً على الله وحسن ظنٍ به فمتى لزم هذه الصفة لم يلبث أن يقضي الله حاجته ويزيل كربته وينجح طلبته ومعه دينه وعرضه ومروأته وكان يقال الصبور يدرك أحمد الامور ٥ حكي الاصمعيُّ عن أعرابي قال خَفِ الشرَّ من موضع الخير وارج الخير من موضع الشر فربَّ حياةٍ سببها طلب الموت وموتٍ سببه طلب الحياة واكثر ما يأتي الامن من ناحية الخوف قال مؤلف هذا الكتاب ما أقرب هذا الكلام من قول قطري بن الفجاءة الخارجي ذكره أبو تمام الطائي في كتابه المعروف بالحماسة

لا يركبن أحد الى الاحجام ٥ يوم الوغى متخوفاً لحمام
فلقد أراني للرماح دريئة ٥ من عن يميني مرة وأمامي
حتى خضبت بما تحدر من دمي ٥ اكناف سرجي أو عنان لجام

ثم انصرفت وقد أصبت ولم أصب * جزع البصير قارح الاقدام

هذا لمن أحبّ الموت طلباً لحياة الذكر وقد أفصح بهذا الحصين بن الحمام المري حيث يقول

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل أن أتقدما

وهذا كثير متسع ليس هو مما نحن فيه بسبيل فنستوعبه ونستوفيه ولكن الحديث ذو شجون والشيء يذكر بالشيء ونعود الى ما كنا فيه قال بعض عقلاء التجار ما أصغر المصيبة بالارباح اذا عادت بسلامة الارواح وكأنه من قول بعض العرب ان تسلم الحلة فالسخل هدرٌ ومن كلامهم لا تيبس أرضٌ من عمران وان جفاها الزمان والعامة تقول نهرٌ جرى فيه الماء لابدّ أن يعود اليه وقال بيسمطيوس لم تتفاضل أهل العقول والدين الا باستعمال الفضل في حال القدرة والنعمة وابتذال الصبر في حال الشدة والمحنة وقال بعض الحكماء العاقل يتعزى فيما نزل به من المكروه بأمرين أحدهما السرور بما بقي له والآخر رجاء الفرج مما نزل به والجاهل يجزع في محنته بأمرين أحدهما استكثار ما أتي اليه والآخر تخوفه مما هو أشد منه وكان يقال المحن آداب الله تعالى لخلقه وتأديب الله يفتح القلوب والاسماع والابصار * ووصف الحسن بن سهل المحن فقال معها تمحيصٌ من الذنوب وتنبيهٌ من الغفلة وتعرضٌ للثواب بالصبر وتذكيرٌ بالنعمة واستدعاءٌ للتوبة وفي نظر الله عز وجل وقضائه الخيار و بلغني هذا الخبر على وجه آخر وقرىء على أبي بكر الصولي وأنا أسمع في كتابه كتاب الوزراء حدثكم أبو ذكوان القاسم بن اسماعيل قال سمعت ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول يصف الفضل بن سهل و يذكر تقدمه وعلمه وكرمه وكان مما حدثني به أنه برأ من علة كان فيها فجلس للناس فهنوه بالعافية فلما فرغ الناس من كلامهم قال الفضل ان في العلل لنعماً لا ينبغي للعقلاء أن يجهلوها تمحيصٌ للذنوب وتعرّضٌ لثواب الصبر وايقاظٌ من الغفلة واذكارٌ بالنعمة في حال الصحة واستدعاءٌ للمثوبة وحضٌ على الصدقة وفي قضاء الله تعالى وقدره بعد الخيار * كتب محمد بن الحنفية

الى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حين سيره ابن الزبير عن مكة الى الطائف أما بعد فقد بلغني أن ابن الزبير سيرك الى الطائف فاحدث الله لك بذلك ذخرًا وحطَّ عنك به وزرًا يا ابن عم انما يبتلى الصالحون وتعدُّ الكرامة للاخيار ولو لم تؤجر الاَّ فيما تحبُّ لقلَّ الاجرُ وقد قال الله تبارك وتعالى وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ عزم الله لنا ولك بالصبر على البلاء والشكر على النعماء ولا أشمتَ بنا عدوًّا والسلام ٭ كتب بعض الكتاب الى صديق له في محنة لحقته ان الله تبارك وتعالى ليمتحن العبد ليكثر التواضع له والاستغاثة به ويجدد الشكر على ما يوليه من كفايته ويأخذ بيده في شدته لان دوام النعم والعافية تبطر الانسان حتى يعجب بنفسه ويعدل عن ذكر ربه وقد قال الشاعر

لا يترك الله عبدًا لا يذكره ٭ بمن يؤدبه ومن يؤنبه
في نعمة تقتضي شكرًا يدوم له ٭ أو نقمة حين ينسى الشكر ينكبه

وقال الحسن البصريُّ رحمه الله الخير الذى لاشرَّ فيه الشكر مع العافية والصبر عند المحنة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى بمحنة وهو صابر والجزع لاينفع مالم تنصرم أيام المحنة ٭ وكان ابن شبرمة اذا نزلت به شدة قال سحابة ثم تنقشع ٭ وقال بعض الحكماء آخر الهم أولُ الفرج ٭ وكان جعفر بن سليمان يقول جربناه فوجدناه كذلك ٭ وذكر القاضي أبو الخير في كتابه قال حدثنا الحسن بن مكرم يرفعه عن أبي هريرة رضي الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إِنِّي لأَنْ أَكُونَ فِي شِدَّةٍ أَتَوَقَّعُ بَعْدَهَا رَخَاءً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ فِي رَخَاءٍ أَتَوَقَّعُ بَعْدَهُ شِدَّةً وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير اسناد انه قال لَوْ كَانَ الْعُسْرُ فِي كُوَّةٍ لَجَاءَ يُسْرَانِ فَأَخْرَجَاهُ قال مؤلف هذا الكتاب كان لي في هذا الحديث خبر ظريف وذلك أني كنت

قد لجأت الى البطيحة هارباً من نكبة لحقتني فاعتصمت بأميرها معين الدولة أبي الحسن بن عمران بن شاهين السلمي فألقيت هناك جماعة من معارفي بالبصرة وواسط خائفين على أنفسهم قد هربوا من ابن نعية الذي كان في الوقت وزيراً ولجؤا الى البطيحة فكنا نجتمع في الجامع فنتشاكى أحوالنا ونتمنى الفرج مما نحن فيه من الخوف والشدة والشقاء فحدث أبو الحسن بن حيشان التاجر الصالحي قال حدثني أبو محمد الحسن بن عثمان بن قنيف بالاسناد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دخلَ العسرُ كوّةً لجاء يُسرَانِ فأخرَجاهُ فلما سمعت ذلك فكرت ساعة ثم عملت بيتين من الشعر

انا روينا عن النبي رسول الا ٭ ـه فيما افيد من أدبهْ

لو دخل العسر كوة لاتى يسـ ٭ ـران فاستخرجاه من ثقبهْ

فما مضى على هذا المجلس الا أربعة أشهر حتى فرج الله عني وعن كثير ممن حضر ذلك المجلس وردنا الله تعالى الى عوائده الجميلة عندنا فالحمد والشكر لله رب العالمين ووجدت هذا الخبر على غير هذا فقد حدثت عن ابن مسعود أنه قال لو أن العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتي يدخل معه قال الله تبارك وتعالى فإنَّ معَ العسرِ يسرًا إنَّ معَ العسرِ يسرًا ٭ روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق البلاء يكون الرخاء ومع العسر يكون يسر وروي عنه كرم الله وجهه أنه قال ما أبالي باليسر رُميت أو بالعسر لان حق الله عز وجل في العسر الرضا والصبر وفي اليسر البرّ والشكر قال مؤلف هذا الكتاب حدثني بعض الشيعة بغير اسناد قال قصد أعرابي أمير المؤمنين علياً عليه السلام فقال اني لذو محن فعلمني شيئاً أنتفع به فقال يا أعرابي ان للمحن أوقاتا ولها غايات فاجتهاد العبد في محنته قبل ازالة الله تعالى اياها يكون زيادة فيها لقوله تعالى إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ

اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ لكن استعن بالله واصبر واكثر من الاستغفار فان الله عزوجل وعد الصابرين خيرًا كثيرًا وقال اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا فانصرف الرجل فقال أمير المؤمنين كرم الله وجهه

اذا لم يكن عونٌ من الله للفتى ٭ فاكثر ما يجني عليه اجتهادُهُ

٭ حدثنا أبو محمد الحسين بن محمد المهلبي في وزارته قال كنت في وقتٍ من الاوقات قد وقعت لي شدة شديدة وخوف عظيم لاحيلة لي فيه فأقمت ليلتي قلقًا ولم أعرف الغمض فلجأت الى الصلاة والدعاء وأقبلت على البكاء في سجودي والتضرُّع ومسئلة الله تعالى ففرج عني ما كنت فيه على أفضل ما أردت فقلت شعرًا

بعثت الى رب العطاء رسالة ٭ تؤمل لي فيها دعاء مناصح
فجاء جوابي بالاجابة فانجلت ٭ بها كرب ضاقت بهن جوانحي

عن علي كرّم الله وجهه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتدّي أزمةُ تنفرجي ٭ قيل أراد جعفر بن محمد بن علي الحج فمنعه المنصور فقال الحمد لله الكافي سبحان الله الاعلى حسبي الله وكفى ليس من الله منجى ماشاء الله قضي ليس وراء الله منتهى توكلت على الله ربي وربكم مامن دابةٍ الاّ هوَ آخذٌ بناصيتها انّ ربي على صراطٍ مستقيمٍ اللهم ان هذا عبدٌ من عبيدك خلقته كما خلقتني ليس له علي فضل الا مافضلته به عليّ فاكفني شره وارزقني خيره واقدح لي المحبة في قلبه واصرف عني أذاه لا اله الا أنت سبحان الله رب العرش العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله كثيرًا قال فأذن له المنصور في الحج

الباب الثالث

﴿ من بشر بالفرج فنجا من محنه بقولٍ أو دعاءٍ او ابتهالٍ ﴾

أخبرني الصولي قال حدثنا البرّ القاضي قال رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرع لها فجاء الناس يعزّونها فرفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم أنت المأمول لاحسن الخلف و بيدك العوض عما تلف فافعل ما أنت أهله فان أرزاقنا عليك وآمالنا منصرفة اليك قال فلم أبرح حتى مرّ رجل من الاجلاء فحدث بما كان لها فوهب لها خمسمائة دينار ٭ حدثني أبي في المذاكرة من لفظه وحفظه ولم اكتبه عنه في الحال وعلق بحفظي والمعنى واحد ولعل اللفظ يزيد أو ينقص عن أبي محمد عبدالله بن أحمد بن حمدون نديم المعتضد بالله قال حدثني أبي عن المعتضد أنه قال لما سعى اسماعيل بن بلبل بيني وبين أبي الموفق فأوحشه مني حتى حبسني الحبسة المشهورة وكنت أتخوف القتل صباحاً ومساءً ولا آمن أن يرفع عني اسماعيل مايزيد في غيظ الموفق عليّ فيأمر بقتلي فكنت كذلك حتى خرج الموفق الى الجند فازداد خوفي وأشفقت أن يكاتبه اسماعيل عني بكذب يجعل غيبته طريقاً اليه ويأمر بقتلي فأقبلت على الدعاء والتضرع الى الله تعالى والابتهال في تخليصي وكان اسماعيل يجيئني في كل يوم مراعياً خبري ويوريني أن ذلك خدمة لي فدخل اليّ يوماً وبيدي المصحف وأنا أقرأ فتركته وأخذت أحادثه فقال أيها الامير أعطني المصحف لآخذ فألك منه فلم أجبه بشيء فأخذ المصحف ففتحه وكان في أول سطرٍ منه عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فاسود وجهه واربد ثم خلط الورق ففتح المصحف ثانية فخرج وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ فازداد ولهاً واضطراباً وفتح المصحف ثالثةً فخرج

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فوضع المصحف وقال أنت الخليفة والله بلا شك فما حق بشارتي عليك فقلت الله الله في دمي واسأل الله أن يبقي أمير المؤمنين الامير الناصر الموفق وما لنا وهذا ومثلك في عقلك لا يطلق مثل هذا القول بمثل هذا الاتفاق قال فأمسك وما زال يحادثني ويخرجني من حديث ويدخلني في حديث الى أن جرى حديث مابيني وبين أبي فأقبل يحلف بالايمان الغليظة أنه لم يكن له في أمري صنع ولا سعاية علي بمكروه فصدقته ولم أزل أخاطبه بما تطيب به نفسه خوفاً من أن يزيد وحشة فيسرع الى التدبير في تلفي الى أن انصرف ثم صار أي وقت جاءني . خذ معي في الاعتذار والتنصل وأنا أظهر التصديق له والتقبل حتى سكن ولم يشك اني معتقد لبراءة ساحته فما كان بأسرع من أن جاء الموفق وقد اشتدت علته ومات فأخرجني الغلمان من الحبس فصيروني مكانه وفرج الله عني وفاجأني بالخلافة ومكنني من عدو الله وعدوي اسماعيل فأنفذت الحكم فيه ٭ حكي عن عبدالله بن سليمان بن وهب عن أبيه أنه قال أصبحت يوماً وأنا في حبس محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق آيس ما كنت من الفرج وأشد محنة وغماً حتي وردت عليّ رقعة أخي الحسن بن وهب ونسختها

محن أبا أيوب أنت محلها ٭ فاذا جزعت من الخطوب فمن لها
ان الذى عقد الذي انعقدت به ٭ عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب فرجةً ٭ ولربما ان تنجلي ولعلها
وعسي تكون قريبة من حيث لا ٭ ترجو وتمحو عن جديدك ذلها

قال فتفاءلت بذلك وقويت نفسي فكتبت له

صبرتني ووعظتني فأنا لها ٭ وستنجلي بل لا أقول لعلها
ويحلها من كان صاحب عقدها ٭ ثقة به اذ كان يحسن حلها

قال فلم أُصلِّ العتمة ذلك اليوم حتى اطلقت فصليتها في داري ووجدت في هذا الخبر ان هذه الرقعة وقعت في يد الواثق من الابتداء والجواب فأمر باطلاق سليمان وقال والله لا تركت الفرج يموت في حبسي لاسيما من خدمني فأطلقه وابن الزيات كاره لذلك * روي أن الحسن البصري دخل على الحجاج واسط فرأى بناءه فقال الحمد لله ان هؤلاء الملوك ليرون في أنفسهم عِبرًا وانا لنرى فيهم عِبرًا يعمد أحدهم الى قصر فيشيده وفرس فيتخذه وقد حف به ذباب طمع وفراش نار ثم يقول ألا فانظروا ماصنعت فقد رأينا ياعدو الله ما صنعت فماذا يا أفسق الفاسقين أما أهل السماء فمقتوك وأما أهل الارض فلعنوك ثم خرج وهو يقول انما أخذ الله الميثاق على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فتغيظ الحجاج عليه غيظًا شديدًا وقال يا أهل الشام هذا عبيد أهل البصرة يدخل عليّ فيشتمني في وجهي فلا يكون لذلك مغير ولا نكير والله لاقتلنه فمضى أهل الشام الى الحسن فحملوه الى الحجاج وعرف الحسن ماقاله فكان طول طريقه يحرك شفتيه فلما دخل وجد السيف والنطع بين يدي الحجاج وهو متغيظ فلما رآه الحجاج كلمه بكلام غليظ فرفق به الحسن ووعظه فأمر الحجاج بالسيف والنطع فرفعا ولم يزل الحسن يمر في كلامه حتى دعا الحجاج بالطعام فاكلا وبالوضوء فتوضأ وبالغالية فغلفه بيده وصرفه مكرمًا قال صالح بن سمار فقيل للحسن بم كنت تحرك شفتيك قال قلت ياغياثي عند دعوتي وياعدتي في ملمتي ويارَبي عند كربتي وياصاحبي في شدتي وياوليي في نعمتي ويا الهي واله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى وعيسى ويارب النبيين كلهم أجمعين ويارب كهيعص وطه وطس ويس ويارب القرآن الحكيم صل على محمد وآله الطيبين الطاهرين وارزقني مودة عبدك الحجاج وخيره ومعروفه واصرف عني أذاه وشره ومكروهه ومعرته قال صالح فما دعونا بها في شدة الا فرج عنا * حدثنا علي بن أبي الطيب قال حدثنا بن الجراح قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثنا الفضل بن يعقوب قال لما اخذ أبو جعفر المنصور اسماعيل بن أمية أمر به

الى السجن فمر على حائط مكتوب عليه ياولي في نعمتي وصاحبي في وحدتي وعدتي في كربتي فلم يزل يدعو بها حتى خلى سبيله فمر على ذلك المكان فلم ير شيئاً مكتوباً * حدثني أبو القاسم محمد بن احمد الاثرم المقري باسناده ان عبدالملك بن مروان كتب الى عامله بالمدينة هشام بن اسماعيل ان الحسن بن الحسن قد كاتب أهل العراق فاذا جاءك كتابي هذا فابعث اليه الشرط فليأتوا به قال فأتوا به فشغله عنه شيء فقام اليه علي بن الحسين وقال له يا ابن العم قل كلمات الفرج يفرج الله عنك وهي لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين قال وانصرف علي بن الحسين وأقبل الحسن يكررها فلما فرغ هشام من قراءة الكتاب ونزل قال أرى وجهاً قد قذف بكذبة خلوا سبيله وأنا أراجع أمير المؤمنين فيه فأخروه وكتب الى عبدالملك فكتب اليه فأطلقه بعد أيام * وروي في الاخبار أنه كان في بني اسرائيل رجل في صحراء قريبة من جبل يعبد الله عز وجل فيها اذ مثلت له حية وقالت قد فجأني من يريد قتلي فأجرني أجارك الله واخبئني قال فرفع ذيله وقال ادخلي فتطوقت على بطنه وجاء رجل بسيف وقال يارجل حية هربت مني الساعة أردت قتلها فهل رأيتها فقال ما أرى شيئاً فانصرف الرجل فقال العابد لها اخرجي فقد أمنت قالت بل أقتلك وأخرج فقال لها الرجل ليس هذا جزائي منك قالت لابد قال فامهليني حتى آتي سفح هذا الجبل فأصلي ركعتين وأدعو الله وأحفر لنفسي قبراً فاذا نزلته فشأنك وما تريدين قالت افعل وبقيت معلقة بجسمه فصلى بسفح الجبل ودعا الله فأوحى الله اليه اني قد رحمت ثقتك بي ودعاءك اياي فاقبض على الحية فانها تموت في يدك ولا تضرك ففعل ذلك فنجا وعاد الى موضعه وتشاغل بعبادته ووقعت لي هذه الحكاية على سياقة أخرى وذلك ان الرجل خبأ الحية في جوفه فقالت له الحية اختر مني احدى خصلتين أن أنكتك نكتة فأقتلك أو اكرث كبدك فتلقيها من أسفل قطعاً قال والله ما كافأتيني قالت فلم تضع المعروف عند من لا يعرفه وقد

عرفت عداوة مابيني وبين أبيك قديماً وليس معي مال فأعطيك ولا دابة فأحملك فبهذا اكافئك قال فامهليني حتي آتي سفح الجبل وامهد لنفسي قبراً فبينما هو يمشي اذا فتى حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فقال له ياشيخ مالي أراك مستسلماً للموت آيساً من الحياة قال من عدو في جوفي يريد هلاكي فاستخرج شيئاً من كمه فدفعه اليه وقال كله فلما أكله وجد مغصاً شديداً ثم ناوله أخرى فأكلها فرمي بالحية من أسفله قطعاً فقال له من أنت يرحمك الله فما أحد أعظم منة علي منك قال أنا المعروف الذي صنعت لان أهل السماء لما رأوا غدر الحية بك اضربوا كلٌّ يسأل ربه أن يغيثك قال الله عز وجل يامعروف أدرك عبدي فاياي أراد بما صنع ٭ بلغني أن رجلاً جنى على عهد عبدالملك بن مروان جناية فأهدر دمه وأمر بطلبه وأهدر دم من يأويه فتحاماه الناس فكان يأوي الجبال والمفاوز مستخفياً لايذكر اسمه ويضاف اليوم واليومين فاذا عرف طرد فقال الرجل كنت يوماً أسيح في بطن واد فاذا بشيخ أبيض عليه ثياب بيض قائم يصلي فقمت فصليت الى جانبه فلما سلم قال لي من أنت فقلت رجل أخافني السلطان وقد تحاماني الناس ولم يجرني أحد فأنا أسيح في هذه البرية خائفاً على نفسي قال فأين أنت من السبع قلت وأي سبع قل تقول سبحان الله الواحد الذي ليس غيره سبحان الدائم الذي لايعاد له شيء سبحان القائم القديم الذي لابدء له سبحان الذي يحيي ويميت سبحان الذي كل يوم هو في شأن الذي خلق مايرى ومالايرى سبحان الذي علم كل شيء بغير تعليم اللهم اني أسألك بحق هذه الكلمات وحرمتهن أن تفعل بي كذا وكذا فأعادهن علي حتى حفظتهن قال الرجل وفقدت صاحبي فألقى الله عز وجل الامن في قلبي فخرجت من وقتي متوجهاً الى عبدالملك بن مروان حتى وقفت ببابه واستأذنت فأذن لي فلما دخلت قال أوقد تعلمت السحر قلت لا يا أمير المؤمنين ولكنه كان من شأني كذا وكذا وقصصت الخبر فأمنني وأحسن اليّ ٭ أخبرني بعض أصحابنا أن صديقاً له من الكتاب دفع الى محنة صعبة فكان من دعائه ياكاشف الضر بك استغاث من

اضطرّ قال ورأيته قد نقشه على فص خاتمه وكان يردد الدعاء به فكشف الله عز وجل محنته عن قرب ٭ حدثني علي بن هاشم قال حدثني احمد بن محمد قال مؤلف هذه الكتاب قال لي أبو القاسم عيسى بن علي في كلام جرى بيننا غير هذا طويل كان احمد بن محمد أشار على المقتدر وقد اشتشاره فيمن يقلده الوزارة قال فأسميت له نفرًا وقال سمعت عبيد الله بن سليمان بن وهب يقول كان المتوكل من أغلظ الناس على ايتاخ فذكر فيه حديثًا طويلاً وصف فيه كيف قبض المتوكل على ايتاخ وابنه ببغداد لما رجعا من الحج بيد اسحاق بن ابراهيم ابن مصعب قال فيه قال سليمان ابن وهب وساعة قبض علي ايتاخ ببغداد قبض عليّ بسرّ مَنْ رأى وسلمت الى عبيد الله بن يحيى وكتب المتوكل الى اسحاق ابن ابراهيم بدخوله بسرّ مَن رأى ليتقوى به على الاتراك لانه كان معه بضعة عشر الفًا لكثرة الظاهرية بخراسان وشدة شوكتهم فلما دخل اسحاق أمر المتوكل بتسليمي اليه وقال هذا عدوي ففصل عظامه هذا كان يلقاني في أيام المعتصم فلا يبدأني بالسلام وأبدأه لحاجتي فيرد عليّ كما يرد المولى على عبده وكل ما دبره ايتاخ فعن رأيه فأخذني اسحاق وقيدني بقيد ثقيل وألبسني جبة صوف وحبسني في كنيف وأغلق عليّ خمسة أبواب فكنت لا أعرف الليل من النهار فأقمت كذلك نحو عشرين يومًا لا يفتح عليّ الباب الا حملة واحدة في كل يوم وليلة ويدفع الي فيهما خبز شعير وملح وماء حار فكنت آنس بالخنافس وبنات وردان وأتمنى الموت لشدة ما أنا فيه فعرض لي ليلة من الليالي أن أطلت الصلاة وسجدت ودعوت الله عز وجل بالفرج وقلت في دعائي اللهم ان كنت تعلم أنه كان لي في دم نجاح بن مسلمة صنعٌ فلا تخلصني مما أنا فيه وان كنت تعلم أنه لاصنع لي فيه ولا في غيره من الدماء التي سفكت ففرج عني فما استممت الدعاء حتى سمعت صوت الاقفال تفتح فلم أشك في أنه القتل ففتحت الابواب وجيء بالشمع وحملني الفراشون لثقل حديدي فقلت لحاجبه سألتك بالله أصدقني عن أمري فقال ما أكل الامير اليوم شيئًا لان أمرك غليظ وذلك ان أمير المؤمنين

وبخه يسبيك وقال سلمت اليك سليمان بن وهب لتسمنه أو تستخرج ماله فقال الامير أنا صاحب شرطة وسيف ولا أعرف وجوه المناظرة على الاموال وان تقرروا أمره على شيء طالبته به فأمر الكتاب بالاجتماع عند الامير لمناظرتك والزامك مايؤخذ به خطك وتطالب به وقد اجتمعوا واستدعيت لذلك قال فحملت الى مجلس اسحاق فاذا فيه موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج والحسن بن محمد صاحب ديوان الضياع واحمد بن اسرائيل الكاتب وأبو نوح وعيسى بن ابراهيم كاتب الفتح بن خاقان وداود بن الجراح صاحب الزمام فطرحت في آخر المجلس فشتمني اسحاق بن ابراهيم أقبح شتم وقال يافاعل ياصانع تعرضني لاستبطاء أمير المؤمنين والله لأفرق بين لحمك وعظمك ولاجعلن بطن الارض أحب اليك من ظهرها أين الاموال التي جمعتها من غير وجهها فاحتججت بنكبة ابن الزيات فبدأني الحسن بن محمد فقال أخذت من الناس أضعاف ما أديت وعادت يدك الى كتبة ايتاخ فأخذت ضياع السلطان واقتطعتها لنفسك وحزتها سرقة اليك وأنت تستغلها الفي الف درهم وتتزيا بزي الوزراء وقد بقيت عليك جملة من تلك المصادرة لم تؤدها وأخذت الجماعة تواجهني بكل قبيح الا موسى بن عبد الملك فانه ساكت لصداقة كانت بيني وبينه فأقبل من بينهم علي اسحاق فقال ياسيدي تأذن لي في الخلوة لافصل الامر فقال له اسحاق افعل فاستدناني فحملت اليه فسار اليّ وقال عز بز عليّ يا أخي حالك وبالله لوكان خلاصك بنصف ما أملكه لافتديتك به ولكن صورتك قبيحة وان خالفتني فأنت والله هالك فقلت لا أخالفك فقال الرأي أن تكتب خطك بالتزام عشرة آلاف الف درهم تؤديها في عشرة أشهر كل شهر الف الف درهم وتتزفه عاجلاً مما أنت فيه فسكتُّ سكوت مبهوتٍ فقال لي مالك فقلت والله ما أرجع الى ربعها الا بعد بيع عقاري ومن يشتري مني وأنا منكوب وكيف يتوفر الثمن فقال أنا أعلم أنك صادق ولكن احرس نفسك عاجلاً بعظم ماتبذله ويطمع فيه من جهتك وأنا من وراء الحيلة لك في شيء أميل به رأي

الخليفة الى صلاحك والله المعين ومن ساعة الى ساعة فرج والا تعجل الموت ولا تستفيد الراحة مما أنت فيه يوماً فقلت لست أتهم ودك ولا رأيك وأنا اكتب فأقبل على الجماعة وقال ياساداتي اني قد أشرت عليه أن يكتب بشيء لاطاقة له باكثر منه ورجوت أن نعاونه بأموالنا وجاهنا ليمشي أمره وقد أوقفته ليكتب بكذا وكذا فقالوا الصواب أن تفعل هذا فدعا له بدواة وقرطاس وأخذ خطه بالمال فلما أخذ قام موسى بن عبد الملك وقال لاسحاق ياسيدي هذا رجل قد صار للسلطان عليه مال وسبيله أن يرفه ويحرس نفسه وينقل عن هذه الحال ويغير زيه ويرد جاهه بانزاله في دار كبيرة واخدامه بفرش وآلة حسنة ويمكن من يؤثر لقاءه من أهله وولده وحاشيته ومعامليه ليجد في تمحل الاموال وتبعة الناس و بيع أملاكه ويرتجع ودائعه ممن هي عنده فقال اسحاق أفعل ذلك الساعة وغداً أخرجه الى دار كبيرة كما وصفت وأمكنه من جميع ما التمست له ونهضت الجماعة فأمر اسحاق بأخذي في الحال وادخالي الحمام وجاؤني بخلعة نظيفة فلبستها و بخور طيب فتبخرت واستدعاني اسحاق فلما دخلت اليه نهض الي ولم يكن في مجلسه أحد واعتذر الي مما خاطبني به وقال أنا صاحب سيف ومأمور ولقد لحقني اليوم من أجلك سماع كل مكروه حتى امتنعت والله عن الطعام بأن ابتلى بقتلك أو يعتب الخليفة علي من أجلك وانما خاطبتك بذلك اقامة عذر عند هولاء الاشراف ليبلغوا الخليفة ذلك وجعلته وقاية لك من الضرب والعذاب فشكرته وقلت ماحضرني من الكلام فلما كان من غد حولني الى دار كبيرة حسنة مفروشة ووكل عليّ فيها باحسان واجلال واستدعيت كل من أردت وتسامع الناس بأمري وجاؤني ففرج عني ومضت سبعة وعشرون يوماً وقد أعددت الف الف درهم وأنا أتوقع أن يرد المحل فأطلب فأؤدي المال واذا أنا بموسى بن عبد الملك قد دخل الي فقمت اليه فقال أبشر فقلت ما الخبر فقال ورد كتاب صاحب مصر ببلغ مالها لهذه السنة مجملاً ومبلغ الجمل في النفقات ببلغ ذلك حساباً مفصلاً فقرأ عبيد الله ذلك على أمير المؤمنين فوقع الي باخراج

مال مصر ليعرف آثار العامل فأخرجتها من ديوان الخراج والضياع لان ضياع مصر تجري في ديوان الضياع وتجري في ديوان الخراج وينفد حسابها الى الدواوين كما علمت فجعلت سنتك التي توليت فيها عمالة مصر مصدرة وأفردت بعدها السنين الناقصة عن سنتك توصلا في خلاصك وجعلت أقول النقصان في سنة كذا وكذا من التي صدرتها كذا وكذا فلما قرأ عبيد الله المفصل علي المتوكل قال فهذه السنة الوافرة من كان يتولاها فقلت يا أمير المؤمنين سليمان ابن وهب فقال المتوكل لم لا يرد اليها فقلت ياأمير المؤمنين وأين سليمان بن وهب ذاك مقتول بالمطالبة قد استصفي وافتقر فقال تزال عنه المطالبة ويعاون بمائة الف درهم ويعجل اخراجه فقلت يا أمير المؤمنين وترد ضياعه ليرتفع جاهه قال ونفعل ذلك وقد تقدم الى عبيد الله بذلك واستأذنته في ان أجيئك وأخرجك فاذن لي فقم بنا الى الوزير قال وقد كان أرسل الي اسحاق برسالة الخليفة يأذن له في اطلاقي فخرجت من وقتي ولم أؤد من المال حبة واحدة ورددته الى موضعه وجئت الى عبيد الله فوقع لي بمائة الف معونة على سفري ودفع الى عهد مصر فخرجت اليها مسرورا * حدثني عبيد الله الاسناتي قال أحزنني امر ضقتُ به ذرعا فاتيت يحيى بن خالد الازرق وكان مستجابَ الدعوة فرآني مكروبا قلقا فقال ماشأنك قلت دفعت الي كيت وكيت فقال استعنْ بالله واصبرْ فان اللهَ جل جلاله وعدَ الصابرين أجرًا فقلت ادعُ الله فحرك شفتيه بشيء لا أعلم ما هو فانصرفت على جملة قلقي فبت بليلة عظيمة فلما أصبحت أتاني الله بالفرج * حدثني احمدُ بنُ عبد الله بن داسة قال اعتلت علة عظيمة يَئستُ فيها من نفسي فعادَني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري فقال كان سهل يدعو في علله بدعاء ما دعا به أحد الا عوفي فقلت ما هو فقال اللهمّ اشفني بشفائكَ وداوني بدوائك وعافني من بلائك فواصلتُ الدعاء فعوفيتُ * حدثني ابو الحسن احمد بن يوسف الازرق قال حدثني أبو الحسين البوابُ المقرِي قال كان يصحبنا على القرآن رجل مستورٌ صالح يكني ابا احمد وكان يكتب كتب العطف للمستورين من الناس فحدثني

قال بقيت يوماً بلاشي وانا جالس في دكاني فدعوت الله عز وجل ليسهل لي سبباً فما استتمت الدعا حتى فتح باب دكاني غلامٌ امرد حسن الوجه جداً فسلم بادب حسن وجلس فقلت ما حاجتك فقال أنا عبد مملوك وقد طردني مولاي وغضب عليَّ وقال انصرف عني الى حيث شئت وما أعددت لنفسي من ان أطرحها عليه في مثل هذا الوقت ولا أعرف من أقصده وقد بقيت متحيراً في امري وقد قيل لي انك تكتب كتاب العطف فاكتب فكتبت الكتاب الذي كنت اكتبه

وهو بسم الله الرحمن الرحيم الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الى آخر السورة والمعوذتين وآية الكرسي ولَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ الى آخر السورة وكتبت آيات العطف لَوْ أَنْفَقْتَ مَافِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ اخْوَاناً

الى قوله لعلكم تهتدون وقلت له خذ هذه الرقعة فشدها على عضدك الايمن ولا تعلقها عليك الا اذا كنت طاهرا قال فأخذها وقام ووضع بين يدي دينارا عينا فتداخلني رحمة له فصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل ان ينفعه بالكتاب ويرضي عليه قلب مولاه وجلست فما مضت الا ساعتان فاذا بأبي الجود خليفة عجيف غلام ناذوك وكان على الشرطة قد جاءني فقال أجب الامير ناذوك قال فخفت فقال لا ترع واركبني بغلاً وجاء بي الى دار ناذوك فتركني في الدهليز ودخل فلما كان بعد ساعة ادخلت الى ناذوك فاذا هو جالس في دست عظيم وبين يديه الغلمان قياماً نحو ثمانية غلام واكثر وكاتبه ابو القاسم جالس

بين يديه ورجل لا اعرفه فارتعت واهويت لاقبل الارض فقال مه عافاك الله لا تفعل هذه من سنن الجبارين ما نريد نحن هذا اجلس يا شيخ لاتخف قال فجلست فقال جاءك اليوم غلام أمرد فكتبت له كتاباً للعطف فقلت نعم قال فاصدقني عما جرى بينكما حرفاً حرفاً قال فأعدته عليه حتى لم اخرم منه حرفاً وتلوت عليه الآيات قال فلما قلت له ان الغلام قال انا عبد مملوك وما اعددت لنفسي من اقصده لهذا الحال ولا اعرف جهة ألجأ اليها وقد طردني مولاي بكيت أنا لما تداخلني من رحمتي للفتى ومحبتي للدينار الذي أعطانيه قال فدمعت عين ناذوك ثم تجلد واستوفى الحديث وقال قم يا شيخ بارك الله فيك وعليك ومهما عرضت لك حاجة أو لجارك أو لصديقك فاسألني اياها فاني اقضيها ان شاء الله تعالى وا كثر الحضور عندنا وانبسط في هذه الدار فانك غير محجوب عنها فدعوت له وخرجت فلما صرت خارج باب المجلس اذا بغلام قد أعطاني قرطاساً فيه ثلثمائة درهم فأخذته وخرجت فلما صرت في الدهليز اذا بالفتى فعدل بي الى موضع وأجلسني فقلت ماخبرك قال أنا غلام الامير وكان قد غضب علي وطردني فجئتك فلما جلست عندك طلبني فرجعت فاذا برسل قد انبثوا في طلبي فلما حضرت قال أين كنت فحدثته فلم يصدقني فطلبك فلما حدثته بمثل ماحدثته أنا حرفاً بحرف وخرجت الساعة احضرني وقال يابني انك الساعة من أجل غلماني عندي وأمكنهم من قلبي وأخصهم بي اذ كنت لما عاملتك بهذا ماغيرك ذلك عن محبتي والرغبة في خدمتي وطلب الحيل في الرجوع الي وانكشف لي انك ما أعددت لنفسك بعد الله عز وجل سواي ولا عرفت وجهاً تلجأ اليه في الدنيا غيري فما ترى بعد هذا الا كل ماتحبه وسأ على منزلتك وأبلغ بك أعلى مراتب نظرائك ولعل الله عز وجل استجاب فيك دعاء هذا الشيخ ونفعك بالآيات من القرآن العظيم فبأي شيء كافأت الرجل فقلت ما أعطيته غير ذلك الدينار فقال سبحان الله قم الى الخزانة وخذ ماتريد واعطه فأخذت هذا من الخزانة وجئتك به واعطاني خمسمائة درهم وقال الزمني فاني احسن اليك

ان شاء الله تعالى فجئته بعد مدة فاذا هو قائد جليل وصار لي عدة على الزمان
* قال وحدثنا أبو الحسن محمد بن محمد المعروف بابن المهتدين قال حدثني أبو مروان
الحامدي قال لما ظلمَ الناسَ بواسط احمد بن سعيد الكوفي وهو اذ ذاك يتقلدها
لناصر الدولة وقد تقلد ناصر الدولة امرة الامراء ببغداد كنت احدَ من ظُلم ظلامتي
وأخذ من ضيعي بالحامدية نيفا وأربعين كرا ارزا بالنصف من حق الدهقنة بغير
تأويل سوى ما أخذه من حق بيت المال وظلمَ فيه فتظلمتُ اليه وكلمته فلم ينصفني وكان
الكر الارز بالنصف اذ ذاك يساوي ثلاثين دينارًا فقلت له قد أخذ سيدنا ايده
الله مني ما أخذ والله ماعندي انا وعيالي شيء سواه ومالي ما أقوتهم به باقي
سنتي ولا ما أعمر به ضيعتي وقد طابت نفسي ان يطلق لي من جملته عشرة اكرار
وأجعل الباقي له حلالا فقال لا أفعل وبكيت بين يديه وقبلت يده ورققته وقلت
فهب لي ثلاثة اكرار وتصدق بها علي وأنت من جميعه في حل فقال والله ولا رزة
واحدة قال فتحيرت وقلت له فاني أتظلم الى الله عز وجل منك فقال كن على
ظلامتك يكررها دفعات ويكسر الميم بلسان أهل الكوفة فانصرفت محترق القلب
منقطع الرجاء فجمعت عيالي وما زلت أدعو الله عليه ليالي كثيرة فهرب من واسط
في الليلة الحادية عشرة من أخذ الارز فجئت الى البيدر وأرزي مطروح فيه وأخذته
وحملته الى منزلي وما عاد الكوفي الى واسط ولا أفلح * حدثني غير واحد من
الكتاب عمن سمع أبا علي بن مقلة لما عاد من فارس وزيرًا يتحدث قال من
ظريف ما اتفق في نكبتي هذه التي أدتني الى الوزارة أني اصبحت وأنا محبوس
مقيد في حجرة من دار ياقوت أمير فارس وقد لحقني من الاياس من الفرج
وضيق الصدر بها ما أقنطني وكاد يغلب على عقلي وكنت أنا وفلان محبوسين
مقيدين في بيت واحد من الحجرة الا أنا على سبيل ترفيه واكرام فدخل علينا كاتب
لياقوت كان كثيرًا ما يجيئنا برسالته فقال الامير يقرأ عليكما السلام ويعرف أخباركما
ويعرض عليكما قضاء أي حاجة كانت لكما فقلت له تقرأ على الامير السلام وتقول له
قد ضاق والله صدري واشتهيت ان اشرب على غناء طيب فان جاز ان يسامحنا بذلك

سرًّا فيتخذ به عندنا منة وبرا تفضل بذلك قال والمحبوس معي يخاصمني ويقول ياهذا والله مافي قلوبنا فضل لهذا فقلت للكاتب أعد عني ماقلت لك قال السمع والطاعة ومضى ثم جاء وقال الامير يقول لك حبًا وكرامة لك وعزازة أي وقت شئت فقلت الساعة فلم يمض الا ساعة حتى جاؤا بالطعام فأكلنا والمشام والفاكهة والنبيذ وصفف المجلس فجلست والمحبوس معي مقيدًا وقلت له تعال حتى نشرب ونتفاءل بأول صوت يغنى به لنا فى هذه الساعة في سرعة الفرج مما نحن فيه فلعله يصح الفأل فقال أما أنا فلا أشرب فلم أزل ارفق به حتي شرب وجاءت المغنية فكان أول صوت غنته شعر

قواعد للبين الخليط لينبوا * وقالوا لراعي الذود موعدك السبتُ

ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة * وأفظع شيء حين يفجوك البغت

فقال لي ما هذا مما يتفاءل به وأي معنى فيه يدل على فرجنا فقلت ما هو الا فأل مبارك ولعل الله ان يفرق بيننا وبين هذه الحال التي نحن فيها بالفرج والصلاح يوم السبت قال وشربنا يومنا وسكرنا وانصرفت المغنية ومضت بقية أيام ذلك الاسبوع . فلما كان يوم السبت لم يمض من النهار الا دون ساعتين فاذا بياقوت قد دخل علينا فجأة فارتعنا وقمت اليه فقال أيها الوزير الله الله فيّ واقبل مسرعًا اليّ وعانقني واجلسني واخذ يهنيني بالوزارة فتهنيت ولم يكن عندي علم من شيء من الامر ولا مقدمة له فاخرج كتابًا قد ورد عليه من القاهر بالله يعلمه فيه تقليده اياي الوزارة ويأمره فيه بطاعتي وسلم اليّ كتابًا من القاهر بمثل ذلك يأمرني فيه بالنظر في أمر فارس والاولياء بها واستصحاب ما يمكنني من المال وتدبير أمر البلدة بما أراه والبدار الى حضرته فانه قد استخلف لي الى وقت حضوري الكلوباذى فحمدت الله تعالى وشكرته واذا الحداد واقف فتقدمت اليه بفك قيودي وقيود الرجل ففكت ودخلت الحمام وأصلحت من أمري وامر الرجل وخرجت فجلست ونظرت في الاعمال والاموال وجمعت مالاً جليلاً في مدة يسيرة وقررت أمور البلدة واستصحبت الرجل الى الحضرة حتي جلست هذا

المجلس وفرج الله عني وعنه في يوم السبت * وقال ابراهيم بن العباس كنت اكتب لاحمد بن ابي خالد فدخلت عليه يوماً فرأيته مطرقاً مفكراً مغموماً فسالته عن خبره فاخرج لي رقعة فاذا فيها ان حظية من أعز جواريه يخالف اليها وتوطىء فراشه غيره ويستشهد في الرقعة خادمين على ذلك كانا ثقتين عنده قال فدعوت الخادمين وسألتهما عن ذلك فانكراه فتهددتهما بالقتل فاقاما على الانكار فضربتهما فاعترفا بذلك على الجارية بكل ما في الرقعة واني لم اذق امس واليوم ذواقاً وقد هممت بقتل الجارية قال فوجدت بين يديه مصحفاً ففتحته فكان اول ما خرج فيه يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا الآيه قال فشككت انا في صحة الحديث وأريته ما خرج في الفأل وقلت دعني اتلطف في كشف هذا فخلوت باحد الخادمين وناجيته عن الامر فقال النار ولا العار وذكر ان امرأة احمد بن ابي خالد وجهت اليه بكيس فيه الف دينار وسألته الشهادة على الجارية وأمرته ان لا يذكر شيئاً الا بعد ان يقع به مكروه ليكون أثبت للخبر وأحضر الكيس مختوماً بخنم المرأة ودعوت بالآخر فخلوت به فاعترف بمثل هذا فبادرت الى احمد بالبشارة فما وصلت اليه حتى وردت رقعة الحرة تعلمه فيها ان الرقعة الاولى كانت من فعلها غيرة عليه من الجارية وان جميع ما فيها باطل وانها هي التي حملت الخادمين على ذلك وانها تائبة الى الله عز وجل من هذا الفعل وامثاله فجاءته براءة الجارية من كل جهة فسر بذلك وزال ما كان فيه وأحسن لي الجائزة * وقال الحسن بن الحسن ان عبدالله بن جعفر زوج ابنته فلما اراد ان يهديها الى زوجها خلا بها فقال اذا نزل بك الموت او أمر من أمر الدنيا فظيع فاستقبليه بان تقولي لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين قال الحسن بن الحسن فبعث الى الحجاج فقلتهن فلما مثلت بين يديه قال لقد بعثت اليك وانا اريد ان اضرب عنقك ودخلت الى وما من اهل بيت علي اكرم منك سل حاجتك * عن الشعبي قال كنت جالساً عند زياد فجاء رجل اليه يحمل ولم نشك في قتله فحرك الرجل

شفتيه بشيء لا ندري ما هو فخلي سبيله فقلت للرجل ما قلت قال قلت اللهمّ رب ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط ورب جبر يل وميكائيل واسرافيل ومنزل التوراة والانجيل والقرآن العظيم ادرأعني شرّ زياد فدرأ عني شره ٭ حدثني ابو عبدالله الحزنبل قال امر الرشيد بعض خدمه قال اذا كان الليلة فصر الى الحجرة الفلانية فافتحها فخذ من رأيت فائت به موضع كذا وكذا من الصحراء فانك تجد قليباً مفحوراً فارم به فيه وطمه بالتراب وليكن معك فلان الحاجب قال فجاء الى باب الحجرة ففتحها فاذا فيها غلام كانه الشمس الطالعة قال فجذبه اليه جذباً عنيفاً فقال له اتق الله فيّ فاني ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله ان تلقى جدي بدمي قال فلم يلتفت اليه وأخرجه الى الموضع قال فلما اشرف الفتى على التلف قال يا هذا انك على فعل ما لم تفعل أقدر منك علي رد مافعلت فدعني اصلي ركعتين وأمض ما امرت به فقال له شأنك وما تريد فافعل فقام الفتى فصلى ركعتين ثم سمعناه يقول ياخفي اللطف اغثني في وقتي هذا والطف بي بلطفك الخفي فلا والله ما استتم دعاءه حتى هبت ريح باردة وغبرة فلم ير بعضنا بعضاً ووقعنا لوجوهنا واشتغلنا بانفسنا عن الفتى ثم سكنت الريح والغبرة فرأينا الكواكب وطلبنا الفتى فلم نجده و رأيناقيوده مرمية بحضرتنا قال فقال الحاجب للخادم هلكناسيقع لامير المؤمنين انا اطلقناه فماذانقول لئن نحن كذبناه لم نأمن ان يبلغه خبر الفتى ولئن صدقناه ليعجلن المكروه علينا فقال احدهما للآخر لئن كان الكذب ينجى فالصدق أنجى فلما دخلوا عليه قال لهم ما فعلتما فقال الحاجب يا امير المؤمنين الصدق اولى ما اتبع ومثلي لا يجترىء ان يكذب على امير المؤمنين وانه كان من الخبر كذا وكذا فقصه عليه فقال الرشيد والله لقد تداركه اللطف الخفي والله لاجعلنها من مقدمات دعائي امض لشانك واكتم ما جرى ٭ عن ابى سلمة عبيد الله بن منصور قال جرت على رجل شدة هاضته فاج في الدعاء ذات ليلة فهتف به هاتف ياهذا قل ياسامع كل صوت ويا بارىء النفوس بعد الموت ويا من لا تغشاه الظلمات ويا من لا يشغله شيء عن شيء قال فدعا بها ففرج الله عنه ولم يسأل

ربه حاجة تلك الليلة الا اعطاه * عن اسحاق العرواني قال زحف الينا ابن ادمهمومرد عند مدينة الكرج في ثمانين فيلا فكادت تنقض الصفوف والخيول فكرب لذلك محمد بن القاسم فنادي عمران بن النعمان امير اهل حمص وأمر الاجناد فنهضوا فما استطاعوا فلما اعيته الامور نادى مرارًا لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فكف الله الفيلة بذلك وسلط عليها الحر فانضجها فنزعت الى الماء فما استطاع سواقها ولا اصحابها حبسها وحمك الخيل عند ذلك فكان الفتح * قال كان حبيب بن سلمة يستحب اذا لقي العدو أوناهض حصنًا قول لا حول ولا قوة الا بالله وانه ناهض يومًا حصنًا فانهزم الروم فقالها المسلمون فانصدع الحصن * حدثني الحسين بن عبد الرحمن ان بعض الوزراء نفاه الملك لموجدة وجدها عليه فاغتم لذلك غمًا شديدًا فبينما هو ذات ليلة في مستتر له اذ أنشد رجل معه بيتين من شعر وهما

احسن الظن برب عودك * حسنًا أمس وسوّي اودك
ان ربًا كان يكفيك الذي * كان بالامس سيكفيك غدك

قال فسري عنه ما كان فيه وأمر له الملك بعشرة آلاف درهم * عن محمد بن رجاء قال اصابني غم شديد لامر كنت فيه فرفعت مقعدًا لي كنت جالسًا عليه فاذا رقعة فنظرت فيها فاذا مكتوب بيت شعر

يا صاحب الهم ان الهم منقطع * لا تيأسن كان قد فرج الله

قال فذهب عني ما كنت أجده من الغم * ولم أليث ان فرج الله عني * حدثنا ابو بكر الثقفي قال قال رجل اصابني غم ضقت به ذرعًا فنمت فرأيت في المنام كان قائلا يقول هذه الابيات

كن للمكارم بالغرام مقطعًا * فلعل يومًا ان ترى ما تكره
ولربما ابتسم الوقور من الاذى * وضميره من حره يتأوه

قال مؤلف هذا الكتاب حدثني على بن الحسن الشاهد من حفظه قال حدثني ابو الحسن بن ابي الطاهر محمد بن الحسن الكاتب صاحب الجيش

قال قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله علي ابي وعليّ معاً فحبسنا في حجرة من دار ضيقة واجلسنا على التراب وشدد علينا وكان يخرجنا كل يوم فيطالب أبي بمال المصادرة واضرب أنا بحضرته ولا يضرب هوفلاقينا من ذلك شدة صعبة فلما كان بعد ايام قال لي ابي ان هولاء الموكلين بنا قد صارت لنا بهم حرمة فتوصل الى مكاتبة ابي بكر الصيرفي وكان صديقه حتى ينفذ الينا ثلاثة آلاف درهم نفرقها عليهم ففعلت ذلك فانفذ الدراهم من يومه فقلت للموكلين في عشية ذلك اليوم قد وجبت لكم علينا حقوق فخذوا الدراهم فانتفعوا بها فامتنعوا من ذلك فقلت ما سبب امتناعكم فوروا عني فقلت اما قبلتم واما عرفتموني السبب فقالوا نشفق عليك من ذكره ونستحي فقلت لابي قل لهم اذكروه على كل حال فقالوا قد عزم الوزير على قتلكما الليلة ولا نستحسن اخذ شيء منكما مع هذا الحال فقمت وتغير حالي فقال ابي اردد الدراهم على ابي بكر فدفعتها الى من جاء بها فردها عليه وكان ابي يصوم تلك الايام كلها فلما غابت الشمس ذلك اليوم وتطهر لم يفطر وصلى المغرب وصليت معه ثم اقبل على الصلاة والدعاء الى ان صلى العشا الآخرة ثم دعاني فقال اجلس يا بنيّ جاثياً على ركبتيك ففعلت وجلس هو كذلك ثم رفع رأسه الى السماء فقال يا رب محمد بن القاسم قد ظلمني وحبسني على ما ترى وانا بين يديك قد استغثت اليك وانت احكم الحاكمين فاحكم بيننا لا يزيد عليها ثم صاح بها الى ان ارتفع صوته ولم يزل يكررها بصياح وبكاء واستغاثة الى ان ظننت انه قد مضى ربع الليل فوالله ما قطعها حتى سمعت الباب يدق فذهب عني أمري ولم اشك انه القتل وفتحت الابواب فدخل قوم بشموع فتأملت فاذا فيهم سابور خادم القاهر فقال أين ابو طاهر فقام ابي فقال ها أنا ذاك فقال أين ولدك فقال هوذا فقال انصرفا الى منزلكما فاذاهو قد قبض على محمد بن القاسم واحدره الى دار القاهر فانصرفنا وعاش محمد في الاعتقال ثلاثة ايام ومات * لما خرج طاهر بن الحسين الى محاربة علي بن عيسى بن ماهان جعل ذات يوم في كمه

دراهم يفرقها على الفقراء ثم اسبل كمه ناسياً فانتقضت الدراهم فتطير من ذلك واغتم فانتصب له شاعر فقال

هذا تفرق جمعهم لا غيره ٭ وذهابه منه ذهاب الهم
شيء يكون الهم نصف حروفه ٭ لا خير في امساكه في الكم

فسلى همه وما به وامر له بثلاثين الف درهم ٭ انصرف يحيى بن خالد البرمكي من عند الهادي وقد ناظره في تسهيل خلع العهد عن هارون الرشيد ويحيى يحلف انه قد فعل ذلك وجهد به فامتنع هارون فقال له الهادي كذبت هذا من فعلك والله لافعلن بك ولاصنعن وتوعده بكل عظيمة وصرفه فجاء الى داره فكلم غلامه في شيء فاجابه بما أغاظه فلطمه يحيى فانقطعت حلقة خاتمه وضاع الفص فاشتد ذلك عليه وغمه فدخل عليه الشياري الشاعر عقيب ذلك فاخبره بالقصة فقال في الحال

اخلاك من كل الهموم سقوطه ٭ واتاك بالفرج انفراج الخاتم
قد كان ضاق فقلت حلقه ضيق ٭ فاصبر فما ريب الزمان بدائم

فما امسى حتى ارتفعت الناعية على موسى وصار الامر الى هارون واعطى يحيى الشياري مائة الف درهم ٭ قال ابو علي العتائي حدثني جدي قال بكرت يوماً الى موسى بن عبد الملك وحضر داود بن الحاج فوقف الى جانبي فقال كان بي امس خبر ظريف انصرفت من عند موسى بن عبد الملك فوجدت في منزلي امرأة شريفة من شرائف النساء فشكته الي وقالت قد حاول ان يأخذ ضيعتي الفلانية وانت تعلم انها عمدتي في معيشتي وان في عنقي صبية ايتاماً فأي شيء تدبر في امري وتشير علي فقلت لها من معك وراء الستر قالت ما معي احد فقلت لها اما التدبير في امرك فمالي فيه حيلة واما المشورة فقد قال النبطي لاتبع ارضك من اقدام الرجل الرديء فان الرديء يموت والارض تبقى فدعت لي وانصرفت فنحن كذلك اذ خرج موسى فقال لداود بن الحاج يا ابا سليمان لاتبع ارضك من اقدام الشرير فانه يموت والارض تبقى فقال لي داود سمعت هذا والله هو الموت أين

اهرب أين امضي ما آمنه والله على نفسي ولا نعمتي فاشر علي ما أصنع قبل نفاد طريقنا الى الديوان فقلت ما ادري فرفع طرفه الى السماء وقال اللهم اكفني شره وضره وامره فانك عالم بقصتي وما اردت بما قلت الا الخير واشتد قلقه وكثر بكاؤه وقربنا من الديوان فقال موسى وهو على حالته متى حدث هذا هذا الجبل الاسود في طريقنا ومال على سرجه حتى سقط واستكت اسنانه وحمل الى منزله وكان آخر العهد به * ذكر المدايني في كتابه قال قال ابو سعيد وانا احسبه الاصمعي نزلت يوماً بحي من كليب مجد بين وقد توالت عليهم سنون موتت الماشية ومنعت الارض خروج نباتها وامسكت السماء قطرها فجعلت انظر الى السحابة ترتفع من ناحية القبلة سوداء منقاربة حتى تطبق السماء ويشرف لها الحي ويرفعون اصواتهم بالتكبير ثم يعدلها الله عنهم مرارًا فلما كثر ذلك خرجت عجوز فعلت شرفاً ثم نادت باعلى صوتها ياذا العرش اصنع كيفما شئت فان ارزاقنا عليك فما نزلت من موضعها حتى تغمت السماء فمطرت مطرا كاد ان يغرقهم * وأنا حاضر * حدثنا علي بن ابي الطيب بالاسناد عن وضاح ابن خيثمة قال امرني عمر بن عبد العزيز باخراج من في السجن فأخرجتهم الا يزيد بن ابي مسلم فهد ردمي فقال والله اني لبافر بقبة اذ قيل قدم يزيد بن ابي مسلم فهربت منه فارسل في طلبي فاخذت فاتي بي فقال وضاح فقلت نعم فقال اما والله لطالما سألت الله تعالى ان يمكنني منك فقلت وأنا والله لطالما استعذت الله من شرك فقال والله ما اعاذك الله ووالله لاقتلنك والله لو سابقني ملك الموت على قبض روحك لسبقته عليّ بالسيف والنطع قال فجيء بهما واقعدت فيه وكتفت وقام قائم على رأسي بالسيف مشهرًا واقيمت الصلاة فخرج اليها فلما خر ساجدًا أخذته السيوف من اهل الهند فقتل فجاءني رجل وقطع كتافي بسيفه وقال انطلق * حدثني ابو الطيب عبد العزيز حماد باسناد كثير عن القاضي التنوخي الانباري قال حدثني ابو عبدالله بن أبي عوف البزوري قال دخلت على ابي العباس بن ثوابة وكان محبوسا فقال لي احفظ عني فقلت نعم فقال شعرًا

عواقب مكروه الامور خيار ٭ وأيام شر لا تدوم قصار
وليس بباق بؤسها ونعيمها ٭ اذا كرّ ليل ثم كرّ نهار

فلم يمض الا ايام يسيرة حتى اطلق من محبسه ٭ حدثني احمد بن عبدالله الوراق عن ابي بكر المعروف بالمستعيني بالاسناد عن بعض تجار المدينة قال كنت اختلف الى جعفر بن محمد وكنت له خليطاً وكان يعرفني بحسن حال فتغيرت حالتي فرق لي فاتيته فجعلت اشكو اليه سوء حالتي فقال شعر

فلا تجزع وان اعسرت يوماً فقد ايسرت في الدهر الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغنى عن قليل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل

قال فخرجت من عنده وأنا اغنى الناس وفي رواية اخرى زيادة وهي

فان العسر يتبعه يسار وقيل الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تسوق رزقاً لكان المال عند ذوي العقول

وذكر القاضي ابو الحسين في كتابه بالاسناد عن محمد بن موسى بن الفرات قال كنت أتولى ماء سيدان وكان صاحب البريد بها علي بن زيد وكان قديماً يكتب للعباس بن المأمون فحدثني ان العباس غضب عليه وأخذ كل ما كان يملك حتى بقي بسر من رأى لايملك شيئاً الا برذونه بسرجه ولجامه ومنطقته وطيلسانا وقميصاً وشاشية وانه كان يركب في اول النهار فيلقي من يحتاج الى لقائه ثم ينصرف فيبعث برذونه الى الكراء فيكسب عليه مايعلفه وما ينفق هو وغلامه عليه فاتفق في بعض الايام ان الدابة لم يكسب عليها شيئاً فبات هو وغلامه طاويين قال ونالنا من الغد مثل ذلك فقال لي الغلام نحن نصبر ولكن الشأن في الدابة انا نخاف ان تعطب فقلت يابني فنعمل ماذا ليس الا السرج واللجام والمنطقة والطيلسان والقلنسوة ومتى بعنا منها شيئاً بطلت الحركة وبطل التصرف قال فانظر في أمرك قال فنظرت فاذا فراشي حصير خلق ومخدتي لبنة أغشيها بخرقة وما أتمسح فيه للصلاة مطهرة خزف فلم أجد شيئاً غير منديل دبيقي خلق قد بقي منه الاسم فقلت

للغلام بع هذا المنديل واشتر لنا لحماً بدرهم واشوه فقد قرمت اليه فمضى الغلام وأخذ المنديل وبقيت في الدار وحدي وفيها شاهمرج قدجاع فلم أشعر الا بعصفور قد سقط في المطهرة التي فيها الماء لطهري عطشا فشرب ونهض اليه الشاهمرج فناهضه فلضعفه قصر عنه وطار العصفور فوقف الشاهمرج فأخذه بحمية فابتلعه فلما صار في حوصلته دخل المطهرة فتغسل ونشر جناحيه وصاح ونشط فبكيت ورفعت رأسي الى السماء فقلت اللهم كما فرجت عن هذا الشاهمرج ففرج عني وارزقني فما رددت طرفي حتى دق الباب داق فقلت من فقال ابراهيم بن نوح وكان للعباس وكيل هذا اسمه فقلت ادخل فنظر الى صورتي فقال مالي أراك على هذه الحالة فكتمته خبري فقال الامير يقرأ عليك السلام وقد أصبح في هذا اليوم وهو يذكرك وأمر لك بخمسمائة دينار وأخرج الكيس ووضعه بين يدي فحمدت الله تعالى ودعوت للعباس ثم أريته قصتي وأطلعته داري وبيوتي وعرفته خبر الدابة والمنديل والشاهمرج والدعوة فتوجع لي وانصرف فلم يلبث ان عاد وقال قد صرت الى الامير وحدثته حديثك كله فتوجع وأمر لك بخمسمائة دينار أخرى ثانية لتلك وانفق هذه الى ان يصنع الله عزوجل وعاد غلامي وقد باع المنديل ببضع عشرة درهماً فاشترى ما أمرته فأريته الدنانير وحدثته الحديث وما زال صنع الله يتعاهدني قال المدايني في كتابه وحدث القاضي ابو الحسن في كتابه عن المدايني بغير اسناد واللفظان متقاربان ان اعرابية كانت تخدم نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت كثيراً تمثل بهذا البيت

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا الا انه من ظلمة الكفر انجاني

فقيل لها انك لتكثرين التمثل بهذا البيت وانا لنظنه لامر فما هو فقالت اجل كنت عسيفة على قوم من البادية والعسيف الاجير فجاءت جارية منهن فاختطف وشاحها عقاب ونحن لا ندري فقلن ان الوشاح انت صاحبته فحلفت واعتذرت فابين قبول قولي واستعدين الرجال فجاؤا وفتشوني فلم يجدوا شيئاً فقال بعضهم احتملته في فرجها فارادوا ان يفتشوا فرجي فما ظنكم بامرأة تخاف

ذلك فلما خفت الشر رفعت رأسي الي السماء وقلت يا رباه اغثني فمرت العقاب فطرحته بيننا فندموا وقالوا ظلمنا المسكينة وجعلوا يعتذرون الي فما وقعت في كربة الا ذكرت ذلك وهو يوم الوشاح ورجوت الفرج ٭ حكى القاضي أبو الحسين في كتابه قال حدثني ابو الحسين بن نمير الخزاعي قال سار الفضل بن الربيع الى الفضل بن يحيى البرمكي في حاجة له فلم يرفع له رأساً ولا قضى له حاجة فقام مغضباً فلم يدع به ولا اكترث بغضبه وفي المجلس يحيى بن خالد فقال لبعض خاصته اتبعه فانظر ماذا يقول فان الرجل ينبىء عما في نفسه في ثلاثة أماكن اذا اضطجع على فراشه واذا خلا بفرسه واذا استوى على سرجه قال الرجل فاتبعته فلما استوى على سرجه عض على شفتيه وقال شعراً

عسى وعسى يثني الزمان عنانه ... بعثرة دهر والزمان عثور

فتدرك آمال وتقضى مآرب ... ويحدث من بعد الامور امور

قال فلم يكن بين ذلك و بين ان سخط الرشيد على البرامكة الا ايام يسيرة وفي رواية اخري ان يحيى بن خالد رده وقضى حوائجه ٭ اخبرني على بن عبدالله الوراق المعروف بابن لؤلؤ بالاسناد عن عبدالله بن جعفر انه اصابه مرض فمنعه من الطعام والنوم فبينما هو ذات ليلة ساهر اذ سمع وجبة في حجرته فاذا هو يسمع كلاماً فوعاه فبرىء مكانه والكلام اللهم انا عبدك ولك املي فاجعل الشفاء في جسدي واليقين في قلبي والنور في بصري وذكرك في الليل والنهار ما بقيت في لساني وارزقني منك رزقاً غير ممنوع ولا محظور

الباب الرابع

* من استطف غضب السلطان بصادق لفظ *
* واستوفف مكروهاً بموقظ بيان او وعظ *

قرىء علي ابي بكر الصولي بالبصرة وأنا اسمع في كتابه كتاب الوزراء وجدت بخط ابراهيم بن جاهين حدثني على بن محمد النوفلي ان المأمون ذكر عمرو بن مسعدة واستطأه في أشياء وكان ذلك بحضرة احمد بن ابي خالد فاخبر به عمرا أحمد فدخل عمرو الى المأمون فرمى بنفسه وقال انا عائذ بالله من سخطك يا أمير المومنين أنا أقل من أن يشكوني أمير المؤمنين الى احد ويسر على ضغنا يظهر منه لمكانه ما ظهر فقال له المأمون وما ذاك فاخبره بما بلغه فقال لم يكن كذلك وانما جرى معنى اوجب ذكر ما ذكرت فقدمته قبل ان اخبرك به وكان ذلك عزمي وما لك عندي الا ما تحب فليفرج روعك وليحسن ظنك وسكن ما به حتى شكره وجعل ماء الحياة يدور في وجهه فلما دخل احمد بن ابي خالد قال له اشكو اليك من بحضرتي من اهلي وخدمي فما للمجلس حرمة حتى تؤدي ما يجري فيه الى عمرو بن مسعدة فقد ابلغ لي شيئاً قلته فيه فاتهمت به بعض بني هاشم ممن كان حاضراً وذلك أن عمراً دخل عليّ فاعاد ما كان واعتذر فجعلت اعتذر اليه بعذر لم يبن الحق نسجه ولم يتسق القول فيه وان لسان الباطل ينبىء عن الظاهر بالباطن فقال له احمد لا يتهم امير المؤمنين احداً أنا اخبرت عمرا قال ما دعاك الى ذلك قال الشكر لله والله لاصطناعك والنصح بك والمحبة لاتمام نعمتك على اوليائك وخدمك وقد علمت ان امير المؤمنين يحب اصلاح الاعداء والبعداء فكيف بالاولياء والقرباء لا سيما مثل عمرو في موضعه من الدولة وموقفه من الخدمة ومكانه من امير المؤمنين فاخبرته بما أنكره عليه ليقوّم اَوَدَ يقينه ويتلافى ما فرط منه وانما العيب لو أزعت سرًا فيه قدح على السلطان

او نقض تدبير له فقال له المأمون أحسنت والله يا احمد اذ اخبرتني بخاصة الظن وصدقني عن نفسك * اخبرني ابو الفرج الاصفهاني عن الحسين بن علي السلومي عن احمد بن سعيد بالاسناد انه لما قتل ابراهيم بن عبدالله بباخمري حشرنا من المدينة فلم يترك فيها منا محتلم حتى قدمنا الكوفة فمكثنا فيها شهرًا نتوقع القتل ثم خرج الينا الربيع الحاجب فقال ياهذه الامة العلوية أدخلوا على امير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجى قال فدخلت اليه انا والحسين بن زيد فلما صرت بين يديه قال لي انت الذي تعلم الغيب قلت لا يعلم الغيب الا الله جل ثناؤه قال انت الذي يجبى اليك هذا الخراج قلت اليك يجبى يا امير المؤمنين الخراج قال اتدرون لم دعوتكم قلت لا قال أردت ان اهدم رباعكم واغور قليبكم واعقر نخلكم وانزلكم بالسراة لا يجيئكم احد من اهل الحجاز واهل العراق فانهم لكم مفسدة فقلت يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان ايوب ابتلى فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك القبيل قال فتبسم وقال أعد فاعدت قال مثلك فليكن زعيم القوم قدعفوت عنكم ووهبت لكم خراج اهل البصرة * قلت حدثني ابي عن آبائه عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الا رحامُ مُعلَّقَةٌ بالعرش تَقُولُ صِلْ مَنْ وَصَلَنِي واقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي قال زد من هذا قلت حدثني أبي عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنَّ اللهَ يَقُولُ أَنَا الرَّحْمٰنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهُ إسْمًا من اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ * حدثنا علي بن الحسن بالاسناد قال حج ابو جعفر المنصور في سنة سبع واربعين ومائة فقدم المدينة فقال ابعث الى جعفر ابن محمد من يأتيني به تعبًا قتلني الله ان لم أقتله فامسكت عنه رجاء ان ينساه فاغلظ في الثانية فقلت جعفر بن محمد بالباب فقال ائذن له فدخل فقال السلام عليك يا امير المومنين ورحمة الله وبركاته قال لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد في

سلطاني وتبغي الغوائل في ملكي قتلني الله ان لم اقتلك قال جعفر يا امير المؤمنين ان سليمان اعطى فشكر وان ايوب ابتلي فصبر وان يوسف ظلم فغفر وانت من ذلك السنخ فسكت طويلا ثم رفع رأسه وقال أنت عندي يا ابا عبدالله البريّ الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذي رحم أفضل ما يجزى به ذوو الارحام عن ارحامهم ثم تناول يده فأجلسه على مفرشه ثم قال يا غلام عليّ بالمنفخ والمنفخ مدهن كبير فيه غالية فاتي به فغلفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال في حفظ الله وكلاءته يا ربيع الحق أعط أبا عبد الله جائزته وكسوته وانصرف فلحقته فقلت اني قد رأيت مالم تر ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت وقد رأيتك تحرك شفتيك فما الذي قلت فقال نعم انك رجل منا أهل البيت ولك محبة وود قلت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي لا أهلك وأنت رجائي يارب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري فلم تحرمني فيامن قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويامن رآني على المعاصي فلم يفضحني ياذا المعروف الذي لا ينقضي ابدًا و ياذا النعم التي لا تحصى عددًا أسألك ان تصلي على محمد وعلى آل محمد بك ادرأ في نحره وأعوذ بك من شره اللهم أعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفرلي مالا يضرك وأعطني مالا ينفعك انك أنت الوهاب أسألك فرجاً قريباً وصبرًا جميلاً ورزقاً واسعاً والعافية من جميع البلايا وشكر العافية ٭ وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء أن موسى الهادي سخط على بعض كتابه ولم يسمه فجعل يقرعه بذنوبه ويتهدده و يتوعده فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان اعتذاري فيما تقرعني به رد عليك واقراري بما بلغك يوجب ذنباً علي لم أجنه لكنني أقول شعرًا

اذا كنت ترجو في العقاب تشفيًا ٭ فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فصفح عنه وأمر بتركه التعرض له وأحسن اليه ٭ حدثني علي بن هشام بن

عبيد الله الكاتب عن أبي عبدالله بن يحيى الكاتب قال لما نكب أبو الحسن ابن الفرات أباعلي بن مقلة فى وزارته الثالثة لم أدخل اليه في حبسه ولا كاتبته متوجعاً له ولا راسلته خوفاً من أن يلقى ذلك الى ابن الفرات وكانت بيني وبين ابن مقلة مودة لطيفة فلما طالت نكبته كتب اليَّ رقعة طويلة فيها

ترى حرمت كتب الاخلاء بينهم * أبن لي ام القرطاس اصبح غالياً
فما كان لو ساءلتنا كيف حالنا * وقد دهمتنا نكبة هي ماهيا
صديقك من راعاك عند شديدة * وكل تراه في الرخاء مراعيا
فهبك عدوى لا صديقي فربما * تكاد الاعادي يرحمون الاعاديا

ثم اتبع ذلك بكلام يعاتبني فيه ويقول انه قد أنفذ الي في طى رقعته رقعة الى الوزير يسألني اعراضها عليه وقت خلوة لا يكون فيها ابنه أبو أحمد المحسن ففتحت رقعته الى الوزير فاذا هي — بسم الله الرحمن الرحيم أقصرت أطال الله بقاء الوزير فعلى وصنعي على الاستعطاف والشكوى حتى تناهت بي المحنة والبلوى في النفس والمال والجسم والحال الى مافيه شفاء المنتقم وتقويم للمجترم حتى أفضت الى الحيرة والتبلد وعيالي الى الهتكة والتلدد وما أقول ان حالاً أتاها الوزير أيده الله في أمري الا بحق واجب وظن صدق غير كاذب الا أن القدرة تذهب الحفيظة والاعتراف يزيل الاقتراف والمعروف يؤثره أهل الفضل والدين والاحسان الى المسيء من أفعال المتقين وعلى كل حال فلى ذمام وحرمة وتأميل وخدمة فان كانت الاساءة تضيعها فرعاية الوزير ايده الله تحفظها فان رأى الوزير اطال الله بقاءه أن يلحظ عبده بعين رأفته وينعم عليه باحياء مهجته ويخلصها من العذاب الشديد والجهد الجهيد ويجعل له من معروفه نصيباً ومن البلوى فرجاً قريباً فعل ان شاء الله قال ابن يحيى فأقامت الرقعة في كمي اياماً لا اتمكن من عرضها الى ان رسم الوزير بن الفرات بكتابة نسخة الى جعفر بن أبي القاسم وهو عامله حينئذ في فارس في مهم وان احررها بين يديه وأعرضها عليه وخلابي لهذا السبب فعملت النسخة وأوقفته عليها فامرني بتحريرها فاغتنمت خلوته من

كل أحد وقلت قد عرف الوزير أيده الله ما بيني وبين ابن مقلة من الالفة والعشرة التي جمعتنا عليها خدمتك والله ما كاتبته ولا راسلته ولا قضيت لها حقاً بمعونة ولا غيرها مذ سخط الوزير عليه وهذه رقعته الي تدل على ذلك ويسأل اعراض رقعة له على الوزير ايده الله وهي معي فان اذن عرضتها فقال ادفع رقعته الي فقلت اسأل الوزير ايده الله ان يكتم ذلك عن سيدي ابي أحمد يعني المحسن ابنه فاني اخافه قال أفعل ثم قرأ رقعة ابن مقلة فقال والله يا ابا عبد الله لقد تناهى هذا الرجل في السعاية على دمي ومالي واهلي ولقد صح عندي انه قال لما اسلم الى حامد والله لو قد علمت ان ابن الفرات يبقى بعد صرفه يوماً واحداً ما سعيت به ووالله لقد كنت ادعو في حبسي بان لا يمكنني الله عز وجل منه ولا من الباقطائي أما هو فلا حساني العظيم عليه وأما الباقطائي فلقبح اساءته الي وانه شيخ من شيوخ الكتاب وخفت العار بما كنت اعامله به لو حصل في يدي فاجبت دعوتي في الباقطائي ولم تجب فيه والآن فوحق محمد وآله عليهم السلام لاجري على ابن مقلة مكروه ابداً بعد هذا وانا أتقدم باخذه من يد المحسن فانفذه مع سليمان بن الحسن الى فارس واخبره في الامر بحراسة نفسه وباقي حاله وازيدك يا ابا عبدالله ما أحسبك فهمته قلت فما هو فاني لم ازل استفيد الفوائد ايدك الله تعلماً وانعاماً قال فقد بقيت له بقية وافرة من حاله ولولاها ما قال قولا شديداً ولا فرّغ قلبه لنظم شعر ولا بلاغة في سر . فلما كان من الغد انفذ من انتزعه من يد المحسن فاخرجه مع سليمان الى فارس مسلماً ٭ اخبرني ابو الفرج الاصفهاني قال اخبرني جبيب بن نصر المهلبي بالاسناد ان طريح بن اسماعيل الثقفي دخل على ابي جعفر « فقال له لا حياك الله ولا بياك اما اتقيت الله عز وجل حيث تقول للوليد

لو قلت لليل دع طريقك وال ٭ موج عليه كالهضب يعتلج
لساح وارتدّ او لكان له ٭ الى طريق سواك منعرج

فقال له طريح قد علم الله انني قلت ذلك ويدي ممدودة اليه عز وجل واياه

عنيت تبارك وتعالى اسمه وثناؤه فقال ابو جعفر يا ربيع أما ترى هذا النخلص * اخبرني ابو الفرج الاصفهاني عن محمد بن ابي الازهر قال كنت بين يدي المأمون واقفاً فادخل عليه ابن البواب الحاجب رقعة فيها ابيات شعر وقال ان رأي امير المؤمنين ان يأذن لي في انشادها فظنها له فقال هات فانشده

اجرني فاني قد ظمأت الى الوعد * متى ينجز الوعد المؤكد بالعهد
اعيذك من خلف الملوك وقد ترى * تقطع انفاسي عليك من الوجد
رأى الله عبدالله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعبد
الا انما المأمون للناس بهجة * مميزة بين الضلالة والرشد

فقال المأمون احسنت يا عبد الله فقال يا امير المؤمنين بل احسن قائلها قال ومن هو قال عبدك الحسين بن الضحاك فغضب ثم قال لاخير ولا حيا الله من ذكرت ولا بياه ولا قربه ولا انعم به عيناً أليس هو القائل شعر

اعيني جودا وابكيا لي محمداً * ولا تدخرا دمعاً عليه وأسعدا
فلا تمت الاشياء بعد محمد * ولا زال شمل الملك فيه مبدداً
ولا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

هذا بذاك ولا شيء له عندنا فقال له ابن البواب فاين فضل امير المؤمنين وسعة حلمه وعادته في العفو فأمر باحضاره فلما حضر سلم عليه فرد عليه ردا خافتاً ثم اقبل عليه فقال أخبرني عنك هل عرفت يوم قتل اخي محمد رحمه الله هاشمية قتلت او هتكت قال لا قال فما معني قولك

ومما شجى قلبي وكفكف عبرتي * محارم من آل النبي استحلت
ومهتوكة بالجلد عنها سجوفها * كعاب كقرن الشمس حين تبدت
اذا خفرتها روعة من منازع * لها المرط عادت بالخضوع ودنت
وسرب ظباء من ذؤابة هاشم * هتفن بدعوى خير حي ومیت
أردد يدا مني اذا ما ذكرته * على كبد حرّا وقلب مفتت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة * ولا بلغت آمالها ما تمنت

فقال يا امير المؤمنين لوعة غلبتني وروعة فجأتني ونعم فقدتها بعد ان اغرقتني واحسان شكرته فانطقني فدمعت عين المأمون وقال قد عفوت عنك وأمرت بارداد ارزاقك عليك واعطائك ما فاتك منها وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك * اخبرني محمد بن يحيى الصولي عن عون بن محمد قال حدثني الحسين ابن الضحاك قال غضب علي المعتصم في شيء جرى علي فقال والله لا أدنيته وحجبني اياماً فكتبت اليه

غضب الامام أشد من ادبه * وقد استجرت وعذت من غضبه
اصبحت معتصما بمعتصم * اثني الآله عليه في كتبه
لا والذي لم يبق لي سبباً * ارجو النجاة به سوى سببه
مالي شفيع غير رحمته * ولكل من اشفى على عطبه

قال فلما قرئت عليه التفت الي الواثق وقال مثل هذا الكلام يستعطف الكرام ماهو الا أن سمعت ابيات حسين هذه حتى ازالت ما بنفسي عليه فقال له الواثق هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه فرضي عني وأمر باحضاري وانما كتب هذا الشعر الى المعتصم لانه بلغه انه مدح العباس بن المأمون وتمنى له الخلافة فطلبه فاستتر فحيث ظهر هجى العباس بن المأمون فقال شعر

خل اللعين وما اكتسب * لا زال منقطع النسب
يا عرة الثقلين لا * دينا رعيت ولا حسب
حسد الامام مكانه * جهلا هداك على العطب
وابوك قدمه لنا * لما تخير وانتخب
ما تستطيع سوى التنف * س والتجرع للكرب
لا زلت عند ابيـ * ـك منتقص المروة والادب

وجدت في بعض الكتب عن يزدجرد أنه قال غضب كسري ابرويز على بعض اصحابه من جرم عظيم فحبسه زماناً ثم ذكره فقال للسجان هل يتعاهده احد فقال لا الا القلهند المغني فانه يوجه اليه في كل يوم بسلة فيها طعام فقال كسرى

للقلهند غضب الملك على فلان وحبسه فقطعه الناس غيرك فانك تعاهده بالبر في كل يوم فقال ايها الملك ان البقية التي بقيت له عندك فبقت روحه في بدنه ابقت له عندي بقدر ما ارسله اليه من الطعام قال احسنت قد وهبت لك ذنبه واطلقه *وجدت في بعض كتبي ان رجلين اتى بهم الى بعض الولاة وقد ثبت على أحدهما الزندقة وآخر شرب الخمر فسلم الوالي الرجلين الى بعض اصحابه وقال اضرب عنق هذا وأومأ الى الزنديق واجلد هذا الحد وأومأ الى الشارب وتسلمهما وذهب ليخرج فقال له الشارب ايها الامير سلمني الى غيره ليجلدني فاني لا آمن ان يغلط فيضرب عنقي ويجلد صاحبي والغلط في هذا لا يتلافى فضحك الامير وأمر بتخليته وضرب عنق الزنديق * وجدت في كتاب ابي الفرج المخزومي عن ابي محمد الحسن بن طالب كاتب عيسى بن فرحا نشاه قال لما وليت ديار مصر لم تزل وجوهها يصفون لي محمد بن يزيد الاموي الحصيني بالفضل وينشدوني قصيدته التي اجاب بها عبدالله بن طاهر لما فخر بابيه ويذكرون قصته معه لما دخل عبدالله الشام واشرف الحصني على الهلاك خوفاً منه وكيف كفي امره بلا سبب فكنت افتقد امره في ضيعته وأحسن اليه في معاملتي وكانت كتبه ترد علي بالشكر باحسن عبارة الى ان عملت على طوف كور عملي وتصفح امر الرعية والعمال فخرجت لذلك حتى وردت الكورة التي حصن محمد بن يزيد في ناحية منها فخرج مستقبلاً لي وراغباً اليَّ في النزول عليه فلما التقينا قال لم اخف مع فضلك ان تتجاوزني ولم آمن ان يعارضك ظن يصوّر لك ان عدو لك عني ابقاء علي واشفاقاً من نسب السلطان لك يدعو الى اثار لذتك في عدم لقائي فتطويني فحملت نفسي على خلاف ما كنت أحب ان يشيع لك من ابتدائي بالقصد قبل غيبتي فيه اليك فالحمد لله الذي جعل لك السبق الى الكرم ومررنا على حصنه فاقبل يقفني على المواضع المذكورة في الخبر والشعر الى ان دخلنا حصنه فلم يأخذ اهبة النزول به ادبا ومروءة وسبق بما حضر من القرى ولم يقض من يخدمنا عن أحضار ما أعد في سفرتنا ووجدت خدمته كلها تدور على جارية سوداء نذرة خفيفة الحركة يدل

على نشاطها اعتيادها على الطراق الى ان رفع الطعام وحضر الشرب وحضرت السوداء في غير الزي الاول فجلست تغني فانكرتها حتى سألته عنها فوصف لي قديم حرمتها وقال هي كانت طلعتي حين قصدني عبدالله بن طاهر فاستفتحني مسألته عن الخبر فسألته فقال لما بلغني خبر اجماع عبدالله على الخروج لطلب نصر بن شبيب بنفسه أيقنت بالهلاك وخفت ان يقرب فتنالني بادرته ولم اشك في ذهاب النعمة ان سلمت النفس لما كان بلغه من اجابتي اياه عن قصيدته التي فخر بها وانشدنيها

مدمن الاغضاء موصول ومديم العتب مملول
واخو الوجهين حيث رمى بهواه فهو مدخول
وقليل من يبرره في يد التهذيب تحصيل
فائد تلق النجاح به فاعتساف الامر تضليل
واعم عن عيب اخيك يدو م لك حبل فيه موصول
من يرد حوض الرداصردا لا يسعه الري تعليل
من بنات الروم لي سكن وجهه للشمس اكليل
عتبت والعتب من سكن فيه تكثير وتقليل
اقصري عما لهجت به ففراغي عنك مشغول
انا من قد تعرفي نسبه سلفي الغر البهاليل
مصعب جدى نقيب بنى هاشم والامر مجهول
وحسين رأس دعوتهم ودعاء الحق مقبول
سل بهم تنبيك نجدتهم مشرفيات مصاقيل
كل غضب مسرف عللا وحرار الحر مغلول
وابى من لا كفاء له من يساوي مجده قولوا
سل به والخيل ساهمةً حوله جرداء نأييل
وربات الخدور وقد جعلت تبدوا الخلاخيل

من ثنى عنه الخيول باكنا فها الخطية الشول
انظر المخلوع كلكله وحواليه المقاويل
فثوي والتراب مضجعه غال عنه ملكه غول
قاد جيشاً نحو نائلة ضاق عنه العرض والطول
من خراسان مصمصهم كليوث ضمها عنيل
وهبو الله انفسهم لا معازيل ولا ميل
ملك تجتاح سطوته ونداه الدهر مبذول
قطعت عنه تمائمه وهو مرهوب ومأمول

قال وكنت لما بلغني هذه القصيدة امتعضت للعرب وأنفت ان يفخر عليها رجل من العجم لانه قتل ملكاً من ملوكهم بسيف أخيه لا بسيفه فيفخر عليها هذا الفخر ويضع منها هذا الوضع فرددت عليه قصيدته ولم اعلم ان الايام تجمعنا ولا ان الزمان يضطرني الى الخوف منه فقلت شعراً

لا يرعك القال والقيل كلما بلغت تضليل
ما هوى لي حيث اعرفه بهوى غيرك موصول
اين لي عنك الى بدل ابديل عنك مقبول
او وعدت العذل فيك اذا انا فيك الدهر معذول
حمليني كلّ لائمة كلما حملت محمول
فاحكمي ما شئت واحتكمي فحرامي لك تحليل
والذي ارجو النجاة به ما لقلبي عنك تحويل
ما لداري منك مقفرة وضميري منك مأهول
ايخون العهد ذو ثقة لا يخون العهد مسؤل
واخو حبيك في تعب مطلق مرّا ومغلول
ما فراغي عنك مشتغل بل فراغي بك مشغول
وبدت يوم الوداع لنا غادة بيضاء عطبول

حاسرا وذات مقنعة ذات تاج فيه اكليل
آي عطفيها به انصرفت ارج بالمسك معلول
تتعاطى شد معجزها ونطاق الخصر منحول
باكاليل لها قبل حبذا تلك الاكاليل
فبنفسي دمج مشطتها ومثانيها المراسيل
سبقت بالدمع مقلتها فلها بالدمع تفضيل
ورمت بالسحر من كتب فدفين الداء مقتول
لاحظت بالسحر عابثة فشجاع الصبر مغلول
شملنا اذ ذاك مجتمع وجناح البين مشكول
لا يخاف الدهر طائره فاذاه عنه معقول
ايها الباري بنطقته لاغاليط وتحصيل
قد تأولنا على جهة ولتأويلك تأويل
قاتل المخلوع مقتول ودم القاتل مطلول
سارأ وحل فمتبع بالتي يكبو لها القيل
لا تنجيه مذاهبه نهر سيحون ولا النيل
ومدين القتل مرتهن بدماء القوم مقتول
بيد المخلوع طلت يدا لم يكن في باعها طول
وبنعماه التي سلفت فعلت تلك الافاعيل
وبراع غير ذي شفق حالت الخيل الاناييل
يا ابن بنت النار موقدها ما لحاديها سراويل
اي مجد لك تعرفه أو نسيب لك بهلول
من حسين وأبوك ومن مصعب غالتهم غول
وزريق اذ تخلفه نسب لعمرك مجهول
تلك دعوى لا تنافسها وابواب مراذيل

اسوة غير مبـاركة غيرها الشم البهاليل
ماجرى في عود سلافكم ماء مجد فهو مدخول
قدحت فيـه اسافله فاعـاليـه مهـازيـل
ان خير القول اصدقـه حين تصطك الاقاويل
كن على منهاج معرفة لا تغرنك الاباطيل
ان للاصعـاد منحدرًا فيه للهادى اهاويـل
ولريب الدهرعن عرض بالرّدى علّ وتنهيـل
يعسف الصعبة رائضها ولهـا بالعسف تذليل
ويخون الرمح عامله وسنان الرمح مصقول
وينـال الوتر طالبـه بعد ما يسلو المثاكيل
مضمرًا حقدًا ومنصلة مغمد في الجفن مسلول

قال فلما قرب عبدالله بن طاهر استوحشت من المقام خوفًا على نفسي ورأيت بعدي وتسليم حرمي عاراً باقياً ولم يكن لي الى هربي بحرمي سبيل فأقمت على اتم خوف مستسلماً للاتفاق حتى اذا كان اليوم الذي قيل انه ينزل بهذه النواحي أغلقت حصني واقمت هذه السوداء ريبتة لي على شرف الحصن واقمتها وأمرتها ان تعرفني الموضع الذي ينزل فيه العسكر قبل ان يفجأني ولبست ثياب الموت اكفانًا وتطيبت وتحنطت فلما رأت الجارية ان العسكر يقصد الحصن نزلت فعرفتني فلم يرعني الا دق باب الحصن فخرجت فاذا عبدالله بن طاهر واقف وحده منفردًا عن اصحابه فسلمت عليه سلام خائف فرد علي غير رد مستوحش وأومأت الى تقبيل رجله في الركاب فمنع الطف منع وأحسن رد وجلس على دكان على باب الحصن ثم قال ليسكن روعك فقد اسأت الظن بنا ولو علمنا اننا بزيارتنا لك نروعك ما قصدناك ثم اطال الانتظار في المسألة حتى رأى الثقة مني قد ظهرت فسألني عن سبب مقامي في البر وايثاري اياه على الحاضرة ورفاهة العيش وعن حال ضيعتي ومعاملتي فأجبته بما حضرني حتى لم يبق من

التأنيس شيئاً أفضى الامر الى مسائلتي عن حديث نصر بن شبيب وكيف الطريق الى الظفر به فاخبرته بما عندي في ذلك ثم اقبل علي وقد انبسطت في محادثته انبساطاً شديداً فقال احب ان تنشدني القصيدة التي فيها

يا ابن بنت النار موقدها ٭ ما لحاديها سراويل

فقلت أصلح الله الامير قد اربت نعمتك على قدر همتي فلا تذكرها بما ينغصها فقال انما أريد الزيادة في طمانينتك وتأنسك بان لا تراني متحفظاً مما خفت وعزم على انشاد القصيدة عزم مجدٍ فقلت يريد ان تطرأ على سمعه فيزيد ما في نفسه فيوقع بي ولم أجد من انشاده بدًّا فانشدته القصيدة فلما فرغت منها عاتبني عتاباً شديداً وكان منه ان قال يا هذا ما حملك على تكلف اجابتي فقلت الامير اصلحه الله حملني على ذلك فقال بماذا فقلت بقوله

وابى من لا كفاء له ٭ من يسامي مجده قولوا

فقلنا كما تقول العرب وتفتخر السوقة على الملوك وكان لما بلغت الى قولي

يا ابن بنت النار موقدها ٭ ما لحاديها سراويل

قال لي والله يا ابن مسلمة لقد أحصينا في خزائن ذي اليمنين بعد موته الفاً وثلثمائة من السراويل ما اصلح في احداهن تكة سوى ما استعمل في اللبس على ان الناس لا يفكرون في ادخال السراويل في كسائهم فاعتذرت اليه بما حضرني من القول في هذا وجميع ما تضمنته القصيدة فقبل القول وبسط العذر واظهر الصفح وقال قد دللتنا على ما احتجنا اليه من أمر نصر بن شبيب فنستحسن القعود معنا في حربه والا يكون لك في الظفر به أثر يشاكل ارشادك لوجوه مطالبه فاعتذرت اليه بلزوم منزلي وضيعتي وعجزي عن السفر للقصور عن النفقة فقال نكفيك ذلك ونقبله منا باذنك ودعا بصاحب دوابه فأمر باحضار خمس مراكب من الخيل الهمايج بلجمها وسروجها المحلاة وبثلاث دواب من دواب الشاكرية وبخمسة ابغل من بغال النقل واستقرأ ذلك وامر صاحب كسوته

باحضار ثلاث تخوت من اصناف الثياب الفاخرة وأمر خازنه باحضار خمس بدر دراهم فاحضر الجميع فوضع على الدكان الذي كان جالساً عليه بباب الحصن ثم قال كم مدة تأخرك عنا الى ان تلحق بنا فنزلت فقام ليركب فبادرت الى يده لاقبلها فمنعني وركب وسار وتبعه العسكر فما نزل منهم واحد وخرجت السوداء فنقلت تلك الثياب والبدر وأخذ الغلمان الكراع وما لقيت عبدالله بعدها قال عيسى بن فرحا نشاه اقمت عند محمد بن يزيد يومي وليلتي فاضافني احسن ضيافة وكانت مذاكرته لي بذلك احب الى من كل شيء فاسقطت عنه جميع خراجه في تلك السنة وانصرفت * حدثني عبدالله بن احمد بن داسة المصري قال سمعت أن بعض الجند اغتصب امرأة على نفسها من الطريق فعرض الجيران ليمنعوه فضربهم هو وغلمانه حتى تفرقوا وأدخل المرأة داره وقال اغلقوا الباب فاغلقوا الباب وراودها عن نفسها فأمتنعت فاكرهها ولحقها منه شدة حتى جلس منها مجلس الرجل من المرأة فقالت له يا هذا اصبر حتى يغلق باب قد بقي عليك قال أي باب قالت الباب الذي بينك وبين الله فقام وقال قد فرج الله عنك انصرفي لا اتعرض لك ابداً * وجدت في بعض الكتب ان الجاحظ انفذ الى أحمد ابن ابي دؤاد بعد نكبة محمد بن عبد الملك الزيات مقيداً في قميص رث فأوقف بين يديه ليأمر فيه بأمره فقال له بن ابي دؤاد والله ياعمرو ماعلمتك الا سبابا للنعمة جاحداً للصنيعة معدداً للمثالب مخفيا للمناقب وان الايام لا تصلح مثلك لفساد طويتك وسوء اختيارك فقال الجاحظ خفض عليك فوالله لان تكون المنة لك علي خير من ان تكون لي عليك ولان أسيء وتحسن أحسن في الاحدوثة عنك ولان تعفو في حال قدرتك اجمل بك من ان تنتقم فقال لي ابن أبي دؤاد ما علمتك الا كثير رونق اللسان قد جعلت ثيابك امام قلبك ثم اصطفيت فيه النفاق اعزب قبحك الله فانهض في قيوده ثم قال يا غلام الحقه وخذ قيوده وصر به الى الحمام واحمل اليه خلعة يلبسها واحمله الى منزل يأوي به بفرش وفراش وآلة وقماش ويزاح فيه علله وادفع اليه عشرة آلاف درهم لنفقته الى

ان يصح من علته ففعل ذلك فلما كان من الغد رؤى الجاحظ متصدرًا في مجلس ابن ابي دؤاد وعليه خلعة من ثيابه وطويلة من قلانسه وهو مقبل عليه بوجهه يقول هات يا ابا عثمان * اخبرني ابو الفرج الاصفهاني باسناده عن اسحاق الموصلي قال لم ارقط مثل جعفر بن يحيى كانت له فتوة وظرف وأدب وحسن غناء وضرب بالطبل وكان ياخذ باجزل حظ من كل فن فحضرت باب الرشيد يوماً فقيل لي انه نائم فانصرفت فلقيني جعفر بن يحيى قال لي ما الخبر فقلت أمير المؤمنين نائم فقال لي قف مكانك ومضى الى دار أمير المؤمنين فاعلم انه نائم فرجع فقال سر بنا الى المنزل حتى نخلو بقية يومنا واغنيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا فقلت نعم فصرنا الى منزله فطرحنا ثيابنا ودعا باطعام فطعمنا وأمر باخراج الجواري وقال ابرزن فليس عندنا من نحتشمه فلما وضع الشراب دعا بقميص حرير فلبسه ودعا بخلوق فتخلق ودعا لي بمثل ذلك وجعل يغنيني واغنيه وكان قد تقدم الى الحاجب ان لا يأذن لاحد من الناس كلهم وان جاء رسول أمير المؤمنين اعلمه انه مشغول واحتاط في ذلك وتقدم الى جميع الحجاب والخدم ثم قال ان جاء عبدالله فأذنوا له يعني رجلاً كان يأنس به ويمازحه ويحضر خلواته ثم أخذنا في شأننا فوالله انى لعلى حالة سارة اذ رفع الستر واذا عبد الملك بن صالح الهاشمي وغلط الحاجب ولم يفرق بينه وبين الذي يأنس به جعفر وكان عبد الملك الهاشمي من جلالة القدر والتقشف والامتناع عن منادمة أمير المؤمنين على أمر جليل وكان أمير المؤمنين قد اجتهد ان يشرب قدحاً فلم يفعل ترفعاً لنفسه فلما رأيناه مقبلاً اقبل كل واحد منا ينظر الى صاحبه وكاد جعفر ينشق غيظاً وفهم الرجل حالنا وأقبل نحونا حتى اذا صار الى الرّواق الذي نحن فيه نزع جبته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ثم قال اطعمونا شيئاً فدعى له جعفر بالطعام وهو منتفخ غيظاً ثم دعى برطل فشربه ثم أقبل الى المجلس الذي نحن فيه ثم أخذ بعضادتي الباب وقال اشركونا فيما انتم فيه فقال له جعفر ادخل فدخل

بقميص حرير وخلوق فلبس وتخلق ثم دعا برطل ورطل حتى شرب عدة اقداح ثم اندفع يغنينا فكان والله احسن غناء فلما طابت نفس جعفر بن يحيي وسرى عنه ما كان فيه التفت اليه وقال له ارفع حوائجك فقال له ليس هذا موضع حوائج قال لتفعلن ولم يزل يلح عليه حتى قال أمير المؤمنين عليَّ واجد كما علمت فأحب ان يرضى عني قال امير المؤمنين قد رضي عنك فهات حوائجك قال هذه حاجتي قال ارفع حوائجك كما اقول لك قال عليَّ دين فادح قال كم مبلغه قال اربعة آلاف الف درهم قال هذه اربعة آلاف الف درهم فان احببت ان تقبضها مني فاقبضها في منزلي الساعة فانه لم يمنعني من اعطائك اياها الا ان قدرك يجلك عندي من ان يصلك مثلي ولكني ضامن لها حتى تحمل اليك من مال امير المؤمنين غدًا فسل ايضًا فقال ابني تكلم امير المؤمنين حتى ينوّه باسمه قال قد ولاه امير المؤمنين مصرًا وزوجه الغالية ابنته ومهرها عنه الفي الف درهم من ماله قال اسحاق فقلت في نفسي قد سكر الرجل اعني جعفرا فلما أصبحت حضرت دار الرشيد فاذا جعفر بن يحيي البرمكي ووجدت في دار الرشيد جلبة فاذا ابو يوسف القاضي رحمه الله تعالى ونظراؤه وقد دعي بهم ثم دعي بعبد الملك بن صالح وابنه فدخلا على الرشيد فقال الرشيد لعبد الملك ان امير المؤمنين قد كان واجدًا عليك وقد رضي عنك وأمر لك باربعة آلاف الف درهم فاقبضها من جعفر بن يحيي الساعة ثم دعا بابنه فقال اشهدوا اني قد زوجته الغالية بنت امير المؤمنين ومهرتها عنه من مالي الفي الف درهم ووليته مصرًا فلما خرج جعفر سألته عن الخبر فقال بكرت الى امير المؤمنين فحكيت له جميع ما كنا فيه وما كان منا حرفًا بحرف ووصفت له دخول عبد الملك وما كان منه فعجب ثم سرَّ به ثم قال لي وقد ضمنت له على امير المؤمنين ضمانًا فأوف بضمانك فأمر باحضاره فكان ما رأيت ٭ اخبرني ابو الفرج الاصفهاني قال جرى بين محمد الامين و بين ابراهيم بن المهدي كلام وهما على مسرة فنفر الامين لذلك ووجد على ابراهيم و بانت لابراهيم الوحشة منه فانصرف الى منزله فأمر الامين بحجابه عنه و بلغ ذلك ابراهيم فبعث

الى الامين بالطاف ورقعة يسأل فيها صرف غضبه فرد الامين الهدية ولم يجب على الرقعة فوجه ابراهيم اليه وصيفة مليحة مغنية كان قد رباها وعلمها وبعث معها عوداً معمولاً من العود الهندي مكللاً بالجوهر وألبسها حلة منسوجة بالقصب وقال أبياتاً وغنى فيها والقاها عليها حتى اخذت الصوت واحكمت الصنعة فيه فوقفت الجارية بين يدي امير المؤمنين وقالت له عمك يا أمير المؤمنين يقول لك واندفعت تغني شعراً

هتكت الضمير بردّ اللطف ... وكشفت هجرك لي فانكشف
فان كنت تحقد شيئاً جرى ... فهب للعمومة ما قد سلف
وجد لي بصفحك عن زلتي ... فبالفضل يأخذ اهل الشرف

فقال لها الامين أحسنت يا صبية فما اسمك قالت هدية قال أفأنت كاسمك ام انت عارية قالت انا كاسمي وبه سماني لما اهداني الى امير المؤمنين فسرّ بها الامين وبعث الى ابراهيم بن المهدي فاحضره ورضي عنه وأمر له بخمسين الف دينار ٭ وقف احمد بن عروة بين يدي امير المؤمنين المأمون لما عزله عن الاهواز فقال له خرّبت البلاد وقتلت العباد والله لافعلن بك ولافعلن فقال يا امير المؤمنين ما تحب ان يفعل الله بك اذا وقفت بين يديه وقد قرعك بذنوبك قال العفو والصفح قال فافعل بعبدك ما تحب ان يفعل بك مولاك قال قد فعلت ارجع الى عملك فوال مستعطف خير من وال مستأنف . وروي انه جنى غلام للحسن ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين جناية توجب العقاب فأمر به ان يضرب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال خلوا عنه قال يامولاي والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال يا مولاي والله يحب المحسنين قال أنت حر لوجه الله تعالى ذلك ضعف ما كنت اعطيك . قال الاصمعي اتى عبد الملك بن مروان برجل قامت عليه البينة بسرقة فأمر بقطع يده فقال الرجل

يدي يا امير المؤمنين اعيذها ... بعفوك من عار عليّ يشينها
فلا خير في الدنيا ولا في نعيمها ... اذا شمال فارقتها يمينها

قال هذا حد من حدود الله تعالى ولا بد من اقامته عليك فقامت امه وكانت عجوزًا كبيرة السن فقالت يا امير المؤمنين كادّي وكاسبي وابني وواحدي فهبه لي فقال لها بئس الكادّ والابن والواحد هو لا بد من اقامة حد الله فقالت يا امير المؤمنين فاجعله بعض ذنوبك التي تستغفر الله تعالى منها قال خلوه واطلقه .

اخبرني الفضل بن الربيع قال رأيت مروان بن ابي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سلم الخاسر وغيره فانشده مديحًا فقال له من انت فقال له شاعرك يا امير المؤمنين وعبدك مروان بن ابي حفصة فقال له المهدي ألست القائل

اقمنا بالمدينة بعد معن ... مقامًا لا نريد به زوالا
وقلنا اين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا لا شيء لك عندنا جروا برجله قال فجروا رجله حتى اخرج فلما كان في العام المقبل تلطف حتى أدخل مع الشعراء وانما كانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة فمثل بين يديه وانشده بعد رابع او خامس شعرًا

طرقتك زائرة فحي خيالها ... بيضاء تخلط بالحياء دلالها
نادت فؤادك فاستقاد ومثلها ... قاد القلوب الى الضنا فأمالها

قال فانصت له حتى بلغ الى قوله

هل تطمسون من السماء نجومها ... باكفكم او تسترون هلالها
او تجحدون مقالة عن ربه ... جبريل بلغها النبي فقالها
شهدت من الانفال آخر آية ... بتراثهم فاردتم ابطالها

قال فرأيت المهدي قد زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابًا بما سمع ثم قال كم هي قال مائة بيت فأمر له بمائة الف درهم فكانت أول مائة الف أعطيها شاعر في أيام بني العباس ٥ أخبرني أبو الفرج الاصفهاني عن الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن سعيد قال غضب الرشيد

على العباس وحجبه فدخل سرًا مع المتظلمين بغير اذن فمثل بين يدي الرشيد فقال له يا أمير المؤمنين قد أدبتني الناس لك ولنفسي فيك وردني ابتلاؤهم الى شكرك وما مع ذكرك قناعة بأحد غيرك ولنعم الصائن لنفسي كنت لو أعانني عليك الصبر ولذلك أقول شعرًا

أخضني المقام الغمر ان كان غرّني ... نسا حلب اوزلت القدمانِ
اتتركني جدب المعيشة مقفرًا ... وكفاك من ماء الندا يكفانِ
وتجعلني سهم المطامع بعد ما ... بلات يدي من ماء الندا واساني

قال فخرج وعليه الخلع وقد أمر له بجائزة فما رأيت العباس قط أنشط منهُ يومئذ قال ابو الفرج في البيتين الاولين غناء لخارق ثاني ثقيل بالوسطى ٭ حدثني عون بن محمد قال حدثنا سعيد بن هريم قال قال المأمون للفضل بن الربيع يافضل ما كان من حقي عليك وحق آبائي ونعمهم عند أبيك وعندك ان تثلبني وتشتمني وتحرض علي دمي أتحب ان افعل بك مع القدرة عليك ما أردته بي فقال الفضل يا أمير المؤمنين ان عذري لا يقوم عندك وان كان واضحًا جميلاً فكيف اذا عفته العيوب وقبحته الذنوب فلا يضيق عنى من عفوك ما وسع غيري منه فأنت والله كما قال الشاعر فيك

صفوح عن الاجرام حتى كأنه ... من العفو لم يعرف من الناس مجرما
وليس يبالي ان يكون به الاذى ... اذا ما الاذى لم يغش بالكره مسلما

قال الصولي والشعر للحسن بن رجاء ٭ وقرئ على أبي بكر الصولي في كتابه كتاب الوزراء بالاسناد عن الحسن بن عيسى الانباري الكاتب قال أمر المأمون محمد بن بزوان والوزير احمد بن أبي خالد ان يناظرا عمرو بن مسعدة في مال الاهواز فناظراه فتحصل عليه ستة عشر الف الف درهم فأعلم محمد المأمون بذلك فقال له المأمون اقبل كل حجة له وكل ادعاء وكل تعلق قال قد فعلت قال عد لذلك فعاد فتعلق عمرو بأشياء لا أصل لها فسقطت من المال عشرة آلاف الف وبقي ستة آلاف الف درهم لا حجة له فيها أخذ خطه بها فأخذ المأمون الرقعة ثم أحضر عمرًا بعد خروج

محمد فقال هذه رقعتك فقال نعم فقال وهذا المال واجب عليك قال نعم قال فخذ رقعتك فقد وهبناه لك قال اذا تفضلت به يا أمير المؤمنين فانه واجب لو أجزت به على احمد بن عروة عامل الاهواز وهو مقر به وأشهدك اني قد وهبته له فاغتاظ المأمون وخرج عمرو وقد عرف غيظ المأمون وخطأه فيما عمله فلجأ الى احمد بن أبي خالد فأخبره بالخبر وكان يخصه فقال لا عليك فدخل الى المأمون فلما رآه قال ألا تعجب يا احمد من عمرو وهبنا له ستة آلاف الف درهم بعد ان تجافينا له عن اضعافها فوهبها بين يدي من احمد بن عروة كانه أراد ان يبارئني و يصغر معروفي قال او فعل هذا يا أمير المؤمنين قال نعم قال لو لم يفعل هذا لوجب ان يسقط حاله قال وكيف قال لانه لو استأثر به على احمد بن عروة وآخذ احمد بالمال وأداه اليه كان قد أخرجه من معروفك صفراً ولما كانت نعمتك على عمرو نعمة على احمد وهما خادمان وكان الاجمل ان يتضاعف معروفك عندهما فقصد عمرو ذلك فصار المال تفضلاً منك على عمرو وعلى احمد بن عروة ومع ذلك فأنت سيد عمرو لا يعرف سيداً غيرك وعمرو سيد احمد فاقتدى في أمر احمد بما فعلته في أمره وأراد أيضاً ان يسير في ملوك الامم ان خادماً من خدمك اتسع قلبه لهبة هذا المال من فضل احسانك اليه فيزيد في جلالة المملكة وجلالة قيمتها فيكسر ذلك الاعداء الذين يكاثرونك فسرّي عن المأمون وزال مابقلبه على عمرو ٭ وغضب الرشيد على محمد بن الاشعث غضباً شديداً من كلام جرى بينهما فخاف جعفر أن يستفزه الغضب فقال يا أمير المؤمنين انما تغضب لله فلا تغضب له بما لم يغضب به لنفسه فانعطف له الرشيد ٭ احضر هشام بن عبد الملك ابراهيم بن أبي عبلة الذي تقلد ديوان الحكم لمروان بن محمد فقال له انا قد عرفناك صغيراً وخبرناك كبيراً وأريد ان اخلطك بحاشيتي وقد وليتك الخراج بمصر فاخرج اليها فأبى ابراهيم وقال ليس الخراج من عملي ولا لي بصرٌ به فغضب هشام عليه غضباً شديداً حتى خاف ابراهيم بادرته فقال يا أمير المؤمنين تأذن لي في الكلام قال قل قال يقول الله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال

الآية فوالله ما كرهها ولاسخط عليها ولقد ذم الانسان لما قبلها فقال هشام ابيت الا رفقاً فأعفاه ورضي عنه * استسلف موسى بن عبدالملك من بيت المال الخاصة مالا الى أجل قريب وضمن للمتوكل رده فحل الاجل والمال متأخر فاغتاظ المتوكل من مدافعته به وقال لعبد الله بن يحيى بن خاقان وقع اليه عني برد المال اليوم وضيق عليه في المطالبة وأنفذ التوقيع مع عتاب بن عباب ومره بأن يطالبه فان أخر المال فاضربه بالمقارع في ديوان الخراج بحضرة الناس ولا ترفع المقارع عنه الا بحضور المال فأدى بعض الخدم الى موسى بالخبر فجلس ينظر في وجوه يرد منها المال ويجد وصار اليه عتاب بالتوقيع مختوماً وكان ذلك اليوم شديد الحر وقد انتصف النهار وموسى في خيش له في حجرة من ديوانه يتناوب عليه فراشان يروحانه بها فدخل عتاب وفي يد موسى كتاب طويل يقرأه وقد أكب موسى عليه يتشاغل به عن خطاب عتاب وأصاب عتاباً برد الخيش والمروحة فنام جالساً وقد ثقل وكان عتاب قد أخرج الكتاب الذي معه حين جلس فوضعه على دواة موسى فغمز موسى بعض غلمانه فأخذ الكتاب بعينه وما زال عتاب ينام و ينتبه وموسى يعمل الى ان انقضت الهاجرة وقد توجه بعض المال وانفذ بعض اصحابه لقبضه فقال له عتاب انظر فيما جئنا به قال أصلحك الله فيم جئت به قال فيما تضمن الكتاب قال اي كتاب قال الكتاب الذي اوصلته اليك من امير المؤمنين قال متى قال الساعة وضعته على دواتك قال أحسبك رأيت في النوم شيئاً فطلب عتاب الكتاب فلم يجده فقال سرق الكتاب والله يا أصحاب الاخبار اكتبوا فقال موسى يا أصحاب الاخبار اكتبوا كذب فيما ادعاه ما أوصل الى كتابا وأنتم حضور فهل رأيتموه أوصل اليّ شيئاً لعلك يا ابا محمد ضيعت الكتاب في طريقك فانصرف عتاب الى عبد الله فاخبره فدخل عبد الله الى المتوكل فحدثه فضحك وقال احضروا موسى الساعة فحضر فقال له المتوكل يا موسى سرقت الكتاب من عتاب قال اي والله يا سيدي خمنت انه كتاب بمكروه ونام عتاب قبل ان يوصل الكتاب فامرت من سرق منه الكتاب وقد أعددت نصف المال

والساعة احمله الى بيت المال الخاصة واحمل النصف الباقي بعد خمسة أيام وأقبل يتضرع فأنفذ المتوكل معه من يقبض المال وانصرف وقد رضى عنه . ذكر المدايني في كتابه قال أرسل زياد الى رجل من بني تميم من قعدة الخوارج فاستدعاه فجاءه خائفاً فقال له زياد ما يمنعك من اتياني قال قدمت علينا وقلت لا أعدكم خيراً ولا شراً الا وفيت به وأنجزته وقلت من كف لسانه ويده لم أتعرض له فكففت لساني ويدي وجلست في بيتي فأمر له بصلة وخرج والناس لا يشكون انه قتيل فقالوا له ما قال لك الامير فقال ما كلكم استطيع ان أخبره بما كان عندنا ولكني وصلت الى رجل لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فرزق الله تعالى فيه خيراً . اخبرني ابو الفرج الاصفهاني باسناده ان المأمون أقام بعد قدومه الى بغداد عشرين شهراً لم يسمع حرفاً من الاغاني ثم كان اول من تغنى بحضرته اخوه ابو عيسى ابن الرشيد ثم واظبه على السماع مستتراً متشبهاً بالرشيد في اول أمره فاقام المأمون كذلك اربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين وكان حين احب السماع سأل عني فخرجت بحضرته فقال الطاعن عليّ ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلفاء ما أبقي هذا من التيه شيئاً الا استعمله فامسك عن ذكري وجفاني من كان يصلني لسوء رأيه الذي ظن فيّ فاضر ذلك بي حتى جاءني علوية يوماً فقال اتأذن لي في ذكرك فانا قد دعينا اليوم فقلت لا ولكن غنه بهذا الشعر فانه سيبعثه علي ان يسألك لمن هو ذا فاذا سألك لمن هو انفتح لك ما تريده فكان الجواب اسهل عليك من الابتداء قال هات فالقيت عليه لحني في شعري

يا سرحة الماء قد سدت مواردة ... أما اليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام له ... مخلاءة عن طريق الماء مطرود

قال ابو الفرج والغناء فيه لاسحاق الموصلي رمل بالوسطى . رجع الحديث . فغنى علوية لما استقر المجلس غناه بالشعر الذي أمره به فقال ويلك باعلوية لمن هذا الشعر فقلت سيدي لعبد من عبيدك جفوته وطردته من غير جرم فقال اسحاق يغني قلت نعم قال يحضر الساعة فجاءني رسوله فصرت اليه فلما دخلت عليه قال ادن مني

فدنوت اليه فرفع يديه فانكببت فاحتضنني بيديه واظهر من بري واكرامي مالو أظهره صديق لصديقه لسره

الباب الخامس

من خرج من حبس او اسر أو اعتقال الى سراح وسلامة وصلاح حال

* حدثنا ابو العباس احمد المعروف بالاشرم المقري الخياط البغدادي بالبصرة بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين انه لما اصاب من هوازن ما أصاب من اموالهم وسباياهم ادركته هوازن بالجعرانة قد اسلموا فقالوا يا رسول الله انا اهل عشيرة وقد اصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منّ الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان مافي الحظائر من النساء خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي تكفلنك ولو انا صابحنا ابن ابى شمر الغساني او النعمان بن المنذر ثم اصابنا منهم الذي اصابنا منك رجونا عائدهما او عطفهما وانت خير المكفولين ثم انشده شعرًا

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه ونتنظر
امنن على بيضة قد عاقها قدرٌ ... مفرق شملها في دارها غير
ابقت لنا الحرب اقوامًا على حذر ... على قلوبهم الغماء والغمر
ان لم تداركهم نعماء تبشرهم ... يا ارجح الناس حلمًا حين تختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... اذ فوك تملاه من محضها درر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فانا معشر زهر
انا لنشكر للنعماء اذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
ياخير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه ... من امهاتك ان العفو مشتهر
انا نؤمل عفوًا منك نلبسه ... هادي البرية اذ تعفو وتنتصر
عفوًا عفا الله عما انت واهبه ... يوم القيامة اذ يهدى لك الظفر

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقالت قريش ما كان لنا فهو لله عزوجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فأطلقهم * أخبرني ابو بكر الصولي قال كان القاسم بن عبدالله الوزير قد تقدم عند وفاة المعتضد بالله الى صاحب الشرطة يونس الخازن ان يوجه الى عبد الله ابن المعتز وقصى بن المؤيد وعبد العزيز بن المعتمد فيحبسهم في دار ففعل ذلك وكانوا في الحبس خائفين الى ان قدم المكتفي بالله بغداد فعرف خبرهم وأمر باطلاقهم ووصل كل واحد منهم بألف دينار حدثنا عبدالله بن المعتز قال سهرت ليلة قدم في صبيحتها المكتفي الى بغداد فلم أنم خوفاً على نفسي وقلقاً بورودة فمرت بي في السحر طير فصاحت فتمنيت ان اكون مثلها لما يجرى عليَّ من النكبات ثم فكرت في نعم الله عز وجل وما خاره لي من الاسلام والقربة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أؤمله من البقاء الدائم في الآخرة فقلت في الحال

يانفس صبراً لعل الخير عقباك حاشاك من بعد طول الامن دنياك
مرت بنا سحراً طير فقلت لها طوباك ياليتني اياك طوباك
لكن هو الدهر فألقيه على حذر فرب مثلك ينزو تحت اشراك

فلما أصبحت افرج عني ووصلني بأشياء لم تكن في حسابي * حدثني علي بن هشام الكاتب عن أبي القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال لما بعد أبي الى مصر لازمت أبا عبادة البحتري وأبا معشر المنجم وكنت أسر بهما في وحدتي وملازمتي البيت وكانا في اكثر الاوقات عندي يحدثاني ويعاشراني فحدثاني يوماً انهما ضاقا اضاقة شديدة وكانا مصطحبين فمن لهما ان يلقيا المعتز بالله وهو محبوس فيتوددا اليه ويوصلا عنده أصلاً فتوصلا حتى لقياه في حبسه قال البحتري فأنشدته أبياتي التي قلتها في محمد بن يوسف الثغري لما حبس وخاطبت بها المعتز كاني عملتها اليه في الحال

(شعر)

جعلت فداك الدهر ليس بمنفك من الحادثات المشكو والنازل المشكى

وما هـذه الايام الا منازل فمن منزل رحب ومن منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما صفى الذهب الابريز قبلك بالسبك
أما في رسول الله يوسف اسوة لمثلك محبوساً على الظلم والافك
أقام جميل الصبر في الحبس برهة نال به الصبر الجميل الى الملك
على انه قد ضيم في حبسك العلى وأصبح عز الدين في قبضة الشرك

فأخذ الرقعة التي فيها الابيات فرفعها الي خادم كان واقفاً على رأسه وقال احفظها وغيبها فان فرج الله عز وجل عني فذكرني بها لاقضي حق هذا الرجل الحر وقال لي أبو معشر وقد كنت أنا أخذت مولده وقت عقد له العقد ووقت عقدت البيعة للمستعين بالخلافة فنظرت في ذلك وصححت الحكم للمعتز بالخلافة بعد فتنة تجري وحروب وحكمت على المستعين بالقتل فسلمت ذلك الى المعتز وانصرفنا وضرب الدهر ضربه وصح الحكم بأمره قال لي أبو معشر فدخلت أنا والبحتري الى المعتز بالله وهو خليفة بعد خلع المستعين وتغريقه فقال لي المعتز لم أنسك وقد صح حكمك وقد أجريت لك في كل شهر مائة دينار رزقا وثلاثين دينارا نزلا وجعلتك رئيس المنجمين في دار الخلافة وأمرت لك عاجلاً باطلاق الف دينار صلة فقبضت ذلك كله من يومي وقال لي البحتري فتقدمت وأنشدت المعتز قصيدة مدحته بها وهنأته بالخلافة وهجوت فيها المستعين أولها

يجانبنا في الحب من لانجانبه ويبعد عنا في الهوى من نقاربه

حتى انتهيت الى قولي

وكيف رأيت الحق قرقراره وكيف رأيت الظلم آلت عواقبه
ولم يكن المعتز بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعرى من برد النبي مناكبه
وقد سرني ان قيل وجد عارياً من الشرق تحدو سقبه وركائبه
الى واسط حيث الدجاج ولم يكن لينشب الا في الدجاج مخالبه

قال فاستعاد مني هذه الابيات مرارًا فأعدتها ودعا بالخادم الذي كان معه

في الحبس وطلب الرقعة التي كنت انشدته الشعر الذي فيها في حبسه فأحضره اياها بعينها فقال قد أمرت لك بكل بيت منها بالف دينار وكانت ستة أبيات فأعطيت ستة آلاف دينار ثم قال لي كاني بك قد بادرت فاشتريت منها غلاماً وفرساً وجارية والتفت وقال لا تفعل فان لك فيما تستأنف معنا في أيامنا ومع وزرائنا واسبابنا اذا عرفوا موضعك عندنا غناء عن ذلك ولكن افعل بهذا المال كما فعل ابن قيس الرقيات بالمال الذي وصل اليه من عبد الله بن جعفر اشتر به ضيعة جليلة تنتفع بغلتها ويبقى عليك وعلى ولدك أصلها فقلت السمع والطاعة وخرجت فاشتريت بالمال ضيعة جليلة * أخبرني أبو بكر الصولي اجازة ونقلته من خطه قال حدثني ابراهيم القنوي قال طولب ابو سعيد الثغري بعد غزواته المشهورة وسلم الى أبي الخير النصراني الجهبذ ليستخرج المال منه فجعل يعذبه فشق ذلك على المسلمين وقالوا آخذه بثار النصرانية فقال البحتري

أياضيعة الدنيا وضيعة أهلها ... والمسلمين وضيعة الاسلام
طلبت دخول الشرك في دار الهدى ... بين المداد وألسن الاقلام
هذا ابن يوسف في يدي أعدائه ... يجزى على الايام بالايام
نامت بنو العباس عنه ولم تكن ... عنه أمية لو دعت بنيام

فقرئ هذا الشعر على المتوكل فأمر باطلاق أبي سعيد وأمر باحضار البحتري واتصل به وكان أول شعر أنشده * جعلت فداك الدهر ليس بمنفك *

* وجدت في كتاب صاحب أبي الفرج المخزومي الخطي عن أبي طالب الجعفري انه سمع رجلاً يحدث عن محمد بن الفضل الجرجاني في وزارته للمعتصم قال كنت أتولى ضياع عجيف بكسكر فرفع على اني خنته وأخربت الضياع فانفذ الى من يقيدني فأدخلت عليه في داره بسر من رأى على تلك الحالة فاذا هو يطوف على ضياع فيها فلما نظرني شتمني فقال اخربت الضياع ونهبت الاموال والله لاقتلنك هاتوا السياط فأحضرت وسحبت للضرب فلما رأيت ذلك ذهب عليّ أمري وبلت على ساقي ونظر كاتبه الي فقال لعجيف أعز الله الامير أنت مشغول القلب بهذا البناء

وضرب هذا وقتله في أيدينا ليس يفوت فمر بحبسه وانظر في أمره فان كانت الوقيعة صحيحة فليس يفوتك عقوبته وان كانت باطلة لم تتعجل الاثم وتنقطع عما أنت بسببه من الهم فأمر بي الى الحبس فمكثت به أياماً وغزا أمير المؤمنين المعتصم فاتصل بكاتبه الخبر فأمر باطلاقي وأطلقني وخرجت وما اهتدى الى حبة فضة فما فوقها فقصدت صاحب الديوان بسر من رأى فتوجع من سوء حالي وعرض عليّ ماله فقلت بل تتفضل بتصريفي في شيء أستتر بجائزته فقلدني عملاً بنواحي دبار ربيعة واقترضت من التجار لما سمعوا خبر ولايتي ماتجملت به الى العمل وخرجت وكان من ضياع العمل ضيعة تعرف بكراثا فرأيتها في بعض طريقي ونزلت داراً منها فلما كان السحر وجدت المستحم ضيقاً غير نظيف وخرجت من الدار فاذا بتلّ فجلست أبول عليه وخرج صاحب الدار فقال أتدري على أي شيء بلت قلت على تل تراب فضحك وقال هذا قبر رجل يعرف بعجيف من قواد السلطان كان سخط عليه وحمل مقيداً فلما صار الى ههنا قتل وطرح في هذا المكان تحت حائط فلما انصرف العسكر طرحنا الحائط عليه لنواريه من الكلاب قال فتعجبت من بولي خوفاً منه وبولي على قبره * وروي ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي معمر عن رجل من أهل الكوفة قال كنا مع مسلمة بن عبد الملك ببلاد الروم فسبا سبياً كثيراً وأقام ببعض المنازل فعرض السبي على السيف فقتل خلقاً حتى عرض عليه شيخ ضعيف فأمر بقتله فقال ماحاجتك الى قتل شيخ مثلي ان تركتني جئتك بأسيرين من المسلمين شابين قال ومن لي بذلك قال اني اذا وعدت وفيت قال لست أثق اليك قال فدعني أطوف في عسكرك لعلي أعرف من يكفلني الى ان امضي وأجيء بالاسيرين فوكل به من أمره بالطواف معه في عسكره والاحتفاظ به فمازال الشيخ يطوف ويتصفح الوجوه حتى مر بفتى من بني كلاب قائماً يحسن فرسه فقال يافتى اضمني من الامير وقص عليه قصته قال أفعل وجاء الفتى معه الى مسلمة فضمنه فأطلقه مسلمة فلما مضى قال اتعرفه قال لا والله قال ولم ضمنته قال رأيته يتصفح الوجوه فاختارني

من بينهم وكرهت ان اخلفه ظنه فلما كان من الغد عاد الشيخ ومعه أسيران من المسلمين شابان فدفعهما الى مسلمة وقال يأذن الامير في هذا الفتى ان يصير معي الى حصني لا كافئه على فعله معي قال مسلمة للكلبي ان شئت فامض معه فلما مضى وصار معه الى حصنه قال له يافتى تعلم والله انك ابني قال وكيف أكون ابنك وأنا رجل من العرب مسلم وأنت من الروم نصراني قال أخبرني عن أمك ماهي قال رومية قال فاني أصفها لك فبالله ان صدقتُ الا صدقتني قال افعل فأقبل الرومي يصف أم الصبي ماخرج منها شيئاً فقال هي كذلك فكيف عرفت اني ابنها قال بالشبه وتعارف الارواح وصدق الفراسة ثم أخرج اليه امرأة فلما رآها الفتى لم يشك في انها امه لشدة شبهها بها وخرجت معها عجوز كانها هي فأقبلن يقبلن رأس الفتى فقال له الشيخ هذه جدتك وهذه خالتك ثم طلع من حصنه فدعا بشباب في الصحراء فأقبلوا فكلمهم بالرومية فجعلوا يقبلون رأس الفتى ويديه ورجليه ويترشفونه فقال هؤلاء اخوالك وبنو خالاتك وبنو عم والدتك ثم اخرج اليه حلياً كثيراً وثياباً فاخرة فقال هذا لوالدتك عندنا منذ سبيت فخذه معك فادفعه اليها فانها ستعرفه ثم اعطاه لنفسه مالاً كثيراً وثياباً جليلة وحمله على عدة دواب وبغال والحقه بعسكر مسلمة وانصرف فأقبل الفتى قافلاً حتى دخل منزله فأقبل يخرج الشيء بعد الشيء مما عرفه الشيخ انه لامه فتراه فتبكي فيقول لها قد وهبته لك فلما أكثر هذا عليها قالت يابني اسألك بالله من أي بلد صارت اليك هذه الثياب وهل قتلتم اهل هذا الحصن الذي كان هذا فيه فقال لها الفتى صفة الحصن كذا وكذا وصفة البلد كذا وكذا ورأيت فيه قوماً من حالهم كذا فوصف لها امها واختها وأولادها وهي تبكي وتنلق فقال لها مايبكيك فقالت الشيخ والله والله أبي والعجوز أمي وتلك اختي فقص عليها الخبر وأخرج بقية ما كان معه مما أنفذه أبوها اليها فدفعه لها ه وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطي عن أبي امية الهشامي باسناده عن منارة صاحب الخلفاء قال رفع الى هرون الرشيد ان رجلاً بدمشق من بقايا بني أمية عظيم الجاه واسع الدنيا كثير المال والاملاك مطاعاً في البلد له جماعة وأولاد ومماليك وموال يركبون

الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح جواد كثير البذل والضيافة وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذه الحال وهو في الكوفة في بعض خرجاته الى الحج في سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم وبايع أمير المؤمنين الامين والمأمون والمؤمن اولاده فدعاني وهو خال فقال اني دعوتك لامر يهمني وقد منعني النوم فانظر كيف تعمل وتكون ثم قص عليّ خبر الاموي وقال اخرج الساعة فقد أعددت لك الجهازات وأزحت عنك في الزاد والنفقة والآلات فضم اليك مائة غلام واسلك البرية وهذا كتابي الى امير دمشق ليركب في جيشه فاقبضوا عليه وجئني به وقد اجلتك لذهابك ستة ولعودك ستة ويوماً لقعودك وهذا محمل تجعله في شقة اذا قيدته وتجلس أنت في الشق الآخر ولا تكل حفظه الى غيرك حتى تأتيني به اليوم الرابع عشر من خروجك فاذا دخلت داره فتفقدها وجميع مافيها وولده وأهله وحاشيته رغلمانه وما يقولون وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ مايقوله الرجل حرفاً حرفاً من جميع الفاظه منذ وقوع طرفك عليه الى ان تأتيني به واياك ان يشذ عليك شيء من أمره انطلق قال منارة فودعته وخرجت فركبت الابل وسرت اطوي المنازل واسير الليل والنهار ولا انزل الا للجمع بين الصلاتين والبول وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت الى دمشق في اول الليلة السابعة وأبواب البلد مغلقة فكرهت طرقها ونمت بظاهرها الى ان فتح بابها من غد فدخلت على هيئتي حتى اتيت باب الرجل وعليه طفف كثيرة وحاشية كثيرة فلم استأذن ودخلت بغير اذن فلما رأى القوم ذلك سألوا بعض من معي عني فقالوا هذا منارة صاحب امير المؤمنين ارسله أمير المؤمنين الى صاحبكم فأمسكوا فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلساً رأيت فيه قوماً جلوساً فظننت ان الرجل فيهم فقاموا الي ورحبوا بي واكرموني فقلت أفيكم فلان قالوا لانحن أولاده وهو في الحمام قلت فاستعجلوه فمضى بعضهم يستعجله وانا افتقد الدار والاحوال والحاشية فوجدتها قد ماجت بأهلها موجاً شديداً فلم أزل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان أطال فاستربت واشتد قلقي

وخوفي من ان يتوارى الى أن رأيت شيخاً قد اقبل بزي الحمام يمشي في الصحن وحواليه جماعة كهول واحداث وصبيان هم اولاده وغلمان كثيرة فعلمت انه الرجل فجاء وسلم علي سلاماً خفيفاً وسألني عن أمير المؤمنين واستقامة امر حضرته فأخبرته بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤه باطباق الفاكهة فقال لي تقدم يامنارة كل معنا فقلت مابي الى ذلك حاجة فلم يعاودني فأقبل يا كل هو والحاضرون معه ثم غسل يده ودعا بالطعام فجاؤه بمائدة حسنة عظيمة لم أر مثلها الا للخليفة فقال لي تقدم يامنارة فساعدني على الاكل لايزيدني على ان يدعوني باسمي كما يدعوني الخليفة فامتنعت عليه فما عاودني وأكل هو وأولاده وكانوا تسعة وجماعة كثيرة من أصحابه وتأملت أكله في نفسه فوجدته أكل الملوك ووجدت جاشه رابضاً وذلك الاضطراب الذي في داره قد سكن ووجدته لايرفع من بين يديه شيء قد جعل على المائدة الا وبوهب وقد كان غلمانه لما نزلت الدار اخذوا جمالي وجميع غلماني فمدلوا بهم الى دارٍ له فما أطاقوا ممانعتهم وبقيت وحدي ليس بين يدي الا خمسة او ستة غلمان وقوف علي رأسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع علي من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا حفظه الى ان يلحقني امير البلد وجزعت جزعاً شديداً ورابني منه استخفافه بي وتهاونه بأمري ويدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي من الاكل ولا يسألني عما جئت له ويأكل مطمئناً وأنا افكر في ذلك اذ فرغ من طعامه وغسل يده واستدعى بالبخور فتبخر وأقام الصلاة فصلى الظهر واكثر من الدعاء والابتهال ورأيت صلاته حسنة فلما انفتل من صلاته أقبل على فقال ما أقدمك يامنارة فقلت امر لك من امير المؤمنين واخرجت الكتاب ودفعته اليه ففضه وقرأه ولما استتم قراءته دعا اولاده وحاشيته فاجتمع منهم خلق فلم اشك انه يريد ان يوقع بي فلما تكاملوا ابتدأ فحلف أيماناً غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة والوقف والحبس ان اجتمع منهم اثنان في موضع وان ينصرفوا ويدخلوا غلمانه وحاشيته منازلهم فلا يظهر منهم احد الى ان ينكشف له امر يعمل عليه وقال هذا كتاب امير المؤمنين

يأمرني بالمسير الى بابه ولست اقيم بعد نظري فيه لحظة واحدة فاستوصوا بمن ورائي من الحرم خيراً وما بي حاجة ان يصحبني غلام هات اقيادك يامنارة فدعوت بها وكانت في سفط واحضر حداداً ومد ساقيه فقيدته وامرت غلماني بحمله حتى حصل في المحمل وركبت في الشق الآخر وسرت من وقتي ولم ألق امير البلد ولاغيره وسرت بالرجل ليس معه أحد الى ان صرنا بظاهر دمشق فابتدأ يحدثني بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا قلت نعم قال انه لي ولي فيه غرائب من الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى بستان آخر فقال لي فيه مثل ذلك ثم انتهينا الى مزارع حسان وقرى سرية فأقبل يقول هذا لى ويصف كل شيء فيه من ذلك فاشتد غيظي منه فقلت له علمت اني شديد التعجب منك قال فلم قلت ألست تعلم ان امير المؤمنين قد اهمه أمرك حتى انفذ اليك من انتزعك من بين اهلك وولدك ومالك وأخرجك من جميع حالك وحيداً فريداً مقيداً لاتدري ماتصير اليه ولا كيف تكون وأنت فارغ القلب من هذا تصف بساتينك وضياعك هذه وانت ساكن القلب قليل الفكر فقال لي عجيباً انا لله وانا اليه راجعون اخطأت فراستي فيك قدّرتك رجلاً كامل العقل وانك ما حلت من الخلفاء هذا المحل الا بعد ان عرفوك بذلك فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام وعقولهم والله المستعان اما قولك في امير المؤمنين وازعاجه واخراجه اياي الى بابه على صورتي هذه فاني على ثقة بالله عز وجل الذي بيده ملكوت السموات والارض شاهد كل نجوى وكاشف كل بلوى حاضر كل سريرة وبيده ناصية أمير المؤمنين ولا يملك معه لنفسه نفعاً ولاضراً الا باذن الله ومشيئته ولا ذنب لي عند أمير المؤمنين أخافه وبعد فاذا عرف امري وعلم سلامتي وصلاح حالي وان الحسدة والاعداء رموني عنده بما لست في طريقه ونقولوا عليّ الاقاويل الكاذبة لم يستحل دمي ويخرج من ذمتي وازعاجي وردي مكرماً أو اقامتي ببابه معظماً وان كان قد سبق في علم الله تعالى انه يبدو منه الى بادرة سوء وقد حضر أجلي وحان سفك دمي على يده فلو اجتهدت الملائكة

والانبياء وأهل السماء والارض على صرف ذلك عني ما استطاعوا فلم أتعجل الغم وأتسلف الفكر فيما قد فرغ منه وأين حسن الظن بالله عز وجل الذي خلق ورزق وأحيا وامات وفطر وجبل واحسن واجمل وأين الصبر والرضا والتفويض والتسليم الى من يملك الدنيا والآخرة وقد كنت احسب أنك تعرف هذا فاذا قد عرفت مبلغ فهمك لا اكلمك أبدًا بكلمة واحدة حتى تعرف حضرة امير المؤمنين بيننا ان شاء الله تعالى ثم أعرض عني فما سمعت له لفظة بغير القرآن والتسبيح الا بطلب ماء او حاجة تجري مجراه حتى شارفنا الكوفة في اليوم الثالث عشر بعد الظهر فاذا النجب قد استقبلتني على فراسخ من الكوفة يتجسسون خبري فحين رأوني رجعوا متقدمين لي بالخبر الى أمير المؤمنين فانتهيت الى الباب في آخر النهار فحططت ودخلت على الرشيد فقبلت الارض بين يديه ووقفت فقال هات ما عندك واياك ان تغفل منه عن لفظة واحدة فسقت الحديث الى آخره حتى انتهيت الى الفاكهة والطعام والغسل والبخور والصلاة وما حدثت به نفسي من امتناعه والغضب يظهر في وجهه ويتزايد حتى انتهيت الى فراغ الاموي من الصلاة واقباله الي ومسألته عن سبب قدومي ودفعي الكتاب اليه ومبادرته الى احضار ولده وأنسابه وأهله واصحابه وحلفه لهم ان لا يتبعه احد منهم وصرفه اياهم ومد رجله حتى قيدته فما زال وجه الرشيد يسفر فلما انتهيت الى ماخاطبني به عند توبيخي اياه لما ركب المحمل قال صدق والله ما هذا الا رجل محسود على النعمة مكذوب عليه ولعمري قد أزعجناه وروعناه وأرعنا اهله فبادر بنزع قيوده عنه واثنني به فخرجت ونزعت قيوده وأدخلته الى الرشيد فما هو الا ان رآه حتى رأيت ماء الحياة يجول في وجهه فدنا الاموي وسلم بالخلافة ووقف فرد عليه الرشيد ردًا جميلاً وأمره بالجلوس فجلس فأقبل عليه الرشيد يسائله عن حاله ثم قال له انه بلغنا عنك فضل هيئة وأمور احببنا معها ان نراك ونسمع كلامك ونحسن اليك فاذكر حاجاتك فأجاب الاموي جوابًا جميلاً وشكر ودعاء وقال أما حاجاتي فما لي الا حاجة واحدة قال مقضية فما هي قال يا أمير المؤمنين تردني الى بلدي واهلي

وولدي قال نحن نفعل ذلك ولكن سل ماتحتاج اليه من مصالح جاهك ومعاشك فان مثلك لايخلو ان يحتاج الى شيء من هذا فقال عمال أمير المؤمنين منصفون وقد استغنيت بعد له عن مسألته من ماله واموري منتظمة واحوالي مستقيمة وكذلك امور أهل البلد بالعدل الشامل في ظل دولة امير المؤمنين فقال الرشيد انصرف محفوظاً الى بلدك وا كتب لنا بأمر ان عرض لك فودعه الاموي فلما ولى خارجاً قال الرشيد يامنارة احمله من وقتك وسر راجعاً كما سيرته حتى اذا اوصلته الى المجلس الذي أخذته منه فدعه وانصرف ففعلت ذلك ٭ حدثني علي بن هشام قال سمعت أبا الحسن علي بن عيسى يتحدث قال سمعت عبيد الله بن سليمان ابن وهب يقول حدثني أبي قال كنت أنا والعباس بن الخصيب مع خلق من العمال والكتاب معتقلين في يدي محمد بن عبد الملك في آخر وزارته للواثق نطالب ببقيامصادرات ونحن في اياس من الفرج اذ اشتدت علة الواثق وحجب ستة أيام عن الناس فدخل اليه أبو عبدالله احمدبن أبي دؤادالقاضي فقال له الواثق يا أبا عبد الله وكان يكنيه ذهبت مني الدنيا والآخرة قال كلا يا أمير المؤمنين قال بلى والله قد ذهبت مني الدنيا بما ترى من حضور الموت وذهبت الآخرة بما أسلفت من العمل القبيح فهل عندك شيء من دواء قال نعم يا أمير المؤمنين قد عزل محمد بن عبد الملك كثيراً من الكتاب والعمال وملأ بهم الحبوس ولم يتحصل من جهتهم على شيء كثير وهم عدد كثير ووراءهم الف يد ترفع الى الله عز وجل بالدعاء عليك فتأمر باطلاقهم لترتفع تلك الايادي بالدعاء لك فلعل الله يهبك العافية وعلى كل حال أنت محتاج الى ان تقل خصومك فقال نعم ما أشرت به وقع اليه عنى باطلاقهم فقلت ان رأى خطي عاند ولج ولكن يغتنم أمير المؤمنين الثواب ويتساند ويحمل على نفسه ويوقع بخطه فوقع الواثق بخط مضطرب الي ابن الزيات باطلاقهم واطلاق كل من في الحبس من غير استئمار ولا مراجعة وتقدم الى أيناخ ان يمضي بالتوقيع ولا يدعه يعمل شيئاً أو يطلقهم وان يحول بينه وبين الوصول اليه او كتب رقعة او اشتغال بشيء ألبتة الا بعد

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

اطلاقهم وانه ان لقيه في الطريق ان ينزله عن دابته ويجلسه في الطريق حتى يفرغ من ذلك فتوجه ايناخ فلقي ابن الزيات راكباً يريد الخليفة فقال له تنزل عن دابتك وتجلس على غاشيتك فارتاع وظن الحال به قد وقعت فنزل وجلس على غاشيته فأوصل اليه التوقيع فامتنع وقال اذا أطلقت هؤلاء فمن أين أنفق الاموال واقيم الاتراك فقال لابد من ذلك فقال اركب واستأذنه فقال لاسبيل الى ذلك قال فدعني اكاتبه قال ولا هذا فما برح من موضعه حتى وقع باطلاق الناس فصار ايناخ الينا ونحن في الحبس اياس من الفرج وقد بلغنا التلف وبلغنا اشتداد علة الواثق وأرجف لابنه بالخلافة وكان صبياً فخفنا ان يتم ذلك فيجعل ابن الزيات الصبي شيخاً ويتولى التدبير فيتلفنا وقد امتنعنا لفرط الغم من الاكل فلما دخل ايناخ الحبس لم نشك انه قد حضر لبلية فأطلقنا وعرفنا الصورة فدعونا الله عز وجل لابن أبي دؤاد وللخليفة وانصرفنا الى منازلنا لحظة ثم خرجنا فوقفنا لابي عبد الله بن أبي دؤاد على الطريق ننتظر عوده من دار الخلافة الى داره فحين رأيناه ترجلنا له ودعونا له وشكرناه فأكبر ذلك عليه ومنعنا من الترجل فلم نمتنع فوقف حتى ركبنا وسايرنا الى منازلنا وأخذ يخبرنا بالخبر ونحن نشكره وهو يقتصر مافعل ويقول هذا أقل حقوقكم وكان الذي لقيه أنا واحمد بن الخصيب وقال ستعلمان ما أعمله مستأنفاً ورجع ابن أبي دؤاد الى دار الخلافة عشياً فقال له الواثق قد تبركت برأيك يا أبا عبد الله ووجدت خفاً من العلة ونشطت للاكل فأكلت وزن خمسة دراهم من الخبز بصدر دراج فقال له أبو عبد الله يا أمير المؤمنين تلك الايدي التي كانت تدعو عليك غدوة صارت تدعو لك عشية ويدعو لك بسببهم خلق كثير من رعيتك الا انهم قد صاروا الى دور خراب واحوال قبيحة بلا فرش ولا كسوة ولا دواب ولا ضياع موتى جوعاً وهزالاً قال فما ترى قال يا أمير المؤمنين في الخزائن والاصطبلات بقايا ما أخذ منهم فلو أمرت ان ينظر في ذلك فكل من وجد له شيء باق من هذا رد عليه وأطلقت عن ضياعهم لعاشوا وخف الاثم وتضاعف الدعاء وقويت العافية قال فوقع بذلك عنى فوقع عنه ابن

أبي دؤاد فما شعرنا من الغد الا وقد رجعت نعمنا علينا ومات الواثق بعد ثلاثة أيام وفرج الله عز وجل عنا بابن أبي دؤاد وبقيت له المكرمة العظيمة في أعناقنا

* حدثني أبو الحسن علي بن هشام قال سمعت أبا الحسن علي بن عيسى وأبا الحسن الايادي الكاتب يقولان كان عبيد الله بن سليمان يقول كنت بحضرة أبي في ديوان الخراج بسر من رأى وهو يتولاه اذ دخل عليه احمد بن خالد الصرفيني الكاتب فقام اليه أبي قائماً من مجلسه وأقعده في صدره وتشاغل به ولم ينظر في عمل حتى نهض ثم قام معه وأمر غلمانه بالخروج بين يديه فاستعظمت أنا وكل من في المجلس هذا لان رسم أصحاب الدواوين صغارهم وكبارهم لا يقومون في الديوان لاحد ممن خلق الله تعالى ممن يدخل اليهم فتبين أبي ذلك في وجهي فقال لي يابني اذا خلونا فاسألني عن السبب فيما عملته مع هذا الرجل قال وكان أبي يأكل في الديوان وينام فيه ويعمل عشيا فلما جلسنا نأكل لم أذكره الى ان رأيت الطعام كاد ينقضي فقال لي هو يابني شغلك الطعام عما قلت لك ان تذكرني به فقلت لا ولكن أردت ان يكون ذلك على خلوة فقال يابني هذه خلوة ألست انكرت أنت والحاضرون قيامي لاحمد بن خالد عند دخوله وخروجه وما عاملته به قلت نعم فقال كان هذا يتقلد مصر فصرف عنها وقد كانت مدته فيها طالت فوطئت آثار رجل لم أر أجمل آثارا منه ولا اعف عن أموال السلطان والرعية ولا رأيت رعية لعامل أشكر من رعيته له وكان الحسين المعروف بعرق الموت الخادم صاحب البريد بمصر أصدق الناس لنفع هذا وهو من أبغض الناس الى وأشدهم اضطراب اخلاق فلم أتعلق عليه بحجة ووجدته قد أخر رفع الحساب لسنة متقدمة لسنته التي هو فيها ولم ينفذه الى الديوان فسألته ان يحط من الدخل ويزيد في النفقات والارزاق ويكثر من البقايا في كل سنة مائة الف دينار لاخذها لنفسي فامتنع من ذلك فأغلظت له وتوعدته ونزلت معه الى مائة الف واحدة في السنتين وحلفت بايمان مؤكدة اني لا أقنع منه بأقل من هذا فأقام على امتناعه وقال أنا لا أخون لنفسي فكيف أخون لغيري وأزيل ماقام به جاهي من العفاف فحبسته

وقيدته فلم يجب واقام مقيداً في الحبس شهوراً وكتب عرق الموت يضرب عليّ عند المتوكل ويحلف ان أموال مصر لاتفي بنفقتي ومؤنتي ويصف احمد بن خالد ويذكر ميل الرعية اليه وعفته فأنا ذات يوم على المائدة آكل اذ وردت الى رقعة احمد بن خالد يسألني استدعاءه لمهم يلقيه الي فلم أشك انه قد ضاق بالحبس والقيد وقدعزم على الاستجابة لمرادي فلما غسلت يدي دعوته فاستخلاني فأخليته فقال اما آن لك ياسيدي ان ترق لي مما أنا فيه من غير ذنب اليك ولا جرم ولا قديم دخل ولا عداوة فقلت انت اخترت لنفسك هذا وقد سمعت يميني وليس منها مخرج فاستجب لما أمرت به واخرج فأخذ يستعطفني ويخدمني ويخدعني فقال لي ياسيدي فليس الآن عندك غير هذا فقلت لا فقال اذا كان ليس غير هذا فاقرأ ياسيدي وأخرج الي كتاباً لطيفاً مختوماً في ربع قرطاس ففضضته فاذا هو بخط المتوكل الذي اعرفه وهو الي يأمرني فيه بالانصراف وتسليم ما اتولاه الى احمد ابن خالد والخروج اليه مما يلزمني ورفع الحساب فورد على أقبح مورد لقرب عهد الرجل بشتمي له واساءتي اليه فأمسكت مبهوتاً ولم ألبث ان دخل أمير البلد في أصحابه وغلمانه فوكل بداري وبجميع ما أملكه وبأصحابي وغلماني وجها بذي وكتابي وجعلت ازحف من صدر المحل حتى صرت بين يدي احمد بن خالد ودعا أمير البلد بحداد فحل قيده فوثب قائماً وقال لي يا أبا ايوب أنت قريب عهد بعمالة هذا البلد ولا منزل لك فيه ولا صديق ومعك حرم وحاشية كثيرة وليست تسعك الا هذه الدار وكانت دار العمالة وأنا أجد عدة مواضع غيرها وليس لي كثير حاشية ومن نكبة خرجت فأقم بمكانك وخرج وصرف المتوكل بالدار وأخذ كاتبي وأسبابي اليه فلما انصرف قلت لغلماني هذا الذي نراه في النوم انظروا من وكل بنا فقالوا ماوكل بنا أحد فعجبت من ذلك عجباً عظيماً وما صليت العصر حتى عاد الى من كان حمله معه من المتصرفين والكتاب والجهابذة مطلقين وقالوا أخذ خطوطنا برفع الحساب وأمرنا بالملازمة واطلقنا قال فازداد عجبي فلما كان من غد باكرني مسلماً ورحت اليه في عشية ذلك اليوم وأقمت ثلاثين

يوماً ان سبقني الى المجيء والا رحت اليه وان راح الي والا باكرته وفي كل يوم تجيئني هداياه والطافه من الثلج والفاكهة والحيوان والحلوى فلما كان بعد الثلاثين يوماً جاءني وقال قد عشقت مصر ياأبا ايوب والله ماهي طيبة الهواء ولا عذبة الماء وانما تطيب بالولاية والاكساب ولو قد دخلت الى سر من رأى لما اقمت بها الا شهراً واحداً حتى تثقلد أحد الاعمال فقلت والله ما انا الا متوقع لامرك في الخروج فقال أعطني خط كاتبك بأن عليه القيام بالحساب واخرج في حفظ الله فأحضرت كاتبي وأخذت خطه كما اراد وسلمته اليه وقال لي أخرج اي يوم شئت فخرجت من غد فخرج هو وأمير البلد وقاضيه وأهله فشيعوني الى ظاهر البلد وقالوا لي تقيم في اول منزل على خمسة فراسخ الى ان ازيح علة قائد و يصحبك برجاله الي الرملة فان الطريق فاسد فأستوحشت لذلك وقلت هذا انما غرني حتى اخرج كل ما املكه فيتمكن منه في ظاهر البلد فيغتصبه ثم يردني الى الحبس والتوكيل والمطالبة و يحتج علي بكتاب ثان يذكر انه ورد من المتوكل فخرجت فأقمت بالمرحلة التي امر بها مستسلماً متوقعاً للشر الى ان رأيت اوائل عسكر مقبل من مصر فقلت لعله القائد الذي يريد ان يصحبني اياه او لعله الذي يريد ان يقبض علي به فأمرت غلماني بمعرفة الخبر فقالوا العامل احمد بن خالد قد جاء فلم أشك في انه قد ورد البلاء بوروده فخرجت من مضربي فلقيته وسلمت عليه فلما جلس وسلم قال أخلونا فلم اشك انه للقبض عليّ وطار عقلي فقام من كان عندي فلما لم يبق احد قال أنا اعلم ان ايامك لم تطل بمصر ولا حظيت بكثير فائدة وذلك الباب الذي سألتنيه في ولايتك فلم اجب اليه انما اخرت الاذن لك في الانصراف منذ اول الامر الى الآن لاني تشاغلت بالفراغ لك منه وقد حططت من الارتفاع وزدت في النفقات كل سنة خمسة عشر الف دينار تكون في السنتين ثلاثين الف دينار وهو يقرب ولا يظهر و يكون أيسر مما اردته مني في ذلك الوقت وقد تشاغلت به حتى جمعته لك وهذا المال على البغال فقدم اليّ من يسلمه فتقدمت لقبضه وقبلت يده وقلت قد والله يا سيدي فعلت ما لم تفعل البرامكة فأنكر ذلك

مني وتقبض منه وقبل يدي ورجلي وقال هاهنا شيء آخر اريد ان تقبله مني فقلت ما هو قال خمسة آلاف دينار قد استحقيتها من رزقتي فامتنعت وقلت فيما قد تفضلت به كفاية فحلف اني اقبلها منه فقبلتها فقال وهذه الطاف من هدايا مصر أحببت ان اصحبك اياها فانك ستصير الى كتاب الدواوين ورؤساء الحضرة ويقولون لك وليت مصر فاين نصيبنا من هداياها ولم تطل أيامك فتعد ذلك لهم وقد جمعت لك منه ما يشتمل عليه هذا الثبت واخرج درجاً فيه ثبت جامع لكل شيء في الدنيا حسن ظريف جليل القدر من ثياب دبيقي وقصب وخدم وبغال ودواب وحمير وفرش وطيب كثير وما يكون فيه الجميع مال كثير فأمرت بتسلمه وزدت في شكره فقال لي ياسيدي أنا مغربي بحب الفرش وقد عمل لي بيت أرمني بأرمينية وهو عشر مصليات بمخادها ومساندها ومطارحها وبساطها وهو مذهب بطرز مذهبة قد قام على بخمسة آلاف دينار على شدة احتياطي فان اهديته الى الوزير عبدك وان اهديته الى الخليفة ملكته به وان أبقيته لنفسك وتجملت به كان احب اليّ وحمله الي فما رأيت مثله قط ولم تسمح نفسي باهدائه الى احد ولا استعماله فما ابتذلت منه شيئاً الا يوم اعذارك فهل تلومني يا بني بعد ذلك على ان أقوم لهذا الرجل قال فقلت لا والله يا ابي ولا على ما هو اكثر من القيام لو كان مستطاعاً قال فكان ابي بعد ذلك اذا صرف رجلا عامله بكل جميل يقدر عليه ويقول علمنا احمد بن خالد حسن التصرف ٭ حدثنا ابو علي الحسين بن محمد بن موسى الانباري الكاتب الذي كان زوج ابنة المهلبي بن محمد رحمهم الله باسناده ان القاسم بن عبيدالله لما تفرد بالوزارة بعد موت أبيه كان يحب الشرب واللعب ويخاف ان يتصل بالمعتضد خبره فيستنقصه وينسبه الى الصبوة والتهتك والتشاغل واللذات عن الاعمال وكان لايشرب الا في حالين على اخفاء وأستر ما يكون وانه خلا يوماً مع جوار مغنيات ولبس من ثيابهن المصبغات وأحضر فواكه كثيرة وشرب ولعب من نصف نهار يوم الى نصف الليلة الاخرى ونام بقية الليلة وبكر الى المعتضد للخدمة على رسمه فما أنكر شيئاً وبكر في اليوم الثاني فخين وقعت عين

المعتضد عليه قال له يا قاسم ما كان عليك لو دعوتنا الى خلوتك وألبستنا معك من ثيابك المصبغات قال فقبل الارض وورى عن الصدق وأظهر الشكر على هذا البسط وخرج وقد كاد يتلف غماً لوقوف المعتضد على هذا القدر من امره وكيف لا تخفى عليه مواقفه فجاء الى داره كئيباً وكان له في داره صاحب خبر يقال له خالد يرفع اليه أمورها فأحضره وعرفه بما جرى بينه وبين المعتضد وقال له ان بحثت لي عمن اخرج هذا الخبر اليه زدت في رزقك واجزتك كذا وان لم تعرفه نفيتك الى عمان وحلف له على الامرين فخرج صاحب خبره من حضرته متحيراً كئيباً لا يدري ما يعمل يومه ويفكر ويحتال ويجتهد فما وقع له رأي يعمل عليه قال صاحب الخبر فلما كان من الغد بكرت الى دار القاسم زيادة تبكير على ما جرى به رسمي لفرط سهري وقلقي تلك الليله ومحبتي للبحث فجئت ولم يفتح باب دار القاسم بعد فجلست فاذا برجل يزحف في ثياب المكدين ومعه مخلاة كما يكون مع المكدين فلما جاء الى الباب جلس حتى فتح فسابقني الى الدخول فأولع به البوابون وقالوا اي شيء خبرك يا فلان وصفعوه فمزحهم وطايبهم وشتمهم وشتموه وجلس في الدهليز فقال الوزير يركب اليوم قالوا نعم الساعة يركب قال وأي وقت نام البارحة قالوا وقت كذا وكذا فلما رأيته يسأل عن هذا خمنت انه صاحب خبر فاصغيت اليه ولم أرهم يحفلون بأمره وهو لم يدع بواباً ممن وصل الى الوزير وممن لم يصل الا سأله عنه وحدثه به ويبدؤه باحاديث أخر على سبيل الفضول ثم زحف فدخل الى جنب اصحاب الستور فأخذ معهم في مثل ذلك وأخذوا معه في مثله ثم زحف فدخل الى دار العامة فقلت لاصحاب الستور من هذا فقالوا رجل زمن فقير أبله طيب النفس يدخل الدار ويتطايب ويتصدق فيهب له الغلمان والمتصرفون فتبعته الى ان دخل المطبخ فسأل عما اكل الوزير ومن كان معه على المائدة وفي أي شيء أفاضوا والطباخ وغلمانه وغلمان صاحب المائدة كل واحد يخبره بشيء ثم خرج يزحف حتى دخل حجرة الشراب فلم يزل يبحث عن كل شيء ويحدث ثم خرج الى خزانة الكسوة فكانت حالته

وصورته هذه ثم جاء الى مجلس الكتاب في الديوان فقصد واقبل يسمع ما يجري ويسأل الصبي بعد الصبي والحدث بعد الحدث عن الشيء بعد الشيء ويستخبر الخبر في كل موضع من تلك المواضيع ويتتبعه ويخلط الجد بالمزاح والتطايب بكلامه والاخبار تنجرّ اليه وتتساقط عليه والقطع تجيئه وهو يملا تلك المحلات فلما فرغ من هذا أقبل راجعاً يريد الباب فلما بلغه قبضت عليه فأدخلته بيتاً وأغلقت عليه وجلست على بابه فلما خلا الوزير أعلمته فقال أحضر لي الرجل وفي رواية اخرى انه لما بلغ الباب تبعته فرجع حتى جاء الى موضع من الخلد فدخل اليه ووقفت انتظره فاذا هو بعد ساعة قد خرج بثياب حسان ماشياً بغير قلبة فتبعته حتى جاء الى دار قرب دار الخادم الموكل بحفظ دار ابن طاهر فدخلها فسألت عنها فقالوا هذه دار فلان الهاشمي رجل متجمل فرصدته الى وقت المغرب فجاء خادم من دار ابن طاهر فدق الباب فكلمه من خوخة له فصاح اليه ورمى اليه برقعة لطيفة فأخذها الخادم وانصرف فجئت فطلبت من الوزير غلماناً فسلم الي ما طلبت فبكرت من سحر الى الدار التي في الخلد فاذا أنا بالرجل قد جاء بزيه الذي دخل به داره بقرب دار ابن طاهر فكبسته في الموضع فاذا هو قد نزع تلك الثياب ولبس ثياب المكدين التي رأيتها عليه اولاً فحملته وغطيت وجهه وكتمت أمره حتى أدخلته دار القاسم ودخلت اليه وقصصت عليه الخبر قال ففوض القاسم شغله وخلا واستدعاه فقال لتصدقني عن أمرك اولا ترى ضوء الدنيا ولا تخرج من هذه الحجرة والله أبداً قال تؤمنني قال أنت آمن فنهض لاقلبة به فتحير القاسم وقال الرجل أنا اخبرك أنا فلان بن فلان الهاشمي رجل متجمل وانا اتخبر عليك للمعتضد منذ كذا وكذا فانزل بدرب يعقوب بقرب دار ابن طاهر يجري على المعتضد خمسين ديناراً في الشهر وأخرج كل يوم بالزي الذي لاينكره جيراني فأدخل داراً في الخلد بيدي منها بيت بأجرة فيظن أهلها اني منهم ولا ينكروني للزي فاخرج من هناك بهذه الثياب وأتزامن من الموضع وألبس لحية فوق لحيتي مخالفة للونى حتى ان لقيني في الطريق بالاتفاق بعض من يعرفني انكرني وامشي زحفاً من الخلد الى دارك فاعمل

جميع ما عرفت وأقفى أخبارك من غلمانك وهم لا يعرفون غرضي ويخرجون الي بالاسترسال مالو بذل لهم فيه من الاموال لم يظهروه ثم اخرج فأجيء الى موضع من الخلد فأغير ثيابي وأعطى ذلك الذي قد اجتمع معي في المخلات للمكدين وألبس ثيابي التي يعرفوني بها جيراني وأعود الى منزلي وآكل وأشرب وألعب بقية يومي فاذا جاء المغرب جاءني خادم من خدم دار ابن طاهر مندوب لهذا فأرمي اليه من روزنة لي برقعة فيها خبر ذلك اليوم ولا افتح له باباً فاذا كان بعد تسعة وعشرين يوماً جاءني الخادم فأنزل اليه فأعطيه رقعة ذلك اليوم ويعطيني جائزة ذلك الشهر ولولا اني لم أر صاحب خبرك ولا فطنت له لما تم عليّ هذا ولو كنت لحظته لحظة واحدة لما خفي على انه صاحب خبر ولكنت رجعت من الموضع الذي أراه فيه فلا يعرف خبري وبعد ذلك فانما تم عليّ هذا لان اجلي قد حضر فالله الله في دمي قال فاصدقني عما رفعته عني الى المعتضد قال فحدثه باشياء رفعها منها خبر الثياب المصبغات قال فحبسه القاسم أياماً وأخفى أمره وأنفذني الى منزله وقال راع أمرهم وانظر ما يجري فمضيت الى داره التي وصفها بدرب يعقوب فجلست الى المغرب فجاء الخادم فصاح به فقالت له الجارية ما رجع اليوم ولم يكن له بهذا عادة قط وقد قامت قيامتنا والله فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وقت المغرب وجاء الخادم فقالت الجارية ما جاء اليوم أبداً وقد والله اشتد همنا وأشفقنا ان يكون قد حدثت عليه حادثة لا نعرفها فانصرف الخادم وانصرفت وعدت من غد وعاد الغلام فقالوا له يا هذا قد والله يئسنا منه ولا شك في انه هلك والمآتم قد اقيمت عليه في منزل امه وعمومته فانصرف الخادم وجئت الى القاسم بالخبر فلما كان من الغد ركب القاسم الى المعتضد فحين رآه استدعاه وساره وقال ابراهيم الهاشمي الملتزم بحياتي أطلقه وأحسن اليه وأنت آمن بعدها من ان أنصب عليك صاحب خبر ووالله لئن احدثت به حادثة لا عرفت في دمه أحداً غيرك فقبل الارض وانصرف فعاد الى داره وحمد الله تعالى اذ لم يعجل بقتله وأخبرنا الخبر وأحضر الهاشمي وخلع عليه ووصله بمال له

قدر وصرفه وانقطعت اخباره عن المعتضد * حدثنا ابو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول التنوخي بالاسناد عن ابى القاسم عبيد الله بن سليمان وهو وزير في يوم من ايام جلوسه للمظالم اذ وقعت في يده رقعة فقرأها وتوقف ساعة كالمفكر ثم قال أين عمر بن محمد بن عبد الملك فأدخل عليه فقال أنت عمر قال نعم أعز الله الوزير أنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال فتوقف ايضاً ساعة ثم قام الى خلوة له ولم يطل وعاد الى موضعه فوقع لعمر بن محمد بجائزة ولم يزل كالمفكر الى ان تفرق الناس وخلا المجلس ممن يحتشم فقال لنا وقفتم على خبر هذا الرجل قلنا قد وقفنا على ما كان من الوزير أعزه الله في أمره ولم نقف على السبب فقال احدثكم بحديثه فأنه ظريف حدثني أبي ابو ايوب رحمه الله تعالى قال كنت في يدي محمد بن عبد الملك الزيات يطالبني وأنا منكوب وكان يحضرني كل يوم بغير سبب ولا مطالبة وانا في قيودي وعلي جبة صوف وكان أخي الحسن يكتب بين يديه ولم يكن يتهيأ له في امري شيء الا انه كان اذا رآني مقبلاً استقبلني فاذا رجعت الى موضعي شيعني اذ أقبل في يوم خادم لمحمد ومعه ولد صغير فوثب كل من في المجلس الي الصبي يقبلونه ويدعون له سواي فكنت مشغولا بنفسي فلم أتحرك فأخذه محمد وضمه اليه وقال يا سليمان لم لا تفعل بهذا الصبي كما فعله اهل المجلس قلت اشغلني عن ذلك ما أنافيه قال لا ولكنك لم تطق ذلك عداوة لابيه وله وكأني بك وقد ذكرت عبيد الله فأملت فيه الآمال والله لا رأيت فيه شيئاً تؤمله وأشرف بعد ذلك في الاستماع فعلمت انه قد بغي ووثقت من الله عز وجل بجميل عادته وانه سيبلغني ما آمله فيه عنادا لبغيه قال ولم يمض الا مدة يسيرة حتى سخط المتوكل على محمد بن عبد الملك وقلدني مناظرته واحصاء متاعه فوافيت داره فرأيت ذلك الخادم بعينه ومعه الصبي يبكي فقلت ماخبر هذا الصبي فقال قد منع من كل ماله وأدخل في الاحصاء فقلت لا بأس عليه فدخلت فسلمت اليه كل ما كان له ثم قال لي فينبغي يا بني ان تهيأت لك حال ورأيت الصبي وهو عمر بن محمد ان تحسن اليه وتقابل نعمة الله تعالى فيه بما يجب لها فلما رأيته في هذا الوقت تذكرت

ما قاله ابو ايوب رحمه الله تعالى فامتثلت فيه ما اشار به وأنا اتقدم بعد الذي فعلته به الى ابى الحسين بتصريفه وكانت لعمر خرجة قويت بها حاله عند ابى الحسين الى ان استخلفه في دار ابى النجم مدبرا بين يديه وقد ذكر محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء انه وجد بخط ميمون بن هارون عن ابى محمد داود بن الجراح وقد وقع اليّ من وجه آخر على خلاف ذلك باسناده عن جماعة قالوا كلهم حضرنا مجلس عبيدالله بن سليمان في اول وزارته للمعتضد وقد حضر رجل رث الهيئة بثياب غلاظ فعرض عليه رقعة وكان جالساً للمظالم فقرأها قراءة متثاقل لها متفكر متعجب ثم قال نعم وكرامة ثلاث مرات افعل ماقال أبى لا ماقال ابوك وكرر هذا القول ايضاً ثلاث مرات ثم قال له عد الى وقت العصر لا نظر في أمرك ثم قال لنا اذا خلوت فذكروني بحديث هذا لاخبركم منه بعجب عجيب وعمل بقية المجلس ثم قام واستراح ودعا بالطعام فلما أكلنا أكثر الاكل قال لنا ما أراكم ذكرتموني بحديث صاحب الرقعة فقلنا أنسينا فقال حدثني ابي قال كنت في زمن محمد بن عبدالملك في ايام الواثق لما صادرني عن كتابة ايناخ على اربعمائة الف دينار وقد أديت منها مائتي الف ونيفاً وأربعين الف دينار فاستحضرني يوماً وطالبني بالباقي وحدني فيه وارهبني ولم يرض مني الا إن اجبت أن أؤدي خمسين الف دينار قاطعة للمصادرة على ان يطلق ضياعي قال ونحن في ذلك ولم يأخذ خطي به بعد اذ خرج اليه خادم من دار حرمه برقعة فقرأها ونهض فكان بحضرته أخي ابو علي الحسين بن وهب وهو غالب عليه الا انه يخافه ان يتكلم في امري وهو يرى مايجرى ولا يقدر ان يكلمني ولا يكلمه فلما قام الوزير رمى الى اخي برقعة لطيفة فوقعت في حجري فاذا فيها جاءني الخبر الساعة من دارك ان قد رزقت ابناً خلقاً سوياً وهو جسم بغير اسم فما تحب ان يسمى ويكنى فقلت له عبيد الله ابو القاسم فكتب بذلك في الحال الى منزلي قال وتداخلني سرور بذلك وقوة نفس وحدثت نفسي بانك تعيش وتبلغ وانتفع بك قال وعاد محمد الى مجلسه فأعاد خطابي فلم استجب له وأخذت ادافع فقال لي يا أبا ايوب ما ورد عليك بعدي أرى عينيك ونفسك ووجهك بخلاف ما خلفتك منذ ساعة

فقلت ما ورد علي شيء فقال والله لئن لم تصدقني لافعلن وأصنعن فقلت ما عندي ما اصدق عنه فأقبل علي اخي فقال لتخبرني بشأنه فخافه أخي فصدقه عن الصورة فسكن وقال له أتعرف لاي شيء قمت أنا فقال لا قال كوتبت بان ولداً ذكراً سوياً قد ولد لي فدخلت فرأيته وأسميته باسم ابي وكنيته بأبي مروان قال سليمان فقمت اليه وقبلت يديه ورجليه وهنأته وقلت ايها الوزير هذا يوم مبارك وقد رزقت ابناً فارحمني وارع سالف خدمتي لك واجعل ابني موسوماً بخدمة ابنك يسلم معه في المكتب ويتعلمان وينشوان في دولتك فيكون كاتباً له فحملته اللدادة والقسوة التي فيه الى ان قال يا أبا أيوب أعلى تجوز بي وتستفز وتخاتل قد حدثتك نفسك بأن أبنك هذا يبلغ المبالغ وتؤمل له الوزارة ورجوت في نوائب الزمان وقلت ارجو ان يحتاج ابنه الى ابني حتى يطلب منه الاحسان والفضل فاذا استحلفك بالله وأحرج عليك ان بلغ ابنك هذا المبلغ الا وصيته ان جاءه ابني لشيء من هذا أن لايحسن اليه قال فأعظمت الخطاب وتنصلت واعتذرت ووقع في قلبي في الحال ان هذا غاية البغي فان الله عز وجل سيخرج ابنه الى ابني فيحقق فيهما ماقاله وظننته وما مضت الا مدة مديدة حتى فرج الله عني ثم قال لي أبي يابني بالله ان رفعك الله والزمان ووضع ابنه حتى يحتاج اليك الا احسنت اليه قال وضرب الدهر مضربه فما عرفت لابي مروان خبراً حتى رأيته اليوم فكان ماشاهدتم ثم أمر بطلب أبي مروان فأحضر فوهب له مالاً وخلع عليه وحمله وقلده ديوان البريد والخرائط قال ابو الحسين فما زال يتقلده منذ ذلك الوقت الى آخر وزارة ابن الفرات الثالثة فانه مات فيها وقد تقلده ثلاثين سنة او أكثر وكان كتب الى عبيد الله اول ما كاتبه بعد تقلده هذا الديوان عبد الوزير وخادمه عبد الملك بن محمد فأراد عبيد الله ان يتكرم عليه فقال له أنت على كل حال ابن وزير وما أحب ان تتعبد لي فما كتب اسمك فقط على الكتب فقال لاتسمح نفسي بهذا ولكني اكتب عبد الملك بن محمد عبد الوزير وخادمه فقال اكتب فكتب بذلك فصارت عادة فكتب بها الى جميع الوزراء الى ان

مات في وزارة ابن الفرات الثالثة فصار كالمترتب عليهم بما عامله من ذلك عبيدالله وغلب عليه ان عرف بأبي مروان الخرايطي ونسي نسبه الى ابن الزيات الامن كان يعرفه من الكتاب وغيرهم أخبرني بذلك جماعة من الشيوخ * ووجدت في بعض الكتب بغير اسناد ان عبيد الله بن زياد لما بني داره البيضاء بالبصرة بعد قتل الحسين رضي الله عنه صوّر في بابها رؤساً مقطعة وصوّر في دهليزها اسداً وكلباً وكبشاً وقال اسد كالح وكبش ناطح وكلب نائم فمر بالباب اعرابي فقال أما ان صاحبها لا يسكنها الا ليلة لا يتم فرفع الخبر الى ابن زياد فأمر بالاعرابي فضرب وحبس فما أمسى حتى قدم رسول ابن الزبير الي قيس بن السكن ووجوه أهل البصرة في أخذ البيعة له ودعا الناس الى طاعته فأجابوه وراسل بعضهم بعضا بالوثوب عليه من ليلتهم وأنذره قوم منهم كانت له عندهم صنائع فهرب من داره في ليلته تلك فأجاروه ووقعت الحروب المشهورة بينهم و بين تميم بسببه حتى اخرجوه فألحقوه بالشام وكسر الحبس فخرج الاعرابي ولم يعد ابن زياد الى داره وقتل في وقعة الجازر * حدثني القاضي محمد بن عبد الواحد الهاشمي قال سمعت ابن عمرو الغنوي يقول لما أسرني ابو سعيد الجنابي القرمطي وكسر العسكر الذي كان أنفذه معي المعتضد بالله لقتاله وحصلت في يده أسيراً آيست من الحياة فأنا يوم على تلك الصورة اذ جاءني رسوله فأخذ قيودي وغير ثيابي وأدخلني اليه فسلمت وجلست فقال لي أتدري لم استدعيتك قلت لا قال أنت رجل عربي ومن المحال ان استودعتك امانة ان تحقرها ولا سيما مع مني عليك بنفسك فقلت هو كذلك قال اني فكرت فاذا لا طائل في قتالك واذا في نفسي رسالة الى المعتضد لا يجوز ان يؤديها غيرك فرأيت اطلاقك وتحميلك اياها فان حلفت لي ان تؤديها سيرتك اليه فحلفت فقال تقول للمعتضد ياهذا لم تخرق هيبتك وتثقل رجالك وتطمع أعداءك في نفسك وتتعبها في طلبي وانفاذ الجيش اليّ وأنا رجل مقيم في فلاة لا زرع عندي ولا ضرع ولا غلة ولا بلد وانما أنا قد رضيت لنفسي بخشونة العيش والامن على المهجة والعز بأطراف هذه الرماح وما اغتصبتك بلداً

كان في يدك ولا أزالت سلطانك عن عمل جليل ومع هذا فوالله لو أنفذت الي جيشا من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيئون من المسافة البعيدة والطريق الشاق وقد قتلهم السفر قبل قتالنا فانما غرضهم ان يبدوا عذرًا في مواقفتنا ساعة ثم يهربون فان ثبتوا مع مالحقهم من وعثاء السفر وشدة الجهد التي هي اكثر اعواني عليهم فما هو الا ان أخفق عليهم حتى انهزموا واكثر ماتقدر عليه ان يجيئوا فيستريحوا ويقيموا ويكونوا عدة لاقبل لي بهم فيهزموني اذا قاتلوني لايقدر جيشك على اكثر من ذلك فما هو الا أن انهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخًا أو ثلاثين وحولت من الصحراء شهرًا او اثنين ثم اكبسهم على غرة فقتلت جميعهم ولو لم يستولي هذا وكانوا متحرزين فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري فلا ينبغي طلبي في الصحاري ثم لايحملهم البلد في المقام ولا الزاد ان كانوا كثيرين فان انصرف الجمهور وبقي الاقل فهم قتلي سيوفي اول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف هذا ان سلموا من وباء هذا البلد ورداءة مائه وهوائه للذين نشؤا في ضده وربوا في غيره ولا عادة لاجسامهم بالصبر عليه ففكر في هذا وانظر هل يفي تعبك وتغربك بجيشك وعسكرك وانفاقك الاموال وتجهيزك الرجال وتكلفك هذه الاخطار وتحملك هذه المشاق لطلبي وأنا مع ذلك خالي الدرع منها سليم النفس والاصحاب من جميعها وهيبتك تنقص في الاطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شيء من هذا ثم لاتظفر من بلدي بطائل ولا تصل منه الى مال أوحال فان اخترت بعد هذا محاربتي فاستخر الله تعالى وانفذ من شئت وان امسكت فذاك اليك قال فأنفذني ثم جهزني وأنفذ معي عشرة من أصحابه الى الكوفة فسرت منها الى الحضرة فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي وسألني عنها فقلت سبب أذكره سرًا لامير المومنين فتشوف اليه وخلا بي وسألني فقصصت عليه القصة فرأيته يتمعط في خلده غيظًا حتى ظننت انه سيسير بنفسه اليه وخرجت من بين يديه فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف * حدثني ابو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الموصلي رحمه الله تعالى قال حدثني جماعة من ثقاة

اهل الموصل ان فاطمة بنت احمد بن علي الكردي زوجة ناصر الدولة ام ابي تغلب اتهمت عاملاً كان لها يقال له ابن أبي قبيصة من أهل الموصل بخيانة في مالها فقبضت عليه وحبسته في قلعتها ثم رأت ان تقتله فكتبت الى المتوكل بالقلعة بقتله فورد عليه الكتاب وكان لايحسن ان يقرأ ولا يكتب وليس عنده من يقرأ ويكتب الا ابن أبي قبيصة فدفع الموكل بالقلعة الكتاب اليه وقال له اقرأ فلما رأى فيه الامر بقتله قرأ الكتاب بأسره الا حديث القتل ورد الكتاب عليه وقال ابن ابي قبيصة ففكرت وقلت أنا مقتول ولا آمن ان يرد كتاب آخر في هذا المعنى و يتفق حضور من يقرأه غيري فينفذ الامر فى وسبيلي ان أحتال عليه بحيلة فان تمت سلمت وان لم تتم فليس يلحقني اكثر من القتل الذي أنا حاصل فيه فتأملت القلعة فاذا فيها موضع يمكن ان أطرح نفسي منه الى أسفل الا أن بينه و بين الارض اكثر من ثلاثة آلاف ذراع وفيه صخر لايجوز ان يسلم معه من يقع عليه قال فلم أجسر ثم ولد لي الفكر اني تأملت الثلج قد سقط عدة ليال قطعاً فغطى تلك الصخور فصار فوقها امر عظيم يجوز ان سقطت عليه وفي اجلى تأخير ان ينكسر بعض بدني وأسلم قال وكنت مقيداً فقمت لما نام الناس فطرحت نفسي من الموضع قائماً على رجلي فحينما حصلت في الهواء ندمت وأقبلت استغفر الله وأتشهد وغمضت عيني حتى لا أرى كيف اموت وجمعت رجلي بعض الجمع لاني كنت سمعت قديماً ان من اتفق عليه ان يسقط قائما من مكان عال اذا جمع رجليه ثم ارسلها اذا بقى بينه و بين الارض قدر ذراع او اكثر قليلا ان يسلم وينكسر حد السقطة ويصير كأنه بمنزلة من سقط من ذراعين قال ففعلت ذلك فلما سقطت الى الارض ذهب عني أمري وزال عقلي ثم آب الي فلم اجد ما كان ينبغى ان يلحقني من ألم السقوط من ذلك الموضع فأقبلت أجس اعضائى شيئاً فشيئاً فأجدها سالمة وقمت وقعدت وحركت يدي و رجلي فوجدت ذلك كله سالماً فحمدت الله تعالى على تلك الحال وأخذت صخرة وكان الحديد الذى قد صار في رجلي كالزجاج لشدة البرد قال فضربته ضرباً شديداً فانكسر فطن حتى ظننت

انه سيسمعه من في القلعة لعظمه فينتبهون الي فسلم الله عز وجل من هذا أيضاً وقطعت تكتي وشددت ببعضها القيد على ساقي وقمت أمشي في الثلج فمشيت طويلاً ثم خفت أن يروا آثاري من غد في الثلج على المحجة فيتبعوني فلا أفوتهم فعدلت عن المحجة الى نهر يقال له الخابور فلما وصلت اليه وصرت على شاطئه نزلت في الماء الى ركبتي وأقبلت أمشي كذلك فرسخاً حتى انقطع أثري ثم خرجت لما كادت اطرافي تسقط من البرد فمضيت على شاطئه ثم عدلت أمشي فيه وربما حصلت في موضع لا أقدر على المشي فيه لأنه يكون جرفاً فأسبح واستمريت على ذلك اربعة فراسخ حتى حصلت في خيم فيها أقوام فأنكروني وهموا بي فاذا هم أكراد فقصصت عليهم قصتي واستجرتُ بهم فرحموني وأوقدوا بين يدي وأطعموني وستروني وانتهى الطلب من غد اليهم فما اعطوا خبري أحداً فلما انقطع الطلب سيروني حتى دخلت الموصل مستتراً وكان ناصر الدولة ببغداد اذ ذاك فانحدرت اليه وأخبرته بخبري كله فعصمني من زوجته وأحسن اليَّ وصرفني ٥ حدثني ابو علي بن عبيدالله الحسين بن عبدالله الجصاص الجوهري قال سمعت أبي يحدث قال لما نكبني المقتدر وأخذ مني تلك الاموال العظيمة اصبحت يوماً في الحبس آيساً من الفرج فجاءني خادم فقال البشرى فقلت ما الخبر قال قم قد أطلقت فقمت معه فاجتاز بي في بعض طرق دور الخليفة يريد اخراجي الى دار السيدة لتكون هي التي تطلقني لانها هي التي شفعت فيَّ فوقعت عيني في اجتيازي على اعدال خيش لي أعرفها كان مبلغها مائة عدل فقلت للخادم أليس هذا من الخيش الذي حمل من داري فقال بلى فتأملته فاذا هو بشده وعلاماته وكانت هذه أعدالاً قد حملت الي من مصر كل عدل منها فيه الف دينار من مال كان لي هناك كتبت بحمله فخافوا عليه من الطريق فجعلوه في أعدال الخيش لانها مما لا تكاد أن ينهبه اللصوص وان وقعوا به لا يفطنون لما فيه فوصلت سالمة ولاستغنائي عنها وعن المال لم أخرجه من الاعدال وتركته بحاله في بيت في داري وأقفلت عليه وتوخيت بذلك أيضاً سر حديثه فتركته شهوراً على حاله لأنقله كما أريد في أي وقت أرى ولما حبست

أخذ الخيش في جملة ما أخذ من داري ولخسته عندهم تهاونوا به ولم يعرف أحد ما فيه فطرح في تلك الدار فلما رأيته عندهم بشده طمعت في خلاصه والحيلة في ارتجاعه فسكت فلما كان بعد أيام من خروجي راسلت السيدة وشكوت حالي اليها وسألتها ان تدفع الي ذلك الخيش لانه لاقدر له عندهم وأنا انتفع بثمنه قال فاستحمقتني وقالت وأي قدر لهذا الخيش ردوه عليه فسلم الي بأسره ففتحته وأخذت منه المائة الف دينار وما ضاع منها دينار واحد وأخذت من الخيش ما احتجت اليه وبعت باقيه بجملة وافرة وقلت في نفسي انه قد بقيت لي بقية اقبال جيدة * حدثني علي بن هشام قال سمعت حامد بن العباس يقول ربما انتفع الانسان في نكبته بالرجل الصغير اكثر من منفعته بالكبير فمن ذلك ان اسماعيل بن بلبل لما حبسني جعلني في يد بواب كان يخدمه قديماً قال وكان رجلاً حرًّا فأحسنت اليه وبررته فكنت اعتمد على عناية أبي العباس بن الفرات وكان ذلك البواب لقدم خدمته لاسماعيل يدخل الى مجالسه الخاصة ويقف بين يديه لا ينكر ذلك عليه لسالف الصحبة فصار الي في بعض الليالي وقال قد حرد الوزير على ابن الفرات بسببك وقال له مايكسر المال على حامد غيرك ولا بد من الجد في مطالبته بباقي مصادرته وسيدعو بك الوزير في غد الى حضرته ويتهددك فشغل ذلك قلبي فقلت له فهل عندك من رأى فقال تكتب رقعة الى رجل من معامليك تعرف شحه وضيق نفسه فتلتمس منه لعيالك الف درهم يقرضك اياها وتسأله ان يجيبك على رقعتك فان الشحة توجبه ان يردك بعذر وتحتفظ على الرقعة فاذا طالبك الوزير تخرجها على غير مواطأة وتقول قد افضت حالي الى هذا فلعل ذلك ينفعك ففعلت ما قال وجاءني الجواب بالرد كما خمنا وشددت الرقعة معي فلما كان من الغد أخرجني الوزير وطالبني فأخرجت الرقعة اليه وأقرأته اياها ورققته وكلمته فلان واستحى وكان ذلك سبب خفة أمري وزوال محنتي فلما تقلدت في أيام عبيد الله بن سليمان سألت عن البواب وجذبته الى خدمتي فكنت أجري عليه خمسين دينارًا في كل سنة وهو باق الى الآن * أخبرني ابو الفرج علي بن الحسين

المعروف بالاصفهاني بالاسناد عن محمد بن ابي العتاهية قال حدثني ابي قال لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في السجن سجن الجرائم فأخرجت من بين يديه الى الحبس فلما دخلته استوحشت ودهشت وذهل عقلي ورأيت منظرًا هائلاً ورميت بطرفي أطلب موضعاً آوي فيه أو رجلا آنس بمجالسته فاذا أنا بكهل حسن السمت نظيف الثياب يبين عليه سيما الخير فقصدته وجلست اليه من غير ان أسلم عليه وأسأله عن شيء من امره لما أنا فيه من الجزع والحيرة فمكث كذلك مليا وأنا مطرق مفكر في حالي فأنشد الرجل

تعودت مس الضر حتى لقيته ... وأسلمني حسن العزاء الى الصبر
وصيرني يأسي من الناس واثقاً ... بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال فأستحسنت البيتين وتبركت بهما وثاب الي عقلي فأقبلت على الرجل وقلت له تفضل أعزك الله باعادة هذين البيتين فقال لي ويحك يا اسماعيل ولم لم تكنني ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومروءتك دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على المسلم ولا توجعت لي توجع المبتلي للمبتلي ولا سألتني سؤال الوارد على المقيم حتى اذا سمعت بيتين من الشعر لم يجعل الله عز وجل فيك خيرًا ولا أدبًا ولا جعل لك معاشًا غيره لم تتذكر ما سلف منك فتتلافاه ولا اعتذرت مما قدمت وأفرطت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدئًا كأن بيننا انسا قديمًا أوصحبة تبسط المنقبض فقلت له فاعذرني متفضلا فان دون ماأنا فيه يدهش قال وفي أي شيء أنت انما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم وسببك اليهم فحبسوك حتى تقوله وأنت لا بد أن تقوله فتطلق وأنا يدعى بي الساعة فأطالب باحضار عيسى بن زيد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأن دللت عليه فقتل لقيت الله عز وجل بدمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه والا قتلت فأنا اولى بالحيرة منك وأنت ترى احتسابي وصبري فقلت يكفيك الله عز وجل وأطرقت وجهي خجلا منه فقال لي لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين واحفظهما فأعادهما عليَّ مرارًا حتى حفظتهما ثم دعى به وبي فلما وقف بين يدي المهدي قال له أبن عيسى بن زيد قال مايدريني

أين عيسى بن زيد طلبته وأخفته فهرب منك في البلاد فأخذتني وحبستني فمن أين أقف على موضع هارب منك وأنا محبوس قال له فأين كان متواريا ومتى آخر عهدك به وعند من اتيته فقال ما لقيته منذ تواري ولا أعرف له خبرا قال والله لتدلني عليه أو لاضربن عنقك الساعة قال اصنع مابدالك أنا أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتله فألقى الله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم يطالباني بدمه والله لو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه فقال اضربوا عنقه ثم دعاني فقال أتقول الشعر أو ألحقك به قلت بل أقوله قال فاطلقوه قال محمد بن القاسم ابن مهرويه والبيتان اللذان سمعهما لايحضرني الآن من هما من شعره قال القاضي ابو علي وأنشدني بعض أصحابنا معهما بيتا آخر زيادة

اذا أنا لم اقتنع من الدهر بالذي تكرهت منه طال عتبي على الدهر

* وجدت في كتاب اعطانيه ابو الحسين عبد العزيز بن ابراهيم صاحب النعمان وهو يومئذ كاتب الوزير ابو محمد المهلبي على ديوان السواد وذكر لي انه نسخه من كتاب أعطاه اياه ابو الحسين عبد الواحد بن محمد الحصيني وكان فيه اصلاحات بخط ابي الحسين بن مايداد قال ابو الحسن علي بن الحسين بن عبد الاعلى الاسكافي كان داود كاتب ام جعفر قد حبس وكيلاها وجب عليه في حسابه مائة الف درهم فكتب الوكيل الى عيسى بن فلان وسهل بن الصباح وكانا صديقين له بخبره فسارا ليتكلما له فلقيهما الفيض بن صالح فسألهما عن خبرهما فاخبراه فقال أتحبان ان اكون معكما قالا نعم فصاروا الى داود فكلموه في اطلاق الرجل فقال أكتب الى ام جعفر فكتب اليها يعلمها خبر القوم وحضورهم ومسألتهم في الوكيل فوقعت في الرقعة ان يعرفهم ما وجب لها عليه من المال ويعلمهم ان لا سبيل الى اطلاقه دون أداء المال فاقرأهم داود التوقيع واعتذر اليهم فقال عيسى وسهل بن الصباح قد قضينا حق الرجل فقد أبت ام جعفر ان تطلقه الا بالمال فقوموا ننصرف فقال لهما الفيض بن صالح كانا انما جئنا لنؤكد حبس الرجل قالا له فماذا تصنع قال نؤدي عنه المال قال ثم اخذ الدواة

فكتب الى وكيله في حمل ما على الرجل كتاباً دفعه الى داود كاتب أم جعفر وقال قد أجزنا في المال فادفع الينا صاحبنا قال لا سبيل الى ذلك حتى اعرفها الخبر قال فكتب اليها بالخبر فوقعت في رقعته أنا أولى بالمكرمة من الفيض بن صالح فاردد عليه كتابه بالمال وادفع اليه الرجل وقل له لا يعاود مثل ماكان منه قال ولم يكن الفيض يعرف الرجل وانما ساعد عيسى وسهلاً على الكلام في امره * اخبرني أبو الفرج علي بن الحسين المعروف بالاصفهاني بالاسناد انه لما كان أعشى همدان ابو المصبح ممن اغزاه الحجاج باد الديلم ونواحي دستى فأسر فلم يزل أسيرًا في أيدي الديلم ثم ان بنت العلج الذي كان أسره هو يته وصارت اليه ليلاً ومكنته من نفسها فأصبح وقد واقعها ثماني مرات فقالت له الديلمية يا معشر المسلمين أهكذا تفعلون بنسائكم فقال لها هكذا نفعل كلنا فقالت له بهذا العمل نصرتم أرأيت ان خلصتك تصطفيني لنفسك قال لها نعم وعاهدها فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته فقال شاعر من اسراء المسلمين

فمن كان يفديه من الاسر ماله ... فهمدان يفديها الغداة ابورها

وقال الاعشى يذكر ما لحقه من أسر الديلم

لمن الظعائن سيرهن ترجفُ ... عزم السفين اذا تقاعس يجدف

وذكر ابو الفرج القصيدة وهي طويلة اخترت منها ما يتعلق بالفرج بعد الشدة وهي قوله

اصبحت رهناً للعداة مكبلاً ... امسي واصبح في الادام ارسف

ولقد أراني قبل ذلك ناعماً ... جذلان آبي ان اضام وآنف

واستنكرت ساقي الوثاق وساعدي ... وأنا امرؤ بادي الاشاجع اعجف

واضامني قومٌ وكنت اضيمهم ... فالآن اصبر للزمان واعرف

واذا تصبك من الحوادث نكبة ... فاصبر لها فلعلها تتكشف

* ذكر ابو عبدالله بن عبدوس في كتاب الوزراء ان نجاح بن سلمة حبس

ابراهيم بن المدبر مكابدة لاخيه وذلك في أيام المتوكل فلما طال حبس ابراهيم ولم يجد حيلة في الخلاص عمل ابياتاً انفذها الى المشدود الطنبوري وسأله ان يعمل فيها لحنا ويغني بها المتوكل فاذا سأل عن قائلها عرفه انها له ففعل المشدود ذلك وساله المتوكل فقال لعبدك ابراهيم بن المدبر فذكره فأمر باطلاقه والابيات هي

بأبي من بات عندي طارقاً من غير وعدي
بات يشكو شدة الشو ق واشكو فرط وجدي
وتجنى فبكى فانهـل درٌّ فـوق وردي
فيدٌ تحت يـد طو را وخد فوق خدي

وذكر أيضاً ان اسحاق بن سعيد قال حدثني ابو عبدالله محمد بن عيسى المرورذي صاحب يحيى بن خاقان عنه قال كان المأمون ألزمني خمسة آلاف الف درهم فاعلمته أني لا أملك الا سبعمائة الف درهم وحلفت على ذلك أيماناً مغلظة اجتهدت فيها فلم يقبل مني وحبسني عند احمد بن هشام وكان بيني و بينه شر قد شهر وعرف وكان يثقلد الحرس فقال احمد للموكلين بي احفظوا واحذروا أن يسم نفسه ففطن المأمون لمراده فقال له يا احمد لا يأكل يحيى بن خاقان الا ما يؤتى به من منزله قال فاقمت على ذلك ووجه الى فرج الرجحي بالف ألف درهم ووجه الى الحسن بن سهل بالف الف درهم فاضفت ذلك الى ما كان عندي حتى جمعت خمسة آلاف الف درهم فلما اجتمعت كتبت الى المأمون بحضور المال لذي ألزمنيه فأمر باحضاري فدخلت عليه وبين يديه أحمد بن خالد وعمرو ابن مسعدة وعلى بن هشام فلما رآني قال لي أولم تخبرني وتحلف لي انك لاتملك الا سبعمائة الف درهم فمن اين لك هذا المال فصدقته عن أمره وقصصت عليه قصته فاطرق طويلاً ثم قال قد وهبته لك فقال الحضور أتهب له خمسة آلاف الف درهم وليس في بيت المال درهم وأنت محتاج الى ما دون ذلك بكثير فلو أخذته منه قرضاً واذا جاءك مال رددته اليه فقال لهم أنا على المال أتقدر من يحيى وقد وهبته له فرددت على القوم ما كانوا حملوه الي وتخلصت

وقال محمد بن عبدوس في كتابه كتاب الوزراء ان محمد بن يزداد سعى الى المأمون بعمرو بن بهنوني فقال المأمون يا فضل خذ عمرا اليك وقيده وضيق عليه ليصدق عما صار اليه من مالي فقد احتاز مالاً جليلاً وطالبه به فقلت نعم وأمرت باحضار عمرو فاحضر فاخليت له حجرة في داري واقمت له ما يصلحه وتشاغلت عنه بأمور السلطان في يومي وغده فلما كان اليوم الثالث أرسل الى عمرو يسألني الدخول اليه فدخلت واخرج الى رقعة قد اثبت فيها كل ما يملكه من الدور والضياع والعقار والاموال والكسوة والفرش والجوهر والكراع والقماش وما يجوز بيعه من الرقيق فكان قيمة ذلك عشرين الف الف درهم وسألني أن اوصل رقعته الى المأمون واعلمه ان عمرا قد جعله من دون ذلك في حل وسعة فقلت له مهلاً فان أمير المؤمنين أكبر قدرًا من ان يسلبك نعمتك عن آخرها فقال عمرو انه كما وصفت في كرمه ولكن الساعي لا ينام عني ولا عنك وقد بلغني ما أمرت به في أمري من الغلظة وقد عاملتني بضد ذلك وقد طبت نفسًا بان اشتري عدل أمير المؤمنين لك في أمري ورضاه عني بجميع مالي فلم أزل انزله حتى وافقته على عشرة آلاف الف درهم فقلت هذا شطر مالك وهو صالح للفريقين واخذت خطه بالتزام ذلك صلحاً عن جميع ما جرى على يديه وصرت الى المأمون فوجدت محمد بن يزداد قد سبقني اليه واذا هو يكلمه فلما رآني قطع الكلام وخرج فقال المأمون يا فضل قلت لبيك يا امير المؤمنين قال ما هذه الجرأة منك وعلينا فقلت يا أمير المؤمنين انا عبد طاعتك وغرسك فقال أمرتك بالتضييق على النبطي عمرو بن بهنوني فقابلت امري بالضد ووسعت عليه وأقمت له الانزال فقلت يا أمير المؤمنين ان عمرا يطالب بأموال كثيرة عظيمة فلم آمن ان أجعل محبسه في بعض الدواوين فيبذل مالاً يرغب في مثله فيتخلص فجعلت محبسه في داري وأشرفت على طعامه وشرابه لاحرس نفسه فان كثيرًا من الناس اخذانوا السلطان وتمتعوا بالاموال ثم طولبوا بها فاحتيل عليهم ليبطنوا ويفوز بالاموال غيرهم قال الفضل وانما أردت بذلك تسكين غضب المأمون علي ولم اعرض الرقعة عليه ولا اعلمه بما جرى

بيني و بين عمرو لاني لا آمن سورته من ذلك الوقت لاشتداد غضبه فقال لي سلم عمرا الى محمد بن يزداد ففعلت فلم يزل يعذبه بانواع العذاب حتى يبذل له شيئا فلم يفعل فلما رأى اصحابه وعماله ماقد ناله جمعوا له من بينهم ثلاثة آلاف الف درهم وسألوا عمرا ان يبذلها لمحمد بن يزداد فبذلها فصار محمد الى المأمون متجها بها واوصل الخط بها الى المأمون وانا واقف فقال المأمون يا فضل ألم نعلمك ان غيرك اقوم بأمورنا منك واطوع لما نأمر فقلت يا أمير المؤمنين ارجو أن اكون في حال استبطاء امير المؤمنين ابلغ في طاعته من غيري فقال المأمون هذه رقعة عمرو بن بهنوني بثلاث آلاف ألف درهم فقلت وما اجترأت عليه قط اجترائي عليه ذلك اليوم فاني اخرجت ضيارة كانت مع غلامي فاخذت الرقعة منها مسرعا وقلت والله لاعلمن امير المؤمنين اني مع رفقي ابلغ في حياطة امواله من غيري مع غلظته وأريته رقعة عمرو التي كتبها لي وحدثته بحديثي عن آخره فلما تبين المأمون الخطين وعلم انهما من خط عمرو قال ما أدري ايكما أعجب عمرو حيث تنكر برك وطاب نفسا بالخروج من ملكه بهذا السبب أم أنت ومحافظتك على أهل النعم وسترتك عليه ذلك في ذلك الوقت والله لاكنتما يا نبطيان باكرم مني ودفع الرقعة التي أخذها محمد بن يزداد من عمرو اليّ وأمرني بتمزيقها وتمزيق الاولى وأمر من يسلم عمرا من مجلسه اليّ وأمرني باطلاقه فخرجت من بين يديه وفعلت ذلك

* حدثني ابو الحسين عبيد الله بن احمد بن الحسن بن عياش الخزري البغدادي وكان خليفة أبي رحمه الله على الفتيا بسوق الاهواز باسناده عن القاضي أبي عمرو رحمه الله قال لما جرى من امر عبد الله بن المعتز ما جرى حبست وما في لحيتي طاقة بيضاء وحبس معي ابو المثني القاضي ومحمد بن داود بن الجراح في دار واحدة في ثلاثة أبيات متلاصقة وكان بيتي في الوسط وكنا آيسين من الحياة وكنت اذا جن الليل حدثت ابا المثني تارة ومحمد بن داود تارة وحدثاني من وراء الابواب ويوصى كل واحد منا الى صاحبه ونتوقع القتل ساعة بساعة فلما كان ذات ليلة قد اغلقت الابواب ونام الموكلون ونحن نتحدث من بيوتنا

اذ حسسنا بصوت الاقفال تفتح فارتعنا ورجع كل منا الى صدر بيته فما شعرت الا وقد فتح البواب على محمد بن داود فأخرج وأضجع على المذبح فقال ياقوم ذبحا كما تذبح الشاة أين المصادرات أين انتم عن أموالي افتدى بها نفسي على كذا وكذا قال فما التفتوا الى كلامه وذبحوه وأنا اراه من شق الباب وقد أضاء السجن من كثرة الشموع وصار كأنه نهار واحتزوا رأسه فأخرجوه معهم وجردوا جثته وطرحت في بئر الدار وغلقت الابواب قال فأيقنت بالقتل وأقبلت على الصلاة والدعاء والبكاء فما مضت الا ساعة واحدة حتى أحسست بالاقفال تفتح فعاودني الجزع فاذا هم جاؤا الى بيت أبي المثنى ففتحوه وأخرجوه وقالوا له يقول لك أمير المؤمنين ياعدوّ الله يا فاسق بما استحللت نكث بيعتي وخلع طاعتي فقال لاني علمت انه لا يصلح للامامة فقالوا له ان أمير المؤمنين قد أمرنا باستتابتك من هذا الكفر فان تبت رددناك الى محبسك والا قتلناك فقال أعوذ بالله من الكفر ما أتيت مايوجب الكفر قال هو يتهوس معهم بهذا الكلام وشبهه فلا يرجع عنه فلما آيسوا منه مضى بعضهم وعاد فظننت انه يستتيب في الاستئذان قال فاضجعوه ثم ذبحوه وانا اراه وحملوا رأسه وطرحوا جثته في البئر قال فذهب على أمري واقبلت على الدعاء والبكاء والتضرع الى الله جل وعز فلما كان في وجه السحر وقد سمعت صوت الديادب فاذا بصوت الاقفال فقلت لم يبق غيري وانا مقتول فاستسلمت وفتحوا الباب عني فأقاموني الى الصحن وقالوا يقول لك أمير المؤمنين يافاعل ياصانع ما حملك على خلع بيعتي فقلت الخطأ وشقوة الجد وأنا تائب الى الله عز وجل من هذا الذنب قال فاقبلت اتكلم بهذا وشبهه فمضى بعضهم وعاد فقال أجب ثم أسر الي وقال لا بأس عليك فقد تكلم فيك الوزير يعنون ابن الفرات وأنت مسلم اليه قال فسكت وجاؤا الي بخفي وطيلساني وعمامتي فلبست ذلك وأخرجت فجيء بي الى الدار التي كانت برسم ابن الفرات في دار الخليفة فلما رآني أقبل يخاطبني بعظم جنايتي وخطئي وأنا اقر بذلك وأستقيل وأتنصل ثم قال قد وهب لي أمير المؤمنين دمك وابتعت منه جرمك بمائة ألف دينار الزمتك اياها فقلت أيها الوزير

والله مارأيت بعضها قط مجتمعاً فغمزني بأن اسكت وجذبني قوم من وجوه الكتاب كانوا بحضرته ورائي فسكتوني فعلمت ان ابن الفرات قد أراد تخليص دمي فقلت كما يأمر الوزير أعزه الله فقال احملوه الى داري قال فأخذت وحملت الى داره فقرر أمري على مائة الف دينار يؤدي منها النصف عاجلاً ويصير النصف في حكم الباطل على رسم المصادرات فلما صرت في دار ابن الفرات وسع علي في الطعام والمشرب والمجلس وادخلت الحمام ورفهت واكرمت فرأيت لما خرجت من الحمام وجهي في المرآة فاذا طاقات شعرى قد ابيضت في مقدم لحيتي فاذا أنا قد شبت في تلك الليلة الواحدة قال وأديت من المال نيفاً وثلاثين ألف دينار ثم نظر الى ابن الفرات بالباقي وصرفني الى منزلي وتخلص من دمي فمكثت في بيتي سنتين وبابي مسدود علي لا أرى احداً ولا يراني الا في الشاذ وتوفرت على دروس الفقه والنظر في العلم الى أن اذن الله جل وعز بالفرج وكشف عني واخرجت من بيتي الى ولاية الاعمال * وشبه هذا الحديث و يقار به وان لم يكن بالحقيقة من باب من خرج من حبس الا انه من اخبار الفرج بعد الشدة من جملة ماحدثني به أبو الحسين بن محمد بن علي بن موسى الانباري الكاتب قال سمعت كلوي كاتب الحرم يتحدث قال كان في دار المقتدر عريف على الفراشين يخدمني وكان يضيفنا اذا أقمنا في دار الخليفة ففقدته مرة في الدار فظننت انه عليل فلما كان بعد شهور رأيته في بعض الطرق بزي التجار وقد شاب فقلت فلان قال نعم عبدك ياسيدي فقلت ماهذا الشيب في هذه الشهور اليسيرة وما هذا الذي اراه واين كنت فتلجلج فقلت لغلماني احملوه الى داري وقلت حدثني حديثك قال على ان لي الامان والكتمان فقلت نعم فقال كان الرسم على كل عريف من الفراشين في دار الخليفة أن يدخل يوماً من الايام هو ومن في عرافته الى دور الخدمة والحرم لرش الخيوش التي فيها فبلغت النوبة الى يوماً كنت فيه مخموراً فدخلت ومعي رجالي الى دار فلانة وذكر حظية جليلة من حظايا المقتدر فلعظم ما كنت فيه من الخمر ما رشيت قربتي ولم أخرج بخروج الرجال وقلت لهم انصرفوا فهاتوا قربكم لاتمام الرش فاذا رششتم فنبهوني فاني نائم

هنا ودخلت خلف الخيش الى باب باذا هنج يخرج منه ريح طيبة ونمت وغلب علي النوم الى ان جاء الفراشون ففرغوا من رش الخيش فعلمت اني مقتول ان احس بي فتحيرت فلم أدر ما أعمل فدخلت الباذاهنج وكان ضيقاً فجعلت رجلي على حائط الباذاهنج وتعلقت فيه ووقفت متعلقاً أترقب ان يفطن بي فاذا بنسوة فراشات يكنسن الخيش فلما فرغوا من ذلك فرشنه وهيء فيه مجلس للشرب ولم يكن بأسرع من ان جاء المقتدر وعدة جوار فجلس وأخذت الجواري في الغناء وأنا اسمع ذلك كله وروحي تكاد تخرج فاذا اعييت نزلت فجلست في ارض الباذاهنج فاذا استرحت وخفت ان يفطن بي القوم عدت وتعلقت الى ان مضت قطعة من الليل ثم عنّ للمقتدر جذب حظيته اليه التي هي صاحبة تلك الدار فانصرف باقي الجواري وخلى الموضع فواقع المقتدر الجارية وانا أسمع حركتهما وكلامهما ثم ناما في مكانهما وانا لا سبيل لي للنوم لحظة واحدة لما نابني من الخوف ففكرت في أن اخرج واصعد الى بعض السطوح ثم علمت اني ان فعلت ذلك تعجلت القتل ولم تزل تلك حالي الى ان انتبه المقتدر في السحر وخرج من الموضع فلما كان في غد نصف النهار جاء عريف آخر من الفراشين ومعه فراشيه فخرجت فاختلطت بهم فقالوا أي شيء تعمل هنا فأومأت اليهم بالسكوت وقلت الله الله في دمي فان حديثي يطول فتذمموا على ان لا يفضحوني وقال بعضهم ما بال لحيتك قد ابيضت فقلت لا اعلم واخذت من قربة بعضهم فطريت قربتي وخرجت فلما صرت في موضع من دار الخليفة وقعت مغشياً على وركبتني حمى عظيمة وذهب عقلي فمر بي الفراشون وحملوني الى منزلي وأنا لا أعقل فأقمت مبرسماً مدة طويلة وقد كنت عاهدت الله وأنا في الباذاهنج ان هو خلصني منه لا اخدم أحداً ابداً ولا اشرب النبيذ واقلع عن اشياء تبت منها فلما تفضل الله عز وجل علي بالعافية وفيت بالنذر وبعت أشياء كانت لي وضممتها الى دراهم كانت عندي ولزمت دكاناً لعمتي اتعلم فيه التجارة وأتجر وتركت الدار فما عدت اليها الى الآن ولا اعود ابداً الى خدمة الناس ولا انقض ما تبت منه ورأيت لحيته قد كثر فيها الشيب * حدثنا

علي بن هشام قال كان ابو الحسن بن الفرات لما ولى الوزارة الاولى وجد سلمان ابن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخلافة من قبل علي بن عيسى والديوان اذ ذاك كله الى علي بن عيسى فقلد أبا الحسن بن الفرات سلمان الديوان بأسره وأقام يتقلده نحو سنتين فاقام ليلة في دار ابن الفرات يصلى المغرب فسقط من كمه رقعة رآها بعض من حضر فاخذها ولم يفطن لها سلمان فقرأها فوجدها سعاية في حق ابن الفرات واشيابه الى المقتدر وسعيا لابن عبد الحميد كاتب السيدة في الوزارة فتقرب بها الى ابن الفرات فقبض على سلمان للوقت وانفذه في زورق مطبق الى واسط فحبسه بها وصادره وعذبه وكان في العذاب دهرا وآيس من الخلاص فبلغ ابن الفرات ان أم سلمان بن الحسن ماتت ببغداد وانها كانت تتمنى رؤيته قبل موتها فاغتم لذلك وتذكر المودة بينه وبين أبيه الحسن بن مخلد فكتب اليه بخطه كتاباً أقرأنيه سلمان بعد سنين كثيرة من ذلك الحال وحفظته ونسخته وهو بسم الله الرحمن الرحيم ميزت اكرمك الله بين حقك وجرمك فوجدت الحق يوفي عن الجرم وتذكرت من سالف خدمتك في المنازل التى فيها ربيت وبين أهلها غذيت فاثناني عليك وعطفني اليك وأعادني لك الى أفضل ما عهدت واجمل ما ألفت فثق أكرمك الله بذلك واسكن اليه وعول في صلاح ما اختل من أمرك عليه واعلم انني أري فيك حقوق أبيك التى تقوم بتوكيد النسب مقام اللحمة والنسب وتسهل ماعظم من جنايتك وتقلل ماكثر من اساءتك ولم أدع مراعاتها والمحافظة عليها بمشيئة الله وقد قلدتك أعمال دستميسان سنة ثمان وتسعين ومائتين وبقايا ماقبلها وكتبت الى احمد بن محمد بن جيش بحمل عشرة آلاف درهم اليك فتقلد هذه الاعمال وأثر فيها أثرًا جميلاً يبين عن كفاءتك ويؤدي الى ما أحبه من زيادتك ان شاء الله قال أبو الحسين وابن جيش هذا كان وكيل ابن الفرات في ضياعه بواسط * حدثني البهلول بن محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي رحمه الله قال حدثني أبو علي الوكيل على أبواب القضاة ببغداد ويعرف بالناقد قال كنت أقيم خبر المحبوسين في المطبق بمدينة السلام في أيام المقتدر

بالله فرأيت في المطبق رجلاً مغلولاً على ظهره لبنة حديد فيها ستون رطلاً فسألته عن قصته فقال أنا والله مظلوم فقلت وكيف كان أمرك فقال كنت ليلة من الليالي في دعوة صديق لي بسوق يحيى فخرجت من عنده مغلساً وفي الوقت فضل وأنا لا أعلم فلما صرت في قطعة من الشارع رأيت مشاعل الطائف فرهبته ولم أدر ما اعمل فرأيت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورتها كما كانت وقمت في الدكان ليجوز الطائف واخرج وبلغ الطائف الموضع فرأى الشريحة مشوشة فقال فتشوا هذا الدكان فدخلت الرجالة بمشعل فرأيت في ضوئه رجلاً في الدكان مذبوحاً وعلى صدره سكين فجزعت ورأى الرجال ذلك ورأوني قائماً فلم يفتكروا في الا اني أنا قاتله وأخذني صاحب الشرطة ثم عرضت فضربت ضرباً شديداً وعوقبت اصناف العقوبات وأنا انكر وعندهم اني اتجلد وهم يزيدوني فاجتمعت اهلي وكان لهم شغب بأسباب السلطان فتكاموا في واستشهدوا خلقاً كثيراً على سيري فبعد شدائد الوان اعفيت من القتل ونقلت الى المطبق وفي هذا الحديد من منذ ست عشرة سنة قال فاستعظمت محنته وبهت من حديثه فقال مالك والله ما آيس مع ذلك من فضل الله عز وجل فان من ساعة الى ساعة فرجا قال فوالله ماخلص كلامه من فيه حتى ارتفعت ضجة عظيمة وكسر الحبس ووصلت العامة الى المطبق ومكائده فأخرجوا كل من كان في الحبس وخرج الرجل من جملتهم فانصرفت وأنا اريد بيتي فاذا نازوك قد أقبل والفتنة قد ثارت وفرج الله جل وعز عن الرجل * بلغني رجل من اهل كوثى قال كان يتقلد بلدنا عامل من قبل أبي الحسين بن الفرات في بعض وزاراته فافتتح الخراج واشتد في المطالبة وكان في اطراف البلد قوم من العرب قد زرعوا من الارض مالا يتجاسر الا كرة على زراعته وكان العمال يسامحونهم ببعض مايجب عليهم من الخراج فطالبهم هذا العامل بالخراج على التمام اسوة الاكرة وأحضر أحدهم فحقق عليه المطالبة وهو يمتنع فأمر بصفعه حتى أدى الخراج وانصرف فشكى الى بني عمه فتوافقوا على كبس العامل ليلاً وقتله وراسلوا غيرهم من العرب وتواعدوا على ليلة معلومة فلما

كان اليوم الذي يليه تلك الليلة ورد الى الناحية عامل آخر صارفاً للاول فقبض عليه وصرفه وضربه بالمقارع وأخذ خطه بمال وقيده وأمر ان يحمل الى قرية أخرى على فراسخ من البلد فيحبس فيها ووكل به عشرة من الرجال فسيروه مرة ماشياً ومرة على حمار فكاد مما لحقه ان يتلف وحصل تلك القرية وكان له غلام قد رباه وهو خصيص به عارف بجميع أموره فهرب عند ورود الصارف فلما كان من الغد لم يشعر المصروف المحبوس الا وغلامه الذي رباه قد دخل عليه فكانت محنته اليه أشد عليه من جميع مالحقه اشفاقاً على الغلام وعلى نفسه مما يعرفه الغلام ان يكون قد دل عليه فقال الغلام هات رجلك حتى أكسر قيودك وتقوم تدخل بغداد فقال له وأين الرجالة الموكلون بي فقال يامولاي قد فرج الله تعالى وهرب الرجالة فقال ماسبب هذا قال ان الاعراب الذين كنت صنعت منهم واحداً وطالبته بالخراج كبسوا البارحة دار العمالة وعندهم انك أنت العامل وقد عملوا على قتلك ولم يكن عندهم خبر صرفك ولا خبر ورود هذا العامل فقتلوه على انه أنت وقد هرب أصحابه وأهل البلد يخافونك فقم حتى تمشي الى بغداد لئلا يبلغهم كونك هنا فيقصدونك ويقتلونك وكسر القيد وقام هو وغلامه يمشيان على غير جادة الى ان بعدا ودخلا قرية واستأجرا منها ماركباه الى بغداد ولقي المصروف الوزير ودب على المقتول وانه افسد الناحية وأثار فتنة مع العرب فأمره الوزير على الناحية وضم اليه جيشاً فعاد الى كوثى وتحصن بالجيش وأرهب العرب وارضهم الى ان صالحهم وأثبتهم وسكن اليهم وسكنوا اليه وزال خوفه واستقام له أمر عمله ٥ أخبرني أبو الفرج الاموي المعروف بالاصفهاني باسناده عن ابراهيم بن المهدي قال غضب على محمد الامين في بعض هناته فسلمني الى كوثر فحبسني في سرداب وأغلقه علي فمكثت فيه ليالي فلما أصبحت فاذا أنا بشيخ قد خرج علي من زاوية السرداب ودفع الى وسطا وقال كل فأكلت ثم اخرج قنينة من شراب فشربت ثم قال غن لي فقلت

لي مدة لابد أبلغها معلومة فاذا انقضت مت

لو ساورتني الاسد ضارية لغلبتها ان لم يجىء الوقت

فغنيته فسمعني كوثر فصار الى محمد وقال له قد جن عمك هو جالس يغني بكيت وكيت فأمر باحضاري فأحضرت وأخبرته بالقصة فرضي عني وأمر لي بسبعمائة الف درهم * حبس عبد الله بن طاهر محمد بن أسلم الطوسي فكتب اليه بعض اخوانه يعزيه على مكانه فأجابه ابن أسلم كتبت لي تعزيني وانما كان يجب ان تهنيني أريت العجائب وعرضت لى المصائب اني رأيت الله عزوجل يتحبب الى من يؤذيه فكيف الى من يؤذي فيه اني نزلت بيتاً سقطت عني فيه فروض وحقوق منها الجمعة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعيادة المريض وقضاء حقوق الاخوان وما نزلت بيتاً خيراً في ديني منه فأخبر بذلك عبد الله بن طاهر فقال نحن في حاجة الى ابن أسلم اطلقوه * وكان المأمون قد غضب على فرج الزحمى فكلمه عبد الله بن طاهر ومسرور الخادم في اطلاقه قال فرج فبت ليلتي وأنا مفكر اذ أتاني آت فقال لي

لما أتى فرج من ربه فرجا جئنا الى فرج نبغي به الفرجا

فلما أصبحت لم أشعر الا والالواء قد عقدلي على ولاية فارس والاهواز وأطلق لي معونة خمسمائة الف درهم واذا أبو البغا الشاعر قائم على باب داري وقد كتب هذا البيت في رقعة فقلت له متى قلت هذا فقال في الوقت الذي رضي عنك فيه فأمرت له بعشرين الف درهم * وقال عمار بن عقبة بن عمارة من آل سلمى ابن المطهر حدثني ملازم بن عدام الحنفي عن عمه ملازم بن حريث الحنفي قال كنت في حبس الحجاج بسبب الحرورية فحبس معنا رجل فأقام حيناً لانسمعه يتكلم بكلمة حتى كان في اليوم الذي مات الحجاج في الليلة التي تليه فأقبل غراب في عشية ذلك اليوم فوقع على حائط السجن فنعق فقال الرجل ومن يقدر على ما نقدر عليه يا غراب ثم نعق الثانية فقال مثلك من بشر بخير يا غراب ثم نعق الثالثة فقال من فيك الى السماء يا غراب فقلت له ماسمعناك تكلمت مذ حبست الى الساعة فما دعاك الى ما قلت قال انه نعق فقال اني وقعت على ستر الحجاج فقلت

ومن يقدر على ما تقدر عليه ثم نعق الثانية فقال ان الحجاج اصابه وجع فقلت مثلك من بشر بخير ثم قال في الثالثة الليلة يموت فقلت من فيك الى السماء ثم قال الرجل ان انسلخ الصبح قبل ان أخرج فليس عليّ بأس وان دعيت قبل الصبح فستضرب عنقي ثم تلبثون ثلاثا لا يدخل عليكم أحد ثم يدعى بكم في اليوم الرابع فيهتف على رؤسكم بالكفالة فمن وجد له كفيلا خلى سبيله ومن لم يجد له كفيلا فويل له طويلا فلما دخل الليل سمعنا الصراخ على الحجاج ثم اخرج الرجل قبل الصبح فضرب عنقه ثم لم يدخل علينا احد ثلاثا ثم دعى بنا وطلب منا الكفالة ثم صار الامر الي فمكثت طويلا حتى خفت ان ارد الى الحبس ثم تقدم رجل فضمنني فقلت له يا عبدالله من أنت حتى اشكرك فقال لي اذهب ولست بمسؤل عنك ابدًا فانطلقت ه قال ابو الحسن على بن عبد الاعلى الاسكافي كنت أكتب لبغاء الكبير فصرفني ونكبني وأخذ ضياعي ومالي وحبسني بعد ذلك وتهددني ونالني منه كل مكروه واني لفي حبسه اذ سمعت حركة فسألت عنها فقيل لي قد وافي اسحاق بن ابراهيم الطاهري وكان صاحب الشرطة فقلت انما هذا حضر لعقوبتي فطارت نفسي جزعًا فلم ألبث ان دعيت فحملت في قيودي وعلى ثياب في نهاية الوسخ فأدخلت وأنا كالميت لما بي ولعظم الخوف فلما وقعت عين اسحاق علي تبسم فسكنت نفسي فقال لي بغاء ان اخي أبا العباس يعني عبدالله بن طالب بن طاهر كتب اليّ يشفع في امرك وقد شفعته وأزلت عنك المطالبة ورضيت عنك ورددت عليك ضياعك فانصرف الى منزلك فبكيت بكاء شديدًا لعظم ما قد ورد على قلبي من السرور وفكت قيودي وغيرت حالي وانصرفت فبت في بيتي وبكرت في المسير الى اسحاق لاشكره واسأله عما أوجب ما جرى لانه شيء ما طمعت فيه ولا كانت لي وسيلة الى ابي العباس ولا اسحاق فلقيته وشكرته ودعوت له ولابي العباس وسألته فقال ورد علي كتاب الامير ابي العباس يقول فيه قد كانت كتب ابي موسى بغاء ترد علي بمخاطبات توجب الانس والخلطة وتلزم الشكر والمنة ثم تغيرت فبحثت عن السبب فعلمت ان ذلك الكاتب

صرف وانه منكوب وحق لمن أحسن عشرتنا ووكد المحبة بيننا وبين اخواننا حتي بان لنا موقعه وعرفنا موضعه لما صرف ان نرعى حقه فسر أبقاك الله الى أخي أبي موسى واسأله في أمر كاتبه المصروف عني واستصفحه مافي نفسه منه واستطلقه واسأله رده الى كتابته وان كان مايطالبه به مما لاينزل عنه فأده من مالنا كائناً ما كان فلقيته ففعل مارأيت وأنا أعاود الخطاب في استكتابك وقد أمر لك الامير بكذا من المال فخذه قال فأخذته وشكرت ودعوت للامير بن وانصرفت فأمضيت الايام حتى ردني اسحاق الى كتابة بغاء بشفاعة أبي العباس وتأثلت حالي معه ونعمتي * حدثني علي بن أبي الطيب باسناده الى سليمان بن أبي زياد قال كان عمرو بن هبيرة والياً على العراق من ولاة يزيد بن عبد الملك فلما مات يزيد واستخلف هشام قال عمرو بن هبيرة سيولي هشام العراق أحد الرجلين سعيداً الخرشي او خالد بن عبد الله القسري فان ولي ابن النصرانية خالداً فهو البلاء فولى هشام خالداً فدخل واسطاً وقد أوذن عمرو بن هبيرة بالصلاة فهو يتهيأ والمرآة في يده يسوى عمته اذ قيل له هذا خالد قد دخل فقال عمرو بن هبيرة هكذا تقوم الساعة تأتي بغتة فقدم خالد فأخذ عمرو بن هبيرة فقيده وألبسه مدرعة صوف فقال ياخالد بئس ماسننت على أهل العراق ماتخاف ان يوجد فيك بمثل هذا فلما طال حبسه جاءه موالٍ له فاكتروا داراً الى جانب الحبس ثم نقبوا سرداباً الى الحبس وا كتروا داراً أخرى الى جانب حائط سور مدينة واسط فلما كانت الليلة التي أرادوا ان يخرجوه فيها من الحبس أفضى النقب الى الحبس فخرج منه في السرداب ثم خرج من الدار يمشي حتى بلغ الدار التي بجانب سور المدينة وقد نقب فيها فخرج في السرداب منها وقد هيئت له خيل خلف حائط المدينة فركب وعلم به بعد ما أصبحوا وقد كان أظهر علة قبل ذلك لكي يتمسكوا عن تفقده في كل وقت فأتبعه خالد سعيدا الخرشي فلحقه وبينه وبين الفرات شيء يسير فتعصب له وتركه وقال الفرزدق شعراً

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها ولم تر الا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعدما ثوى في ثلاث مظلمات ففرجا
خرجت ولم يمنن عليك طلاقة سوى زائد التقريب من آل أعوجا
فأصبحت تحت الارض قد سرت ليلة وما سار سار مثلها حين أدلجا

قال سليمان بن أبي شيخ فحدثني أن ابي خبره عن أبي الجنحات قال حدثني حازم مولى عمرو بن هبيرة حين هرب من السجن فبلغنا دمشق بعد العتمة فأتى مسلمة بن عبد الملك خلف الصبح فاستأذن مسلمة على هشام بن عبد الملك فدخل عليه فلما رآه قال يا أبا سعيد أظن ابن هبيرة قد طرقك في هذه الليلة قال أجل يا أمير المؤمنين فقد أجرته فهبه لي قال قد وهبته لك أخبرني أبو الفرج القرشي المعروف بالاصفهاني قال قد ذكر ابن الكلبي عن أبيه قال خرج قيس بن قيسبة بن كلثوم السكوني وكان ملكاً يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية ولا يتعرض بعضها لبعض فمر ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليه وأسروه وأخذوا ماله وما كان معه والقوه في الغل فمكث فيه ثلاث سنين وشاع في اليمن ان الجن استطارته فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم وقد يئس من الفرج اذ قال لها أتأذنين لي ان آتي الاكمة فأتشرق عليها فقد أضرني القر فقالت له نعم وكانت عليه جبة صوف لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الاكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم فاطر السماء فرج لي مما أصبحت فيه فبينما هو كذلك اذ عرض له راكب يسير فأشار اليه ان أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ماحاجتك يا هذا قال أين تريد قال أريد اليمن قال ومن أنت قال أبو الطمحان العيني فاستعبر ابن قيسبة فقال له أبو الطمحان من أنت فاني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك ولست بدار فيها ملك فقال أنا ابن قيسبة بن كلثوم السكوني خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب على هذا الحي وصنعوا بي ماترى وكشف عن اغلاله وقيوده فاستعبر له أبو الطمحان فقال له قيسبة هل لك من مائة ناقة حمراء قال ما أحوجني الى ذلك قال انخ فأناخ ثم قال له أمعك

سكين قال نعم قال ارفع عن رجلك فرفع له عن رجله حتى بدت خشبة مؤخره فكتب عليها قيسبة بالمسند ولم يكتب به غير أهل اليمن

بلغن كندة الملوك جميعاً حيث سارت بالاكرمين الجمال
ان ردوا الخيل بالخميس عجالا واصدروا عنه والروايا ثقال
هربت جارتي وقالت عجيبا ان رأتني في جيدي الاغلال
ان يرى عارى العظام أسيرا قد براني تضعضع واختبال
فلقد أقدم الكتيبة بالسيف على السلاح والسربال

وكتب تحت الشعر الى أخيه ان يدفع الى أبي الطمحان مائة ناقة حمراء ثم قال أقرىء هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به راحلته حتى أتى حضر موت فتشاغل بما ورد له ونسي أمر ابن قسيبة حتى فرغ من حوائجه ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن أمر ابن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن مالك فقال له ياهذا اني أدلك على أخيك وقد جعل لي مائة ناقة حمراء فقال له فهي لك فكشف عن رجله فلما قرأه الجون بن مالك أمر له بمائة ناقة ثم أتى قيس بن معدي كرب الكندي أبا الاشعث بن قيس فقال له ياهذا ان أخي في بني عقيل أسير فسر معي بقومك نخلصه قال أتسير معي تحت لوائي حتى أطلب ثارك وأنجدك والا فامض راشداً فقال له الجون مس السماء أهون من ذلك وأيسر علي مما جئت به فصحب السكون ثم فاؤا فرجعوا فقال ماعليك من هذا هو ابن عمك ويطلب لك بثارك فانعم له بذلك فسار قيس وسار الجون معه تحت لوائه وكندة والسكون معه فهو أول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف وسار حتى أوقع ببني عامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة واستنقذ ابن قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي

لاتشتمونا اذ جلبنا لكم التي كميه كلها سلهبة
نحن أنلنا الخير في أرضكم حتى ثأرنا منكم ابن قيسبة
واعترضت من دونهم مذحج فصادفوا من خيلنا مسغبة

* حدثني أبو الحسن احمد بن يوسف الازرق الكاتب بن يعقوب بن اسحق البهلول التنوخي قال كنت وأنا حدث أتعلم في ديوان الزمام بالسواد بين يدي كاتب فيه يقال له ابو الحسن علي بن الفتح ويعرف بالمطوق عاش الى بعد سنة عشر بن وثلاثمائة واخرج الينا كتاباً قد عمله في أخبار الوزراء منذ وفاة عبيد الله ابن يحيى بن خاقان الى آخر أيام القاهر بالله وبعدها وسماه كتاب مناقب الوزراء ومحاسن أخبارهم فقرأنا عليه بعضه وأخبرنا بالباقي مناولة قال مؤلف هذا الكتاب فأعطاني أبو الحسن احمد بن يوسف الكتاب مناولة فوجدت فيه ان القاسم بن عبيد الله اعتقل أبا العباس احمد بن محمد بن بسطام في داره أياماً لاشياء كانت في نفسه عليه وأراد ان يوقع به فلم يزل ابن بسطام يداريه ويتلطف الى ان أطلقه وقلده آمد وما يتعلق بها وأخرجه اليها وفي نفسه مافيها ثم ندم على ذلك فوجه اليه في آخر أيام وزارته بقائد يقال له علي بن جيش أخو قوصرة ووكله به فكان يأمر وينهي فى عمله وهو موكل به في داره خائف علي نفسه لما قد ظهر من اقدام القاسم على القتل قال ابن بسطام فأنا أخوف ما كنت على نفسي وحالي وليس عندي خبر حتى ورد على كتاب عنوانه لابي العباس أطال الله بقاه من العباس بن الحسين فلما رأيت العنوان ناقص الدعاء علمت ان القاسم بن عبيدالله قد مات وان العباس بن الحسين قد تقلد الوزارة فلم أملك نفسي فرحاً وسروراً بالسلامة في نفسي وزال الخوف عني وقرأت الكتاب فاذا هو بصحة الخبر وأمرني بالخروج الى مصر وقلدني الامانة على الحسين بن احمد المادرائي قال فخرج ابن بسطام الى مصر ولم يزل يتقلد الامانة على الحسين بن احمد الى ان تقلد علي بن محمد بن الفرات الوزارة فقلده مصر واعمالها فلم يزل فيها الى ان توفي

* حدثنا أبو محمد عبد الرحيم الوراق المعروف بالصيرفي ابن العباس بن محمد بن احمد الابرم المعروف بالمقري البغدادى بالبصرة في المحرم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة بكتاب المنتصر لابي العباس احمد بن عبد الله بن عمار في خبر العلوي الصوفي الخارج بالجوزجان على المعتصم وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن

الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وكان عبد الله بن طاهر حاربه وأسره وبعث به الى المعتصم وهو ببغداد قال حدثت ان المعتصم أمر ان يبني حبس في بستان موسى كان القيم به مسرورًا مولى الرشيد قال وكنت أرى هذا البناء من دجلة اذا ركبتها فخبرني من دخله انه كان كالبئر العظيمة قد حفرت الى الماء أو قريب منه ثم فيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه وله من داخله مدرج قد جعل في مواضع من التدريج مستراحات وفي كل مستراح شبيه بالبيت يجلس فيه رجل واحد كانه على مقداره يكون فيه مكبوبًا على وجهه ليس يمكنه ان يجلس ولا يمد رجله فلما قدم بمحمد حبس في أسفل بيت منه فلما استقر به أصابه من الجهد لضيقته وظلمته ومن البرد لندى الموضع ورطوبته ما كاد يتلفه من ساعته فتكلم بكلام دقيق سمعه من كان في أعالي البئر ممن وكل بالموضع فقال ان كان أمير المؤمنين يريد قتلي فالساعة أموت وان لم يكن يريد ذلك فقد أشفيت عليه فأخبر المعتصم بذلك فقال ما أريد قتله وأمر باخراجه فأخرج وقد زال عقله وأغمي عليه فطرح في الشمس وطرحت عليه لحف وأمر بحبسه في بيت كان بني في البستان فوقه غرفة وكان في البيت خلاء الى الغرفة التي تليها وفي الغرفة أيضًا خلاء آخر الى سطحها فلم يزل محبوسًا فيه الى ان تهيأ له الخروج ليلة الفطر سنة تسع عشرة ومائتين قال فحدثني علي بن الحسين بن عمر بن علي بن الحسين وهو ابن عم أبيه قال أصبحت يوم الفطر أتهيأ للركوب فأنا أشد منطقتي في وسطي وقد لبست ثيابي أبادر الركوب الى المصلى ماراعني الا محمد بن القاسم قد دخل الى منزلي فملئت رعبًا وذعرًا وقلت له كيف تخلصت قال أنا أدبر أمري في التخلص منذ حبست ثم وصف لي الخلاء الذي كان في البيت الذي حبس فيه الى الغرفة التي فوقه والخلاء الذي كان في الغرفة الى سطحها وانه أدخل معي يوم حبست لبدٌ فكان وطائي وفراشي قال وكنت أري بغرش وهي قرية من قرى خراسان حبالا تعمل فيها من لبود مرصع كما يفعل بالسيور فتجيء احكم شيء فسولت لي نفسي ان اعمل من اللبد التي تحتي حبلا وكان على باب

البيت قوم وكلوا بي يحفظوني لايدخل عليَّ منهم أحد انما يكلموني من خلف الباب ويناولوني من تحته ما أتقوته فقلت لهم ان اظفاري قد طالت جدًا وقد احتجت الي مقراض فجاءني رجل منهم كان يميل الى مذهب الزيدية بمقراض أحد جانبيه منقوش نقش المسحل وقلت لهم ان في هذا البيت فيرانًا يؤذونني ويقذرونني اذا قربوا مني فاقطعوا لي جريدة من النخل تكون عندي أطردهم بها فقطعوا لي من بعض نخل البستان جريدة فرموا بها الي وكنت لا أزال اضرب بها في البيت وأسمعهم صوتها أياماً ثم قشرت الخوص عنها وقطعتها على مقدار ماعلمت انها تعرض في ذلك الخلاء اذا رميت بها فضممت كل ما قطعته منها بعضه الى بعض وقطعت اللبد وضفرت منه حبلا على ما كنت أري يعمل بغرش ثم شددت ماقطعته من الجريدة في رأس الحبل ثم رميت به في الكوة وعالجته مرارًا حتى اعترض فيها ثم اعتمدت عليها وصعدت الى الغرفة ومن الغرفة الى سطحها قال ففعلت ذلك مرارًا في أيام كثيرة وتمكنت من الحركة بأن سحلت بجانب المقراض احدى حلقتي القيد ولم يمكنني ان اسحل الاخرى فكنت اذا أردت الحركة شددت القيد مع ساقي فأتحرك وقد صرت مطلقاً فلما كان في هذه الليلة وشغل الناس بالعيد وانصرف من كان على الباب فلم أحس منهم أحدًا الا شيخاً واحدًا كنت أسمع حركته واطلع فأراه فصعدت بين المغرب والعشاء الى الغرفة ومن الغرفة الى سطحها وأشرفت فاذا المعتصم يفطر والناس بين يديه والشموع فرجعت حتى اذا كان في جوف الليل صعدت ولم يتحرك الناس ونزلت الى البستان فاذا فيه قائد معه جماعة فصاح بي بعضهم فقال من هذا فقلت مديني من أصحاب الحمام فقال أين تخرج اطرح نفسك حتى تصبح وتفتح الابواب فطرحت نفسي بينهم حتى فتح باب البستان في الغلس وتحرك الناس فصرت الى دجلة لاعبره فاذا الشيخ الذي كان أحد من يحفظني قد جاء ليعبر فطلب مني الملاح أجرته كما أخذ من الناس فقلت ما معي شيء أنا رجل غريب ضعيف الحال فقال لي الشيخ اعبر أنا اعطيه عنك فاعطاه عني وعبرت حتى جئتك قال علي بن الحسين

فقلت والله مامنزلي بموضع لك فاخرج عنه ولا تقر فيه لحظة واحدة قال وركبت الى المصلي فصار الى منزل رجل من الشيعة فأخفاه * قال وروي عن الفضل بن حماد الكوفي من أصحاب الحسين بن صالح يحدث بوفاة عيسى بن زيد بن علي رضي الله عنهم بالكوفة وكيف ستر ذلك عن المهدي فذكر حديثاً طويلاً قال فيه فتواردت الاخبار عند الرشيد بحسن طريقة احمد بن عيسى بن زيد وميل الناس اليه فأمر بحمله فحمل الى بغداد ومعه القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو والد محمد بن القاسم الصوفي الخارج بخراسان في أيام المعتضم فحبسا عند الفضل بن الربيع وكانا في حبسه في داره في الشارعة على دجلة قريب رأس الجر بمشرعة الصحن وكان حسن الصنيع اليهما يؤتيان بمائدة كمائدته التي توضع بين يديه ويواصلان من الحلو والفاكهة والثلج في الصيف بمثل مايكون على مائدته الى ان أتيا بالمائدة ذات يوم فتغديا ثم رفعت من بين أيديهما فوضعت بين أيدي الغلمان فأكلوا واكثروا ودخل وقت القائلة فناموا فخرج احمد بن عيسى بن زيد الى حب في ناحية الدهليز فرأى القوم نياماً فغرف من الحب بالكوز الذي معه فلما رجع قال للقاسم ياهذا اعلم اني قد رأيت فرصة بينة هؤلاء نيام والباب غير مقفل لم يحكموه كما كانوا يفعلون وقد اغفلوه فاخرج بنا فقال له القاسم أنشدك الله فانك تعلم انك في عافية مما فيه كثير من أهل الحبوس وهذا الرجل يعني الفضل بنا بر ولنا متعهد فقال له أحمد دعني منك واعلم ان العلامة بيني وبينك ما أصف لك فان تحرك القوم رجعت اليك وكانت علتي بسبب الكوز وان لم يتحركوا فأنا والله خارج وتاركك بموضعك واعلم انك لاتسلم بعدي ثم خرج فغرف بذلك الكوز من الحب ثم طرحه من قامته وكان أطول منك ومني فما تحرك منهم أحد ثم اثنى عليه فقال له قد رأيت ماقد استظهرت به لك ولنفسي وأنا والله خارج ثم مضى واتبعه القاسم ففتحا الباب وخرجا فقالا لانجتمع في طريق ولكن موعدنا كذا وكذا قال فما جاز احمد عتبة الباب الا خمسين ذراعاً حتى لقيه غلام للفضل بن الربيع مدني أعرف به من نفسه فبهت

الغلام لما رآه وأومأ اليه احمد بكمه كالآمر له بغضب ان تنح فما ملك الغلام نفسه ان فعل ثم كان عزمه ان يستقيم في تلك الطريق فلما بلي من الغلام بما بلي عدل عن تلك الطريق في طريق آخر للاستظهار على الغلام وأسرع حتى نجا وذكر بقية الحديث ٭ ومن ظرائف ما شاهدناه من هذا الباب ان أبا تغلب فضل الله عدة الدولة ابن ناصر الدولة ابي محمد استوحش من اخيه محمد بعد موت ابيهما فقبض عليه واستصفى ماله ونعمته وقبض عقاره وضياعه وثقله بالحديد وانفذه الى القلعة المعروفة بأردمشت وهي مشهورة من اعمال الموصل حصينة فحبسه في مطمورة ووكل به عجوزة يثق بها جلدة يقال لها بازبانا وأمرها ان لا توصل اليه أحداً ولا تعرفه خبره وان تخفي موضعه عن جميع سجنة القلعة وحفظتها ففعلت ذلك فاقام على حاله تلك ثماني سنين ثم اتفق ان انحدر ابو تغلب معاونا بختيار بن معز الدولة ابى الحسين ومعهما العسكر يقصدان بغداد لمحاربة عضد الدولة وتاج الملة ابى شجاع وخرج للقائهما فكانت بينهما الوقعة المشهورة بقرب قصر الحصن فقتل فيها بختيار وانهزم ابو تغلب فدخل الموصل وخاف من تخاص محمد فكتب الى غلام له كانت القلعة مسلمة اليه يقال له طاشتم في أن يمكن رئيساً من رؤساء الاكراد يقال له صالح بن يابويه كان كالشريك لطاشتم في حفظ القلعة من محمد بن ناصر الدولة ليمضي فيه ما أمره به وكتب الى صالح يأمره بقتل محمد فمكن طاشتم صالحاً فلما اراد الدخول على محمد لقتله منعته بازبانا من ذلك وقالت له لا أمكن من هذا الا بكتاب يرد عليّ ودخل عضد الدولة الى الموصل واجفل عنها ابو تغلب وكدته العساكر واشتد عليه الطلب وورد عليه كتاب من القلعة بما قالت بازبانا فالى أن يجيب عليه أحاطت بعض عساكر عضد الدولة بقلعة اردمشت ونازلوها فانقطع ما بين ابي تغلب وبينها ولم يصل اليها كتاب ثم فتحها عضد الدولة بعد شهور بأن واطأه صالح على القبض على طاشتم وكتب اليه يعرفه بما عمله ويستأذنه فيما يعمله وكان لمحمد خادم أسود يسمى ناصحاً وكان بعد القبض على محمد قد رفع الى عضد الدولة وهو بفارس وصار من وجوه خدمه وحضر معه وقعة حصن الجص فلما

ورد خبر فتح القلعة أذكره ناصح بوعد كان عليه في اطلاق مولاه فكتب اليه ان يطلبه في القلعة فان وجد حيا يطلق وينفذ اليه مكرماً فحين دخل صالح ومعه بعض من قد صعد الى القلعة من حاشية عضد الدولة الى محمد في محبسه جزع جزعاً شديداً ولم يشك في انهم دخلوا بأمر أبي تغلب لقتله فأخذ يتضرع ويقول مايدعو أخي الى قتلي فقال له صالح لاخوف عليك وانما أمر الملك ان نطلقك وتمضي اليه مكرماً فانه قد ملك هذه البلاد فقال أغلب ملك الروم على هذه النواحي وفتحت له القلعة قال لا ولكن الملك عضد الدولة قال الذي كان بشيراز قال نعم وقد جاء الى بغداد فقال محمد وأين بختيار فقالوا قتل قال وأين أبو تغلب قالوا انهزم ودخل الى بلاد الروم قال وأين الملك عضد الدولة قالوا بالموصل وهو ذا تحمل اليه مطلقاً مكرماً فسجد حينئذ وبكى بكاء شديداً وحمد الله عزوجل وجاؤا ليفكوا حديده واغلاله فقال لا أمكن من ذلك الا بعد ان يشاهد حالي الملك فحمل الى الموصل فرأيته وقد أصعد به مقيداً من المعبر الذي عبر فيه في دجلة الى دار أبي تغلب التي نزلها عضد الدولة بالموصل وأنا اذ ذاك أثقلدها له وجميع مافتحه مما كان في يد أبي تغلب مضافاً الى حلوان وقطعة من طريق خراسان فرأيت محمداً يمشي في قيوده حتى دخل اليه فقبل الارض بين يديه ودعا له وشكره وأخرج الي حجرة من الدار فأخذ حديده وحمل على فرس فاره بمركب من ذهب وقيد بين يديه خمس ذواب بمراكب فضة مذهبة وخمس بجلالها وثلاثون بغلاً بأفكها محملة مالاً صامتاً ومن صنوف الثياب الفاخرة والفرش السري والطيب والآلات المرتفعة القدر والعلوفات والحيوان والحلو والطعام ونقل وفاكهة وانبذة وغير ذلك ثم اقطعه بعد ايام اقطاعاً بثلثمائة الف درهم وولاه امارة بلده واعماله وهو الذي كان يتولاه لابي تغلب ٭ وذكر الحسين القاضي في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة ٭ قال بلغني ان عمرو بن معدي كرب الزبيدي قال خرجت في خيل من بني زبيد أريد غطفان فبينا أنا أسير وقد انفردت من أصحابي اذ سمعت صوت رجل ينشد شعراً فتفهمته فحفظته وهو هذا

أما من فتى يخاف العطب ... يبلغ عمرو بن معد يكرب
بانا ننوط في زمان ... بارجلنا اليوم نوط القرب
فان هو لم يأتنا عاجلا ... فيكشف عنا ظلام الكرب
والا استغثنا بعبد المدان ... وعبد المدان لها ان طلب

قال فعلمت انه قول أسير في بني مازان بن صعصعة فقلت لخيلي قفوا حتى آتيكم واقتحمت على القوم وحدي واذا هم يصطلون فقلت أنا ابو ثور أين اسري بني مذحج فبادرت الاسري من الرجال و بادر القوم الي يقاتلونني فلم ازل أقاتلهم وأقتل منهم حتى استعفوني وقالوا انا والله لنعلم انك لم تأتنا وحدك فا كفف عنا ولك الاسرى وا كفف عنا خيلك فنزلت واطلقت بعضهم وقلت ليحل مطلقكم موثقكم وليركب كل واحد منكم ما وجد قال واقبلت خيلي وجاءت الاسرى فقلت لهم هل علمتم موضعي حتى انشد منشدكم قالوا لا والله ما سمعنا وما اصبحنا منذ سرنا اشد يأساً ولا أتم ايقاناً بالهلاك منا اليوم فلذلك حين اقول

الم ترني اذ ضمني البلد القفر ... سمعت ندا يصدع القلب يا عمرو
اغثنا فانا عصبة مذحجية ... نناط علي وفر وليس لنا وفر
تكلفنا يا عمرو ماليس عندنا ... هوازن فانظر ما الذي فعل الدهر
فقلت لخيلي انظروني فانني ... سريع اليكم حين ينصدع الفجر
وأقحمت مهري حين صادفت غرة ... علي الطف حتى قيل قد عقر المهر
فأنجيت أسري مذحج من هوازن ... ولم ينجهم الا السكينة والصبر
ونادوا جميعاً حل عنا وثاقنا ... أخا البطش ان الامر يحدثه الامر
وأبت بأسري لم يكن بين قتلهم ... و بين طعاني اليوم ما دونه فتر
يزيد وعمرو والحصين ومالك ... ووهب وسفيان وسابعهم وبر

* روي نجيد كاتب ابراهيم بن المهدي ان ابراهيم حدثه ان مخلدا الطبري الكاتب للمهدي على ديوان الرسائل أخبره انه كان في ديوان عبد الملك يتعلم كما

يتعلم الاحداث في الدواوين اذ ورد كتاب صاحب بريد الثغور الشامية على عبد الملك يخبره فيه ان خيلاً من الروم تراءت للمسلمين فتفرقوا اليها ثم رجعوا ومعهم رجل قد كان أسر في أيام معاوية بن أبي سفيان فذكروا ان الروم لما توافقوا أعلموهم أنهم لم يأتوا لحرب وانما جاؤا بهذا المسلم ليسلموه الى المسلمين لان عظيم الروم أمرهم بذلك وذكر صاحب البريد ان النافرين ذكروا انهم سألوا المسلم عما قالت الروم فوافق قوله قولهم وذكر ان الروم قد أحسنوا اليه فانصرفوا عنهم وأخذوه واني سألته عن سبب مخرجه فذكر انه لايخبر بذلك أحداً دون أمير المؤمنين فأمر عبد الملك باحضاره له ولما حضر قال له من أنت قال انا قبات بن رزين اللخمي أسكن فسطاط مصر في الموضع المعروف بالحمراء أسرت في خلافة معاوية وطاغية الروم اذ ذاك ورقاء بن مورقة فقال عبد الملك بن مروان فكيف كان فعله بكم قال لا أحد أشد عداوة للاسلام وأهله منه الا انه كان حليماً وكان المسلمون في أيامه أحسن حالاً منهم في أيام غيره الى ان أفضى الامر الى ابنه فقال في اول ماملك ان الاسراء اذا طال مكثهم ببلاد آنسوا به ولو كان على غاية الرداءة وليس شيء أنكر لقلوبهم من نقلهم من بلد الى بلد وأمر باثنى عشر قدحاً وكتب في رأس كل واحد منها اسم واحد من بطارقته الاثنى عشر يضرب بالقداح في كل سنة أربع مرات فمن خرج اليه القدح الاول حول اليه المسلمون فاحتبسهم عنده شهراً ومن صار اليه القدح الثاني صاروا اليه بعد البطريق الذي كانوا عنده في الشهر الاول ومن خرج اليه القدح الثالث حولهم اليه بعد الشهر الثاني ثم أعيدت القداح بعد ذلك قال قبات فكنا لانصير الى واحد من البطارقة الا قال احمد الله عز وجل حيث لم يبتلكم ببطريق الرخان قال فكنا نرتاع لذكره ونحمد ربنا عز وجل على ان لم يكن يبتلينا برؤيته قال فمكثنا عدة سنين ثم ضرب بالقداح فخرج القدح الاول والثاني لبطريقين من البطارقة وخرج الثالث لبطريق الرخان فمر بنا في الشهرين غم طويل نترقب المكروه ثم انقضى الشهران فحملنا اليه فرأينا على بابه من الجمع على خلاف ما كنا نعاين ورأينا من

رثاثته والغلظة خلاف ما كنا نرى ثم وصلنا اليه فتبين لنا من فظاظته وغلظته ما أيقنا معه بالهلكة ثم دعا بالحدادين وأمر بتقييد المسلمين بأمثال ما كان يقيدهم غيره قال فلم يزل الحديد يجعل في رجل واحد واحد حتى صار الحداد الى قال فنظرت في وجه البطريق فوجدته قد نظر الي بخلاف العين التي كان ينظر بها الى غيري ثم كلمني بلسان عربي فسألني عن اسمي وعن نسبي ومسكني مثل ماسألني عنه أمير المؤمنين فصدقته عما سألني عنه ثم قال لي كيف حفظك لكتابكم قال فأعلمته اني حافظ له فقال اقرأ آل عمران فقرأت عليه منها نحو خمسين آية فقال انك لقارئ فصيح ثم سألني عن روايتي للشعر فأعلمته اني راوية فاستنشدني لجماعة من الشعراء فأنشدته فقال الك لحسن الرواية ثم قال لخليفته قد ومقت بهذا الرجل فلا تحدده ثم قال وليس من الانصاف أن أسوءه في أصحابه فنك عن جماعته وأحسن مثواهم ولا تقصر في قراهم ثم دعا صاحب مطبخه فقال لست أطعم طعاماً مادام هذا العربي عندي الا معه فاحذر ان يدخل المطبخ مالا يحل للمسلمين أكله واحذر أن تجعل الخمر في شيء من طبيخك ثم دعا بمائدته واستدناني حتى قعدت الى جانبه فقلت له فدتك نفسي وبأبي أنت أحب أن تخبرني من أي العرب أنت فضحك ثم قال لست أعرف لمسألتك جواباً لاني لست عربياً فأجيبك عن سؤالك فقلت له مع هذه الفصاحة بالعربية فقال ان كان باللسان تنقل الانساب من جنس الى جنس فأنت اذا رومي فان فصاحتك بلسان الروم ليست بدون فصاحتي بلسان العرب فعلى قياس قولك يجب أن تكون روميا وأكون عربياً قال فصدقت قوله وأقمت عنده خمسة عشر يوماً لم أكن منذ خلقت في نعمة أكثر منها فلما كانت ليلة ستة عشر فكرت في أنه قد مضي نصف الشهر وان الايام تقربني من الانتقال الى غيره فبت مغموماً وصار الى رسوله يدعوني لحضور طعامه فلما جعل الطعام بين أيدينا رأى أكلي مقصراً عما كان يعهده فضحك ثم قال أحسبك ياعربي لما مضى النصف من شهرك فكرت في أن الايام تقربك من الانتقال عني الى غيري فلا يعاملك مثل

معاماتي ولا يكون عيشك معه مثل عيشك معي فسهرت واعتراك لذلك غم ثم غير طبعك فأعلمته أنه قد صدق فقال ما أنا ان لم أحسن الاختيار لصديقي بحر كل فقد آمنك الله مما حذرت ولم أبت في اليوم الذي رمقتك فيه حتى سألت الملك ان يصيرك عندي مادمت في أرض الروم فلست تنتقل عن يدي ولا تخرج منها الا الى بلدك فاني أرجو ان يسبب الله عز وجل ذلك على يدي قال فطابت نفسي ولم أزل مقيماً عنده الى ان انقضى الشهر وضرب بالقداح وخرج لبطارقة غير البطريق الذي نحن عنده وتحول اليه أصحابي وبقيت وحدي ونغديت في ذلك اليوم مع البطريق وكان من عادتي ان أنصرف من عنده بعد غدائي الى اخواني المسلمين فنتحدث ونأنس ونقرأ القرآن ونجمع الصلوات ونتذاكر الفرائض ويسمع بعضنا بعضاً ماحفظ من العلم وغيره قال فانصرفت ذلك اليوم الى الموضع الذي كنت أجتمع فيه مع المسلمين فلم أر أحداً منهم فضاق صدري ضيقاً تمنيت ان أكون مع أصحابي وبت بليلة صعبة لم أطبق فيها بين أجفاني فأصبحت أكشف خلق الله عز وجل بالاً وأسوأهم حالاً وصار الى رسول البطريق في وقت الغداء فلما صرت اليه تبين الغم في وجهي ومددت يدي الى الطعام فرأى مد يدي اليه خلاف عادتي فضحك ثم قال احسبك اغتممت لفراق أصحابك فأعلمته أن قد صدق وسألته هل عنده حيلة في ردهم الى يده فقال ان الملك لم يرد بتنقل أصحابك من يد الى يد غيري الا ليغمهم بما يفعل ومن المحال ان يدع تدبيرهم في الاضرار بهم لميلي اليك ومحبتي لك وما عندي في هذا الباب حيلة فسألته ان يسأل الملك اخراجي عن يده وضمي الى أصحابي لاكون معهم حيث كانوا فقال ولا في هذه أيضاً حيلة لاني لا أستجيز أن انقلك من سعة الى ضيق ومن كرامة الى هوان ومن نعمة الى شقاء قال فلما قال لي ذلك تبين في الانكسار وغلبة الغم فقال لي ما بلغ بك من الغم فأعلمته أنه بلغ بي ما نغص الى الحياة وحبب لي الموت لعلمي انه لا راحة لي بغيره فقال لي ان كنت صادقاً فقد دنا فرجك فسألته عما دله على قوله فقال لي اني

وقعت في نكبات أشد هولا مما أنت فيه وكان عاقبتها الفرج فاسمع بحكايتي واتعظ اعلم ان بطرقة ذلك لم تزل منذ مئين سنين يتوارثونها وان عددهم كان كثيراً افتفانوا ولم يبق منهم غير ابيه وعمه وكانت البطرقة الى عمه دون ابيه فأبطأ على أبيه وعمه الولد فبذلا للمنطبين الكثير من الاموال لعلاجهما بما يعالج به المتطببون الرجال والنساء الى ان بطل العم و يئس من الانتشار فصرف عنايته الى معالجة أبي البطريق فعلقت أمي بي فلما علم العم انها قد علقت وجه فجمع عدة من الحبالى من ألسنة مختلفة فيها اللسان العربي والرومي والافرنجي والكردي والصقلبي والخزري فوضعن في داره فلما ولدتني امي أمر بتصيير اولئك النساء كلهن معي يرضعنني ثم أمر بتصيير ملاعبيه ومؤدبيه من اجناس النساء اللواتي رينه قال البطريق فكانوا يعلمونني الكتابة وقراءة كتب دينهم فلم ينقض عليه تسع سنين حتى علم أمر دينهم وقرأ كتبهم وأجابهم عنها ثم أمر عمه بان يضم اليه جماعة من الفرسان يعلمونه الثقافة والمساواة وجميع ما تعلمه الفرسان ومنعه من سكنى المنازل وأمره ان ينزل في المضارب وأن يمنع من اكل اللحم الا ما ناله بصيد طائر يحمله على يده أو صيد كلب يسعى بين يديه أو صيد بسهمه فكانت تلك حاله حتى استوفى عشر سنين ثم رمى الله عز وجل في عصب عمه فمات وولى البطرقة بعد عمه أبوه فأمره بالقدوم عليه فقدم ورأى شمائله وفهم أدبه فاشتد عجبه به فتسمح له بما لم تكن ملوك الروم تتسمح به لولاة أمورها وأعتد له مضارب وفساطيط الديباج وضم اليه من الفرسان جماعة كثيفة ووسع على الجميع في كل ما تحتاج اليه ورده الى سكنى المضارب وأمره بالاستعداد من منازل أبيه قال البطريق فلما استتمت لي خمس عشرة سنة ركبت يوماً لارتياد مكان اكون فيه فبصرت بغدير من ماء طوله الف ذراع وعرضه ما بين ثلثمائة ذراع فأمرت بضرب مضاربي على ذلك الغدير وتوجهت لطلب الصيد فرزقت ذلك اليوم منه ما لم اطمع في مثله كثرة ثم نزلت وقد ضربت المضارب فأمرت الطباخين فطبخوا لي ما اشتهيت من الطعام ثم نصبت المائدة بين يدي واني لانتظر الطبيخ يغرف اذ سمعت ضجة

ما فهمت خبرها حتى رأيت رؤس أصحابي تتساقط عن ابدانهم فتخبيت عن مكاني وخلعت ثيابي ولبست ثياب بعض عبيدي ثم نظرت يمنة وشمالا فلم أر حولى الا مقتولا وأرى فاعل ذلك كله باصحابي منسر من مناسر الرخان ثم أسرت كما يؤسر العبيد واحتملوا كل ما كان معنا من مضرب وغيره وصاروا بي الى ملك الرخان فلما رآني لم يكن له ولد ذكر أمر بالتوسعة علي وأن أكون واقفاً على رأسه وسماني ابنه قال وكان له ابنة كان مغرماً بها وقد علمها الفروسية ومساواة الاقران ومقاتلتهم ومراكدتهم قال فقال لجماعة من بطارقته من منكم يتوجه الى ملك الروم فيجئني بكاتب من بلده ليعلم ابنتي الكتابة فأعلمته ان رسوله لا يأتيه بأكتب مني فأمرني ان اكتب بين يديه فكتبت فأستحسن خطي وقرنه بكتب كانت ترد عليه من والدي فرأى خطى اجود فدفع ابنته الى وأمرنى ان اعلمها الكتابة فهو بتها وهو بتني فمكثت معى حتى استوفت ثلاثة عشر سنة ثم عادت الى يوماً وهي باكية فقلت لها ما يبكيك يا سيدتي فقالت اني كنت جالسة بين يدي امي وأبي في هذه الليلة وغلبتني عيناي فنمت فسمعت أبي يقول لامي أرى ثدي ابنتك قد ثقل وأرى خلق هذا الرومي قد غلظ وليس ينبغي ان يجتمعا بعد هذا الوقت فاذا جلست غدا معه فابعثي اليها من يفرق بينها وبينه حتي لا يراها ولا تراه قال البطريق ومن سنة الرخان ان يكون الرجل يخطب لابنته حتي يزوجها ولا يخطب الرجل لابنته زوجاً دون ان تختاره البنت قال البطريق فقلت لابنة الملك اذا سألك ابوك عمن تحبين ان يخطب لك من الرجال فقولى لست اريد الا هذا الرومى فغضبت وقالت كيف يجوز لى ان اسأل ان تخطب لى وانت عبد قال فقلت لها ماجعلني الله عز وجل عبدا واني ابن الملوك وابي ملك الروم قال البطريق واهل الرخان يسمون البطريق الرومي الذي يتولى جند رخان ملك الروم فسألتني هل ما اعلمتها حق فقلت لها انه حق فما مضى على كلامنا حين حتي جاء رسول الملك ففرق بيني وبينها ولم يمض لى بعد ذلك الا ثلاثة ايام حتى دعاني الملك فدخلت عليه فرأيت امارات البشر مستحكمة في وجهه ثم قال لى ياشقي ما حملك على

الكذب في نسبك فأنا أحكم على من انتست الى غير ابيه بالقتل فقلت ما انتسبت الى غير ابي فقال لى ابنتى تقول انك ابن ملك الروم فاعلمته اني اقول ذلك ودعوته ليكشف الامر و ينظر فيه فقال اني لست احتاج الى ان اكشف أمرك برسول ارسله ليعرف خبرك ولى اشياء امتحنك بها فأعرف صدقك من كذبك فدعوته الى كشفها بما شاء فدعا بدابة وليد وسرج ولجام وأمرني بتناول الدابة فأخذتها من يد السائس ثم أمرنى بأخذ اللبد فأخذته وأمرني بالقائه على الدابة ففعلت ثم امرنى يشد الحزام والثفر واللبب واخذ اللجام والجام الدابة ففعلت ذلك كله ثم امرني بركوب الدابة فركبته وأمرني بالسير فسرت ثم امرنى بالاقبال فأقبلت ثم أمرنى بالنزول فنزلت فقال عند آخر ذلك كله اشهد انه ابن ملك الروم لانه اخذ الدابة اخذ ملك وعمل سائر الاشياء مثل ما تعمله الملوك فاشهدوا أني قد زوجته ابنتي فلما قالوا انا قد شهدنا قال لاتشهدوا قال البطريق فلما سمعت قوله لاتشهدوا نزلت عليَّ الكلمة نزول الصاعقة وخفت أن تأتي على نفسي ثم قال لي لم أنهم عن الشهادة رغبة عنك ولكن لنا شرط لايمكن أن نخالفه ولم آمن أن نضطر فنحملك على شرطنا وهو مالم نخبرك به ونقفك عليه فنكون قد ظلمناك او ندع سنة بلدنا فنكون قد فارقنا ملتنا ان سنتنا يارومي ان لا نفرق بين الزوجين اذا مات احدهما فان مات الرجل قبل المرأة جعلناها في سريرها وجعلنا زوجها معها وصيرناهما جميعاً في البئر فان رضيت بهذا الشرط فبارك الله لك في زواجها وان لم ترض بها فليست راضية بك ولا يستقيم لك ان تتزوجها على خلاف سنتنا فأحوجني الصبابة بها الى ان قلت قد رضيت بهذه السنة فأمر بتجهيزها وتجهيزي وجمع مابيننا فأقمت معها أربعين يوماً لا يرى كل واحد منها ومني الا انه قد فاز بتلك الدنيا ثم اعتلت علة كان معها غشية لم نشكك وجميع من رآها أنها قد قضت نحبها قال فجهزت بفاخر ثيابها وجهزت مثل ذلك وحملنا في نعش واحد وركب الملك وأهل مملكته فشيعونا حتى وافوا بنا شفير البئر ثم شدوا أسافل السرير بالحبال وجعلوا معنا في النعش طعاماً وشراباً لثلاثة

أيام ثم دلونا حتى صرنا الى قرار البئر ثم أرخيت علينا الحبال فسقط حبل منها على وجه الجارية فأزال ما أصابها من الغشي فانتبهت فلما أفاقت رأيت ان الدنيا قد جمعت لي واستمرت عيني على الظلمة فرأيت في الموضع الذي أنا فيه من الخبز اليابس ماله دهر كثير فأخذت أغتذي وأغذيها في تلك البئر وكنا لانعدم في كل يوم أن يدلى سرير فيه زوجان أحدهما حي والآخر ميت فكان النازل اذا كان رجلاً حياً توليت قتله لئلا يكون معي ومع امرأتي رجل وان كانت امرأة تولت بنت الملك قتلها غيرة عليَّ من أن يكون معي امرأة سواها قال فمكثنا في البئر وهذه حالنا اكثر من سنة اذ دلى الى البئر دلو فعلمت ان مدليه غير راخاني ولا بد أن يكون فاعل ذلك رومي ووقع لي ان أقدم الجارية فتتخلص ثم تعرفه حالي فيرد الدلو فأخرج قال فحملت ابنة الملك فجعلتها في الدلو بكسوتها وحليها وجوهرها واجتذب القوم الدلو فخرجت اليهم الجارية واذا القوم مماليك لابي ولم ينتبهوا على السؤال عني وهابتهم الجارية وقد كانوا رأوا ما كان فيه أبي وأمي من غلبة الحزن عليهما من فقدي فدبروا بالمصير بالجارية الى أبوى ليتخذوا عندهم يداً وليتخذاهما الجارية ولدا يسكنان اليها ويتعزيان بها فصاروا بها اليهما فسرا بها وسكنا اليها واستمرت الفتها بالجارية فحصلت شر محصل وقد كان صديق لابي له أدب وحكمة وعلم بالتصاوير صوَّر له صورتي في خشبة وزوقها وجعلها لابوي في بيت وقال لهما متى ماذكرتما ابنكما واشتد جزعكما فادخلا وانظرا الى هذه الصورة فانكما ستبكيان بكاء شديداً يعقبكما سلوة قال البطريق ولما صارت الجارية الى والدي ورأتهما يدخلان ذلك البيت ويخرجان وقد بكيا سبقتهما مرة وهما داخلان فبصرت بالصورة فلما رأتها لطمت وجهها ومزقت شعرها وثيابها فسألاها عن السبب فيما أحلت بنفسها فقالت هذه الصورة صورة زوجي فسألاها عن اسمه واسم أبيه وأمه فأسمتهم جميعاً فقالا لها وأين زوجك هذا قالت في البئر التي أخرجت منها فركب أبي وأمي في اكثر أهل البلد ومعهم الغلمان الذين أخرجوا الجارية من البئر حتى وافوا البئر فدلوا الدلو قال البطريق فلما رأيت الدلو وكنت قد

سلات سبفي الذي أنزل معي من غمده وجعلت ذؤابته بين ثديي لاتكي عليه فأخرجه من ظهري فاستريح من الدنيا لغلبة الغم علي فوثبت وقعدت في الدلو واجتذبني من كان فوق البئر حتى خرجت منها فوجدت أبي وأمي وامرأتي على شفيرها وقد أحضروا لي الدواب لانصرف الى بيت أبي وأمي وكان أبي قد صار ملك تلك البلاد فلم أطعمها وأعلمتها ان الاصوب البعثة الى أبي الجارية وأمها حتى يرى ابنتهما مثل ما رآني أبواي ففعلا ذلك ووجها الى أبي الجارية وهو صاحب الرخان فخرج في أهل مملكته حتى عايناها وأقاما لها عرساً وحدثت مهادنة بين الروم والرخان جرت فيها أيمان انه لايغزو أحد منهما صاحبه ثلاثين سنة وصار القوم الى بلادهم وصرنا الى منازلنا ومات أبي فورثت البطرقة منه ورزقت من ابنة الملك الولد وأنت ياعربي ان كان الغم قد بلغ منك ماذكرت فقد جاءك الفرج قال فما انقضى كلام البطريق حتى دخل عليه رسول ملك الروم فقال له يقول لك الملك صر اليّ فخرج اليه ثم عاد فقال ياعربي قد جاءك الفرج ثم قال لي اني كنت عند الملك وجرى ذكر العرب فرمتهم البطارقة عن قوس واحد وذكروا أنهم لاعقول لهم ولا أدب وان قهرهم الروم هو بالغلبة لابحسن التدبير فأعلمت الملك ان الامر على خلاف ما ذكروا وان للعرب آداباً وأذهاناً فقال لي الملك أنت لمحبتك لضيفك العربي مفرط في اعطاء العرب ماليس لها فقلت ان رأى الملك ان يأذن لي في احضار العربي لنجمع بينه وبين هؤلاء المتكلمين ليعرف فضيلته فأمرني بحملك اليه فقال قبات فقلت له بئسما صنعت بي لاني أخاف ان غلبتني أصحابه ان يستخف بي وان غلبتهم ان يضطهدني فقال صفتك هذه صفة العامة والملوك على خلافها واني أخبرك انك ان غلبتهم جلات في عين الملك وكنت عنده بمكان يقضى لك فيه حاجة وان غلبوك سره غلبة أهل دينه لك فأوجب لك بذلك ذماماً وان أقل مانرى ان يقضي لك به حاجة وان غلبت او غلبت فاسأله اخراجك عن بلده وردك الى بلدك فانه سيفعل ذلك قال قبات فلما دخلت على الملك استدناني وقربني واكرمني وقال لي ناظر هؤلاء البطارقة

فاعلمته اني لا أرضى لنفسي بمناظرتهم واني لا أناظر الا البطريق الكبير فأمر باحضاره فلما دخل سلمت عليه وقلت له مرحباً بهذا الشيخ الكبير القدر ثم قلت له ياشيخ كيف أنت قال في عافية فقلت له فكيف حالك كلها فقال كما تحب فقلت وكيف ابنك قال فتضاحك البطارقة كلهم وقالوا زعم البطريق بعنون الذي هو صديقي ان هذا أديب وان له عقلاً وهو لا يعلم بجهله ان الله عز وجل قد صان هذا البطريق أن يكون له ابن فقلت كأنكم ترفعونه عن ان يكون له ابن فقالوا اي والله انا لنرفعه أن كان الله عز وجل قد رفعه عنه فقلت واعجباً ان لا يحل لعبد من عبيد الله أن يكون له ابن ويحل لله تعالى ذكره وهو خالق الخلائق كلها ان يكون له ابن قال فتخر البطريق نخرة أفزعتني ثم قال أيها الملك أخرج الساعة هذا من بلدك لئلا يفسد عليك أهله فدعا الملك بالفرسان وضمني اليهم وأحضر لي دواب البريد وأمر بحملي عليها وبيدرقتي وتسليمي الى من يلقانا في أرض الاسلام من المسلمين فسلموني الى من تسلمني من أهل الثغور ثم ذكر حديثاً لعبد الملك مع الرجل لا يتعلق بهذا الباب

الباب السادس

﴿ من فارق شدة الى رخاء بعد بشرى منام ﴾

﴿ ولم يشب صدق تأويله كذب الاحلام ﴾

قال أبو علي اخبرني ابو بكر محمد بن يحيى الصولى قال حدثنا محمد بن يحيى ابن ابي عباد الجيشي قال رأى المعتضد وهو في حبس أبيه كأن شيخاً جالساً على دجلة يمد يده الى ماء دجلة فيصير في يده وتجف دجلة ثم يرده من يده فتعود دجلة كما كانت فسألت عنه فقيل لي هذا علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقمت اليه فسلمت عليه فقال لى يا احمد ان هذا الامر صائر اليك فلا تعرض لولدي

وصنهم ولا تؤذهم فقلت السمع والطاعة لك يا أمير المؤمنين * وحدثني أبي رحمه الله تعالى بهذا الحديث على أتم من هذا باسناد ذكره عن ابن حمدون النديم قال قال لى المعتصد وهو خليفة لما قدم ابى وهو عليل العلة التي مات فيها وأنا في حبسه ازداد خوفي على نفسى ولم اشكك في ان اسماعيل بن بلبل سيحمله على قتلي او يحتال بحيلة يسفك دمى بها اذا وجد أبى قد ثقل في علته وآيس منه فقمت ليلة من تلك الليالى وأنا من الخوف على أمر عظيم وقد صليت صلاة كثيرة ودعوت الله عز وجل فرأيت في منامي كاني على شاطيء دجلة فرأيت رجلاً جالساً على الشط وهو يدخل يده في الماء فيقبض عليه فتقف دجلة ولا يخرج من تحت يده جرعة من ماء حتى يجف ما تحت يده ويتزايد الماء الى فوق يده ويقف كالطود العظيم ثم يخرج يده من الماء فيجري ففعل ذلك دائماً فهالني ما رأيت فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له من أنت يا عبدالله الصالح قال أنا علي بن أبي طالب قلت يا أمير المؤمنين ادع لي قال ان هذا الامر صائر اليك فاعتضد بالله تبارك وتعالى واحفظني في ولدي قال فانتبهت وكاني أسمع كلامه لسرعة المنام فوثقت بأني أتقلد الخلافة وقويت نفسي وزال خوفي فقلت لغلام كان معي في الحبس لم يكن معي غيره من غلماني اذا أصبحت فامض وابتع لي فصاً واكتب عليه احمد المعتضد بالله واصنعه خاتماً وائتني به ففعل ولبسته وقلت اذا وليت الخلافة جعلت لقبي المعتضد بالله قال ثم أخذت أقطع ضيق صدري في الحبس بتصفح احوال الدنيا واعمال فكري في تدبير عمارة الخراب منها ووجه فتح المنغلق منها وتعيين العمال للنواحي والامراء للبلدان ثم أخذت رقعة وكتبت فيها بدرا الحاجب وعبيدالله بن سليمان الوزير وفلان أمير البلد الفلاني وفلان عامل البلد الفلاني وفلان للديوان الفلاني الى أن أتيت على ما في نفسي من ذلك ودفعتها الى الغلام وقلت احتفظ بها فان دمي ودمك مرتهنان بما فيها فحفظها وما مضى على الامر الا ايام يسيرة حتى لحقت الموفق غشية لم يشك الغلمان في أنه قد مات فجاؤا الي فأخرجوني فصرت الى

بيت فيه الموفق فلما رأيته علمت انه غير ميت فجلست عنده وأخذت يده اقبلها وأترشفها فأفاق فلما رآني أفعل ذلك أظهر التقبل وأومأ الى الغلمان أن أحسنتم فيما فعلتم ثم مات الموفق في ليلته تلك ووليت مكانه فأمضيت بقاياها تلك التدبيرات كلها قال لي أبي قال ابن حمدون فما تعرض المعتضد في أيامه للعلويين ولا آذاهم ولا قتل منهم أحدًا لهذا المعنى * قال علي بن هشام بن عبدالله الكاتب باسناده ان أبا الحسين بن ميمون الافطس كاتب المتقي في أيام ابيه ووزيره لما استخلف قال كان بيني و بين أبي أيوب بن سليمان بن وهب مودة وكيدة فلما تسهلت محنته بعد قتل ابناخ صرت اليه وهو محبوس مقيد الا انه مرفه في الكسوة وكبر الدار والفرش وحسن الخدمة وقد صلحت حاله بالاضافة الى ما كان عليه في أول نكبته من الضرب والتضييق فحدثني انه رأى في ليلته تلك في منامه كأن قائلا يقول هذا البيت

اصبر ورب البيت لا يقنادها أحد سواك وحظك الموفور

قال فصرت الى أخيه أبي علي الحسن بن وهب فحدثته بذلك فسر به وكان كالمستتر الممتنع من ملاقاة السلطان فعمل شعرًا ضمه الى البيت وسألني ايصاله الى أبي أيوب فأخذته فأوصلته وهو

الدمع من عين أخيك غزير في ليله ونهاره محدور
بأبي وأمي حظوك المقصور ومقيد ومصفد وأسير

وزاد فيه غيره في هذه الرواية

فكر يجول بها الضمير كانما يذكو بها دون الشغاف سعير
وجوي دخيل ليس يعرف كنهه ممن يلاهيه أخ وعشير
فيظنه خدانه متسليا والبث في أحشائه مستور

رجع الى الرواية الاولى

ما كنت أحسبني أعيش ومهجتي تحت الخطوب تدور كيف تدور
قلقًا فأنك بالعزاء جدير وعلى النوائب منذ كنت صبور
عثرات مثلك في الزمان كثيرة ولهن بعد مثابة وحبور

ان تمش في حلق الحديد فحشوها منك السماحة والندى والخير
والفضل للشبهات رأيك ثاقب فيها يضيء سداده وبنير
وتحمل العبء الثقيل بثقله منك المجرب عزمه المخبور
فاصبر ورب البيت لا بقتادها احد سواك وحظك الموفور
ماذا بقلب أخيك مذ فارقته ليكاد من شوق اليك يطير
فكانما هو قرحة مقرونة منهـا البلابل والهموم تثور
والله مرجو لكربتنا معاً وعلى الذي نرجوه منك قدير

قال فامضت الا ايام يسيرة حتى أطلق سليمان بن وهب ثم انتهى بعد ذلك الى الوزارة * حدثني على بن هشام قال حدثني ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثني أبو القاسم عبيدالله بن سليمان قال كان أبو محمد الحسن بن مخلد أول من رفعني واستخلفني على ديوان الضياع فكنت أخلفه عليه الى ان ولي شجاع بن القاسم الوزارة مع كتابة أو تامش في أيام المستعين واشتد جزع أبي محمد منه فسألته عن ذلك فقال هذا رجل حمار لا يغار على صناعته وهو مع هذا من اشد الناس حيلة وشدة وهو يعرف كبر نفسي وصغر نفسه وقد بدأ بأبي جعفر بن اسرائيل فصرفه عن ديوان الخراج ونكبه ونفاه الى انطاكيا ولست آمن ان يجعلني في أثره قال فما مضى الا أسبوع حتى ظهر ان أبا موسى عيسى ابن فرخان شاه القناني الكاتب وكان من صنائع الحسن وقد أسلم اذ ذاك قد سعى مع شجاع في تقلده ديوان الضياع ثم تقلده صار فالحسن بن مخلد وخلع عليه فازداد جزع أبي محمد الحسن وأغلق بابه وقطع الركوب فأنا عنده في بعض العشيات اذ أتت رقعة شجاع يستدعيه ويؤكد عليه في البدار فارتفع ونهض وتعلق قلبي به فانتظرته الى ان عاد وهو مهموم مكروب فقلت ماخبرك قال قد فرغ شجاع من التدبير علي وذاك انه قد صح عندي بعد افتراقنا ان أو تامش قال البارحة لبعض خواصه قد ثقلنا على شجاع وحملناه ما لا يطيق من كتابتي والوزارة وتركنا هذا الشيخ يعني الحسن بن مخلد متعطلاً لابد من ان يفرج له شجاع اما عن كتابتي واما عن

الوزارة لاقلده احداهما فلما بلغ ذلك شجاعاً انفذ الى في الوقت فلما رأيته الساعة قال لي يا أبا محمد أنت شيخي ورئيسي وانت اصطنعتني وأنا معترف لك بالحق وآخر مالك عندي من الانعام انك قلدتني عمالة همدان فانتقلت منها الى هذه المنزلة والامير يحذرك الحذر كله وقد أقام على انه لابد من نكبتك وافقارك فلاجل ما أقمت من الامتناع عليه من هذا وسألته في امرك فجرت خطوب تقررت على ان لاتجاوره وتشخص الى بغداد ورضيته بذلك وصرفت عنك النكبة وقد أمرني باخراجك من ساعتك فما زلت حتى استنظرته ثلاثة أيام أولها يومنا هذا فاعمل على هذا فانك تمضي الى بلد الآمر فيه والناهي أبو العباس محمد بن عبد الله ابن طاهر وهو صديقك ويخدمك الناس كلهم ولاتخدم أحداً وتقرب من ضيعتك فأظهرت له الشكر وضمنت له الخروج وأنا خائف منه أن يدعني حتى أخرج آلاتي والحرم وتجملي ثم يقبض على ذلك كله وينكبني فقلت الوجه ان تفرق جميع مالك من الحرم والامتعة والدواب وتودعه ثقاتك واخوانك من وجوه قواد الاتراك وكتابهم وتطرح الثقل الذي لاقيمة له من خيش وستائر واسرة وآلات مطبخ في الزواريق وتجلس في الحراقة العجائز اللواتي لاتفتكر فيهن ليظن انهن الحرم وتخرجهن وتجتهد ان يكون خروجك خروجاً ظاهراً ولاتكاشف بالاستتار بل على سبيل توق ومراوغة فاذا حصلت ببغداد أمنت فقال هذا رأي صحيح وأخذ يصلح أمره على هذا فلما كان في ليلة اليوم الثالث لم أنم أكثر الليل فكرا فيه ثم نمت لما غلبتني عيني فرأيت في السحر كان قائلاً يقول لاتغتم فقد ركب الاتراك من أصحاب وصيف وبغا الى أوتامش وكاتبه شجاع وقد هجموا عليهما وقتلوهما واسترحتم قال فانتبهت متروعاً ووجدت الوقت قد جاوز انفجار الفجر فصليت وركبت الى الحسن بن مخلد فدخلت عليه من باب له غامض لانه قد كان اغلق أبوابه المعروفه فسألته عن خبره فقال هذا آخر الاجل وقد خفت ان يعاجلني شجاع بالقبض علي فأغلقت أبوابي واستظهرت بغلماني يراعون رسله فاذا جاؤا ورأو أمارة الشر فيهم انذروني فأخرج من هذا الباب الغامض وان يسألوا خبر

شجاع فان كان في داره قالوا لمن يجيئني فيطلبني من جهته اني في دار أو تامش وان كان في دار أوتامش قالوا للرسل اني في دار شجاع مدافعة عني حتى أهرب قال فقصصت عليه الرؤيا فتضاحك وقال ما ظننتك بهذه الغفلة نحن في اليقظة كما ترى كيف يصح لنا خبرك في المنام لهذا انما نمت وأنت متمني خلاصي فرأيت ذلك في منامك قال فخرجت من عنده أريد داري فلقيني في الطريق جماعة كثيرة فعرفوني ان الاتراك قد ركبوا بالسلاح فصرت الى منزلي وأغلقت بابي ووصيت عيالي بحفظ الدار وعدت فدخلت الى الحسن فأخبرته بالخبر فأمر بمراعاة الامر فما زلنا نتعرف الاخبار ساعة بساعة الى ان جاء الناس فعرفونا قتل الاتراك لشجاع ثم دخل رجل فقال انا رأيت الساعة رأس اوتامش قال وصح الخبر بقتلهما ونهبت سر من رأي كلها فما افلت من النهب أحد أحسن من افلات الحسن بن مخلد لان ماله كله كان قد جعل عند القواد وكتابهم ولم يضع منه شيء وكان متعطلا فلم تقصد النهابة داره وما أمسينا الا على سرور بالفرج الذي لم يكن لنا في الحساب * حدثني أبو الفرج المخزومي المعروف بالببغا الشاعر قال كان بجاب رجل بزاز يعرف بأبي العباس بن الموصول فاعتقله سيف الدولة بخراج كان عليه مدة وكان الرجل محدقاً في تفسير الرؤيا فلما كان في بعض الايام كنت بحضرة سيف الدولة وقد أوصلت له رقعة اليه يسأله فيها حضور مجلسه فأمر باحضاره وقال له لاي شيء سألت الحضور قال لعلمي انه لا بد من ان يطلقني الامير سيف الدولة من الاعتقال في هذا اليوم فقال له ومن أين لك ذلك قال لاني رأيت البارحة في آخر الليل رجلا قد سلم اليّ مشطاً وقال سرح لحيتك ففعلت ذلك فتأولت التسريح سراحاً من شدة واعتقال ولكون المنام في آخر الليل حكمت ان تأويله يصح سريعاً ووثقت بذلك فجعلت الطريق الى الامير مسألة الحضور ولاستعطفه فقال له احسنت التأويل والامر على ما ذكرت وقد أطلعتك وسوغتك خراجك في هذه السنة فخرج الرجل وهو يدعو له ويشكر * اخبرني القاضي ابو طالب محمد بن احمد بن اسحق بن البهلول التنوخي فيما اجاز لي رواية

عنه بعد ما سمعته منه قال حدثنا محمد بن خلف قال حدثني أبو سهل الداري القاضي قال حدثنا أبو حسان الزيادي القاضي قال جاءني رجل من اهل خراسان فاود عني بدرة دراهم فأخذتها مضمونة وأسرعت فيها وكان قد عزم على الخروج الى مكة ثم بداله فعاود فطلبها فاغتممت وقلت له تعود غدا ثم فزعت الى الله عز وجل ودعوته ثم ركبت بغلتي في الغلس وأنا لا أدري أين أتوجه وعبرت الجسر وأخذت نحو المخرم وما في نفسي أحد أقصده فاستقباني رجل راكب فقال اليك بعثت فقلت ومن بعثك قال دينار بن عبدالله فأتيته وهو جالس فقال لي ما حالك فقلت وما ذاك فقال نمت الليلة فأتاني آت فقال لي اغث ابا حسان فحدثته بحديثي فدعا بعشرين الف درهم فدفعها الي فرجعت فصليت في مسجدي الغداة فجاء الرجل فقضيته وأنفقت الباقي ٥ ووقع لي هذا الخبر من طريق آخر باسانيد قالوا حدثنا ابو حسان الزيادي قال اضقت اضاقة بلغت منها الغاية حتى ألح علي القصاب والبقال والخباز وسائر المعاملين ولم تبق لي حيلة واني ليوم من الايام على تلك الحال وأنا مفكر فيما اعمل اذ دخل على غلامي فقال حاجبي بالباب يستأذن فقلت له ائذن له فدخل رجل خراساني فسلم وقال ألست ابا حسان فقلت نعم فماحاجتك قال أنا رجل غريب وأريد الحج ومعي جملة مالي وقد احضرته في بدرة معي وهو عشرة آلاف درهم وأنا محتاج ان يكون قبلك حتى اقضي حجي وارجع فآخذه اذ كنت غريباً بهذه البلد لا أعرف به أحداً فقلت هات البدرة فأحضرها ووزن ما فيها وختمها فلما خرج فككت الختم على المكان ثم احضرت المعاملين فقبضت كل من كان له عندي دين واتسعت وأنفقت وقلت اضمن هذا المال للخراساني فالى أن يجيء يأتي الله بفرج من عنده فكنت يومي ذلك في سعة ولست أشك في خروج الخراساني الى الحج فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل الى الغلام فقال الخراساني الذي كان عندك أمس بالباب فقلت ائذن له فدخل اليّ فقال اني كنت عازماً على ما أعلمتك به ثم ورد علي الخبر بوفاة والدي وقد عزمت على الرجوع الى بلدي فتأمر لي بالمال الذي اعطيتك أمس

فورد على أمر لم يرد عليّ مثله قط وتحيرت فلم أدر بماذا اجيبه وتفكرت ما ذا اقول للرجل ان جحدته قدمني واستحلفني فكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة والهتك وان دافعته صاح وهتكني فقلت نعم عافاك الله منزلي هذا ليس بالحريز ولما أخذت مالك وجهت به الى من هو قبله فتعود في غد فتأخذه فانصرف وبقيت متحيراً لا أدري ما اصنع وغلظ عليّ الامر جداً فأدركني الليل وفكرت في بكور الخراساني فلم يأخذني نوم ولم أقدر على الغمض فقمت الى الغلام وقلت له اسرج لي البغلة فقال يا مولاي هذه العتمة بعد وما مضي من الليل شيء فالى اين تمضي فرجعت الى الفراش فاذا النوم ممتنع علي فلم ازل اقوم الى الغلام وهو يردني حتى فعلت ذلك ثلاث مرات وانا لا يأخذني القرار حتى طلع الفجر واسرج الغلام البغلة وأقبلت افكر وهي تسير حتى بلغت الجسر فعدلت بي اليه فتركتها فعبرت ثم قلت الى اين اعبر ولكن ان رجعت وجدت الخراساني على بابي فأدعها تمضي حيث شاءت فلما عبرت الجسر أخذت بي يمنة دار المأمون فتركتها ومرت فلم أزل كذلك الى ان قربت من دار المأمون والدنيا بعد مظلمة واذا بفارس قد تلقاني ونظر في وجهي ثم سار وتركني ثم رجع الي وقال ألست ابا حسان الزيادي قلت نعم قال بعثت اليك فقلت وما تريد يرحمك الله ومن بعثك الي فقال الامير الحسن بن سهل فقلت في نفسي ما يريد مني ثم قلت فها انا ذا أمضى اليه فمضى حتى استأذن لي عليه فدخلت عليه فقال ابا حسان ما خبرك وكيف حالك ولم انقطعت عنا قلت لاسباب وذهبت اعتذر من التخلف فقال دع ذا عنك انت في لوثة وأمر ما هو فاني رأيتك البارحة في النوم في تخليط كثير فابتدأت فشرحت له قصتي من أولها الى آخرها الى ان لقيني صاحبه ودخلت عليه فقال لا أغمك الله يا ابا حسان قد فرج الله عنك هذه بدرة للخراساني مكان بدرته وبدرة أخرى تتسع بها فاذا نفدت أعلمنا فرجعت من ساعتي فقضيت دين الخراساني واتسعت بالباقي وفرج الله عز وجل عني ٥

وحدثني بهذا الحديث أبو الفرج محمد بن محمد بن جعفر قال حدثنا أبو القاسم علي

ابن محمد بن أبي حسان الزيادي وكان محدثاً ببغداد ثقة مشهوراً قال حدثني أبي عن ابيه قال كنت وليت القضاء من قبل أبي يوسف القاضي رحمه الله ثم صرفت وتعطلت وضقت اضاقة شديدة وركبني دين فادح لخباز وبقال وقصاب وعطار وبزاز وغيرهم حتى قطعوا معاملتي لكثرة مالهم علي وتأبتهم من ان أقضيهم فتضاعفت اضاقتي واشتدت حيلتي فاني يوماً في مسجدي قد صليت بأهله الغداة ثم أقبلت ادرس اصحابي الفقه اذ جاءني رجل خراساني وذكر الحديث علي نحو ما ذكره طلحة الا انه قال فلما بلغت بغلتي مربعة الجسر استقباني موكب فيه من الشموع والنفاطات ما اضاء منه الطريق فصار كالنهار فطلبت زقاقاً استخفي فيه حتى يجوز الموكب فلم أجد فاذا رجل من أهل الموكب يقول أبو حسان فتأملته فاذا هو دينار بن عبدالله فسلمت عليه فقال اليك جئت ارسل أمير المؤمنين الي الساعة وأمرني ان أركب اليك بنفسي وأحضره اياك قال وأدخلني على المأمون فقال قصتك فاني رأيتك في منامي البارحة وأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم باغاثتك قال فحدثته بحديثي فقال المأمون اعطوا أبا حسان ثلاث بدر وولاني الري وأمرني بالخروج اليها قال فعدت وما طلع الفجر فلما كان وقت صلاتي في مسجدي خرجت فاذا الخراساني فلما قضيت الصلاة أدخلته الدار وأخرجت البدر فلما رآها قال ماهذا فقصصت عليه الحديث وأعطيته بدرة فأخذها وانصرف ٭ وذكر محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء في اخبار دينار بن عبدالله أن رسوله لقي أبا حسان في طريقه فقال له قسمت شيئاً علي عيالي فذكرت عيالك فأنفذت اليك عشرة آلاف درهم فأخذها ورجع من الطريق وباكره الخراساني فأعطاه اياها كلها لانه كان أنفق جميع مال الخراساني ثم عاد من غد الى دينار فعرفه وشكره وعرفه الحديث فقال فكأنما قضينا دين الخراساني ثم أمر له بعشرة آلاف درهم أخرى ولم يذكر ابن عبدوس في خبره ذكر المنام ولا المأمون ٭ وحدثني ابي هذا الحديث في المذاكرة قال حدثني شيخ ذكره أبي وأنسيته أنا عن أبي حسان الزيادي بنحو ما ذكره محمد بن جعفر في حديثه الا انه قال فيه ان الخراساني

قال في حديثه لابي حسان ان رجع الحجاج ولم ترني قد رجعت اليك فاعلم انى قد هلكت والبدرة هبة مني اليك وان رجعت فهي لي ثم يتقارب لفظ الحديثين الى ان اقيه في الجانب الشرقي قوم فلما رآهم تنحى عن طريقهم فلما رأوه بطيلسان بادروا اليه وقالوا له أتعرف منزل رجل يقال له أبو حسان الزيادي فقال أنا هو فقالوا له أجب أمير المؤمنين وحمل فدخل على المأمون فقال له من أنت قال رجل من اصحاب أبي يوسف القاضي من الفقهاء قال بأي شيء تكنى قال بابي حسان قال بمن تعرف قال فقلت بالزيادي واست منهم انما سكنت بينهم فنسبت اليهم فقال قصتك فشرحت له خبري قال فبكى بكاء شديداً ثم قال ويحك ما تركني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنام الليلة بسببك اذ أتاني في أول الليل فقال أغث أبا حسان الزيادي فانتبهت ولم أعرفك وأثبت اسمك ونسبك ونمت فاتاني فقال كمقالته فانتبهت منزعجاً ثم نمت فاتاني وقال ويحك أغث أبا حسان فما تجاسرت على النوم وأنا ساهر منذ ذلك الوقت وقد بثثت الناس في طلبك ثم اعطاني عشرة آلاف درهم فقال هذه للخراساني ثم اعطاني عشرة آلاف درهم اخرى فقال اتسع بها وأصلح أمرك وأعمر دارك واشتر مركباً سريا وثياباً حسنة وعبداً يمشي بين يدي دابتك ثم اعطاني ثلاثين الف درهم فقال جهز بناتك بهذه وزوجهن فاذا كان يوم الموكب فصر الي لاقلدك عملاً وأحسن اليك قال فخرجت والمال محمول معي فجئت الى مسجدي فصليت الغداة والتفت فاذا الخراساني فادخلته الي البيت واخرجت بدرة فقلت خذ هذه فلما رآها قال ليس هي عين مالي فقلت نعم فقال ما سبب هذا الامر فقصصت عليه القصة فبكى وقال والله لو صدقتني في اول الامر عن خبرك ما طلبتك بها وأما الآن فوالله لا دخل مالي شيء من مال هؤلاء وأنت في حل وقام فانصرف فاصلحت أمري وبكرت يوم الموكب الى باب المامون فادخلت عليه وهو جالس جلوساً عاماً فلما مثلت بين يديه استدناني ثم اخرج عهداً من تحت مصلاه فقال هذا عهدك على قضاء المدينة الشرقية من الجانب الغربي من مدينة السلام وقد أجريت عليك في كل شهر

كذا وكذا فاتق الله تدم لك عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فعجب الناس من كلامه وسألوني عن معناه فاخبرتهم الخبر فانتشر فما زال أبو حسان قاضى المدينة الشرقية الى ان مات في آخر أيام المامون ٭ أخبرنى محمد بن الحسن ابن المظفر عن بعض اهاشميين قال حبس المهدى يعقوب بن داود وزيره فطال حبسه قال فاتانى آت في منامي فقال قل يا رفيق يا شفيق أنت ربي الحقيق ادفع عني الضيق انك على كل شيء قدير . فما شعرت الا والابواب تفتح فادخلت على الرشيد فقال اتاني الذى اتاك فاحمد الله عز وجل وخلى سبيلي ٭ وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا بروايات مختلفة قالوا حدثنا عبدالله بن يعقوب بن داود قال قال لى أبى حبسني المهدى في بئر وبنيت عليها قبة فكنت فيها خمس عشرة سنة حتى مضى صدر من خلافة الرشيد وكان يدلى الى في كل يوم رغيف وكوز ماء وأوذن باوقات الصلاة فلما كان رأس سنة ثلاث عشرة حجة اتانى آت في منامي فقال

حنا علي يوسف رب فأخرجه من قعر جب و بئر حوله غمم

قال فحمدت الله تعالى وقلت أتى الفرج قال فمكثت حولا آخر لا أرى شيئاً فلما كان في رأس الحول الرابع عشر أتانى ذلك الآتي فقال لى

عسى فرج يأتي به الله انه له كل يوم في خليقته أمر

ثم اقمت حولا آخر لا أرى شيئاً ثم اتاني الآتي بعد الحول فقال لى

عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
فيأمن خائف ويفك عان ويأتي أهله الرجل الغريب

قال فلما اصبحت نوديت فظننت اني أوذن بالصلاة فدلي الى حبل وقيل لي شد به وسطك ففعلت واخرجوني فلما تأملت الضوء غشي على بصري فانطلقوا بي الى الرشيد فقيل لي سلم على أمير المؤمنين فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدي قال لست به فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الهادي قال لست به قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته الرشيد فقال الرشيد يا يعقوب بن

داود ما شفع فيك احد غير اني حملت الليلة صبية لي على عنقي فذكرت حملك اياي على عنقك فرثيت لك من المحل الذي كنت فيه وأخرجتك قال واكرمني وقرب مجلسي ثم ان يحيى بن خالد تنكر لي كانه خاف على ان أغلب على أمير المؤمنين دونه فحفته فاستأذنت في الحج فأذن لي ثم لم يزل مقيماً بمكة حتى مات بها ٭ وجدت في بعض الكتب ان المهدي استحضر صاحب شرطته ليلاً وقد انتبه من منامه فزعا مرعوباً فقال ضع يدك على رأسي واحلف بما استحلفك به فقال هي تقصر عن رأس أمير المؤمنين ولكن علي وعلي وحلف بايمان البيعة انني امتثل ماتأمرني به فقال سر الى المطمرة واطلب فلاناً العلوي الحسيني فاذا وجدته فاخرجه وخيره بين الاقامة عندنا مطلقاً مكرماً محبوراً أو الخروج الى أهله فان أراد الخروج قدت اليه كذا وكذا وان أراد المقام أعطيته كذا وكذا وهذه توقيعات بذلك قال فأخذتها وصرت الى من ازاح علتي في الجميع وصرت الى المطبق فطلبت الفتى فأخرج الي وهو كالشن البالي فعرفته أمر أمير المؤمنين وعرضت عليه الحالين فاختار الرجوع الى أهله بالمدينة فسلمت اليه الصلات والحملان فلما جاء ليمضي قلت له بالذي فرج عنك هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين الى اطلاقك قال اي والله كنت الليلة نائماً فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي كانه أيقظني وقال أي بني ظلموك قلت نعم يارسول الله قال قم فصل ركعتين وقل بعدهما ياسابق الفوت و ياسامع الصوت و ياناشر العظام بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد واجعل لي فرجاً ومخرجاً انك تعلم ولا أعلم وتقدر ولا اقدر وأنت علام الغيوب يا أرحم الراحمين قال فوالله لقد قمت وفعلت ذلك ومازلت اكررها حتى دعوتني قال فحمدت الله عز وجل على توفيقي في مسألته وعدت الى المهدي وحدثته بالحديث فقال ويحك صدقك والله كنت نائماً في فراشي فرأيت في منامي زنجياً بعمود حديد قائماً على رأسي يقول لي اطلق فلاناً العلوي الحسيني والا قتلتك فانتبهت فزعاً فوالله ماجسرت على العود الى النوم حتى جئتني باطلاقه ٭ أخبرني أبو بكر محمد بن يحيى الصولي عن أحمد بن يزيد

المهلبي قال كنا ليلة بين يدي المعتمد فحمل عليه النبيذ فجعل يخفق برأسه نعاساً فقال لا يبرحن أحد ثم نام مقدار نصف ساعة وانتبه وكانه ماشرب شيئاً فقال احضروا لي من الحبس رجلا يعرف بمنصور الجمال فاحضر فقال له منذكم انت محبوس فقال منذ ثلاث سنين قال فاصدقني عن خبرك قال أنا رجل من أهل الموصل كان لي جمل اعمل عليه وأعود بكرائه على أهلي فضاق الكسب علي بالموصل فقلت أخرج الى سر من رأى فان العمل ثم أكثر فخرجت فلما قربت منها اذا جماعة من الجند قد ظفروا بقوم يقطعون الطريق وكتب صاحب البريد بعددهم وكانوا عشرة فأعطاهم واحد من العشرة مالاً على ان يطلقوه فاطلقوه وأخذوني مكانه وأخذوا جملي فسألتهم بالله عز وجل وعرفتهم خبري فأبوا ثم حبسوني فمات بعض القوم وأطلق بعضهم وبقيت وحدي فقال المعتمد احضروني خمسمائة دينار فجاؤا بها فقال ادفعوها اليه واجري عليه ثلاثين ديناراً في كل شهر وقال اجعلوا أمر جمالنا اليه ثم أقبل علينا فقال رأيت الساعة النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا احمد وجه الساعة الى الحبس واخرج منصورا الجمال فانه مظلوم وأحسن اليه ففعلت ما رأيتم قال ثم نام من وقته وانصرفنا ووقع الى هذا الخبر بطريق آخر بأتم من هذه الرواية باسناد غير هذا قال كان المعتمد مع سماحة اخلاقه وكثرة جوده شديد العربدة على ندمائه اذا سكر لا يكاد يسلم له من العربدة مجلس الاقل قال فاشتهي يوماً ان يطبخ الاترج فجمع له شيء كثير مفرط العدة وعبي وحزم بعضه فاطبخ عليه فما ترك شيئاً من الخلع والحملانات والصلات الا عمله ذلك اليوم مع جلسائه وخصني منه بأوفر نصيب وكان كثير الشرب وكانت علامته اذا أراد ينهض جلساؤه التفت الى سرير اطيف كان اذا جلس استند اليه ويشيل برجله كانه يريد ان يصعد فيقوموا فان كان يريد النوم صعده وان لم يرد النوم رد رجله اذا قمنا ويتم شربه اما مع الحرم أو الخدم فلما كان ذلك اليوم جلسنا بحضرته نهارنا أجمع وقطعة من الليل ثم شال رجله فقمنا وانصرفت الى حجرة موسومة كانت لي فلما انتصف الليل اذا بخدم يدقون باب

حجرتي فانتبهت مرعوباً فقالوا أجب أمير المؤمنين فقمت وقلت انا لله وانا اليه راجعون قد مضى يومنا و بعض ليلتنا أحسن مضي وقدرت اني افلت من عربدته وقد عن له أن يعربد عليّ فاستدعاني لهذا ولم أزل افكر كيف اشاغله عن العربدة الى ان صرت بحضرته فلما رآني قائماً لم يستجلسني وقال يا غلام صاحب الشرطة فزدت جزعاً وقلت لم تجرعادته في العربدة باستدعاء صاحب الشرطة وما هو الا لبلية احتيل بها على عنده فاقبلت أنظر اليه واجتهد أن يفاتحني بكلمة فأداريه بالجواب وهو لا يرفع رأسه من الارض الى ان جاء صاحب الشرطة فرفع رأسه وقال في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الجمال احضرنيه الساعة فمضى ليحضره فسهل عليّ الامر قليلاً ووقفت وهو لا يخاطبني الى ان حضر الرجل فقال له المعتمد من انت قال انا فلان بن فلان الجمال قال وما قصتك قال انا محبوس ظلماً منذ كذا وكذا سنة وذاك اني رجل من اهل الجبل وكان لي جمال اعيش من فضل اجرتها وكان يتقلدنا فلان الامير فاستدعى الى الحضرة فاخذ جمالي غصباً يستعين بها في حمل سواده فتظلمت اليه وضججت فلم ينصفني وقال اذا صرت بالحضرة رددت جمالك فخرجت لئلا تذهب جمالي اصلاً فكنت مع جمالي اخدمها في الطريق فلما قربت من حلوان سل الاكراد منها جملاً محملاً فبلغه الخبر فاحضرني وقال انت سرقت الجمل بما عليه فقلت غلمانك يعلمون ان الاكراد سلوه فقال الاكراد انما جاؤه بمواطأة منك ثم أمر فضربت ضرباً عظيماً وقيدت وطرحت على بعض جمالي فلما وردت الحضرة انفذت الى الحبس وتملك الجمال ولم يكن لي متظلم ولا مذكر فطالت بي المحنة الى الآن فقال لبعض الخدام امض الساعة الى فلان يعني الامير واقعد على دماغه ولا تبرح او يرد على هذا جماله أو قيمتها على ما يدعي الجمال فاذا اقبض ذلك فاحمله الى الخزانة واكسه كسوة حسنة وادفع اليه كذا وكذا ديناراً واصرفه الى شأنه ثم في حبسك رجل يعرف بفلان بن فلان الحداد قال نعم قال هاته الساعة فاحضره فاحضر فقال ما قصتك فقال انا رجل حبست بظلم منذ كذا وكذا قال ما كان سبب ذلك فقص عليه قصة طويلة فقال لصاحب

الشرطة خل عنه وقال لخادم آخر خذه فغير حاله وا كسه وادفع اليه كذا وكذا دينارًا وقال لصاحب الشرطة انصرف ثم رفع رأسه وقال يا ابن حمدون الحمد لله الذي وفقني لهذا الفعل ففرج عني فقلت وكيف تكلف امير المؤمنين النظر في هذا بنفسه في مثل هذا الوقت فقال ويحك اني رأيت الساعة رجلاً في منامي يقول في حبسك رجلان مظلومان يقال لاحدهما فلان بن فلان الجمال والآخر فلان ابن فلان الحداد فاطلقهما الساعة وانصفهما من خصومهما واحسن اليهما فانتبهت مذعورًا ثم نمت فما استثقلت حتى رأيت الشخص بعينه فقال ويلك آمرك أن تطلق رجلين مظلومين في حبسك قد طال مكثهما وتحسن اليهما فلا تفعل وترجع الى نومك لصممت ان اوجعك وكان يمد يده الي فقلت يا هذا من أنت قال محمد رسول الله فكأني قد قبلت يده وقلت يارسول الله ماعرفتك ولو عرفتك ماتجاسرت على النوم ولا على تأخير أمرك فقال قم فافعل في أمرهما الساعة ما أمرتك به فانتبهت واستدعيتك لتشاهد ما يجري فقلت هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم واهتمام لامير المؤمنين بما أصح دينه وثبت ملكه ومنة عظيمة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم فليشكر الله تعالى أمير المؤمنين وليكثر من الصدقة فقال امض فقد أزعجتك فعدت الى حجرتي فلما كان من غد عشيا دخلت اليه وهوجالس على الرسم للشرب فأحببت أن اعرف الجلساء ماجرى ليس هو بذلك وكنت أعرف من طبعه انه يحب الاطراء والمدح ونشر ماهذا سبيله اذا عمل جميلاً اكثر من ذكره ويتبجح به وان كان صغيرًا فقلت أرى أمير المؤمنين لم يخبر خدمه بما كان من المعجزة البارحة من أمر صاحب الشرطة والجمال والحداد ورؤياه النبي صلى الله عليه وسلم وما أمره به وما تقدم به الى أمير المؤمنين من انصافهما والاحسان اليهما فقال والله ما أذكر من هذا شيئاً وما كنت الا سكرانا نائماً طول ليلتي ما انتبهت فقلت ياسيدي فتنكر وقال يا ابن حمدون اتغالطني وتخادعني بالكذب فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله هذا أمر مشهور في الدار عند الخدم الخاصة فقال من كان حاضرًا قلت فلان الخادم فلان صاحب الشرطة

واقتصصت القصة وشرحتها فاستدعي الخدم فحدثوه بمثل ذلك فأظهر عجباً شديداً وحلف بالله عز وجل وبالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأنه نفي من العباس بن عبد المطلب انه لم يذكر من هذا كله شيئاً ولا يعلم الا انه كان نائماً ولا رأى مناماً ولا انتبه ولا جلس ولا استدعى أحداً ولا أمر بأمر فما رأيت بأعجب من المنام والحال ولا أظرف من نسيانه ذلك * ووجدته في بعض الكتب على قريب من هذه الالفاظ الا انه ليس فيه حديث الاترج وذكر فيه أن الجمال كان يسمى نصراً وان قصته انه كان من أهل نها وندوله جمال يكريها فاكتري عامل المعونة منها عشرين جملاً وحمل عليهم عشرين رجلاً من الاكراد أسرى ليحملهم الى الحضرة فسار الجمال فهرب في بعض الطريق واحد من جماله فوقع لصاحب المعونة ان نصرا الجمال هربه فقيده وحمله مكانه فلما دخلوا الحضرة أنفذ الجمال مع القوم الى الحبس وأخذ صاحب المعونة جماله * وان قصة الحداد انه كان رجلاً من أهل الشام وكانت له نعمة فزالت عنه فهرب من بلده فانصلت محنته الى ان وافي الحضرة طالباً للتصرف فتعذر عليه حتى تلف جوعاً فسأل عن عمل يعمله ليلاً بيديه ليتوفر نهاراً عن طلب التصرف وينفق من أجرة مايكسبه ليلاً فأرشد الى حداد يعمل بالليل فقصده فاستأجره بدرهم في كل ليلة فكان يعمل معه هو وغلام آخر يضربان بالمطرقة فأفسد ذلك الغلام على الحداد نعلا كان يطرقها فاغتاظ عليه فرماه بالنعل الحديد فوقعت على قلبه فتلف في الحال فهرب الحداد وبقيت أنا في الموضع متحيراً لا أدري أين امضي وأحس الحارس بما أنكره في الدكان فهجم فوجد الغلام ميتاً ووجدني قائماً فلم يشك اني القاتل فقبض علي فحبست ثم تتقارب الروايتان * وحدثني أبو محمد الصلحي قال حدثني أبو بكر محمد ابن علي المارداني بمصر وكان شيخاً جليلا عظيم الحال والنعمة والجاه قديم الرياسة والولايات الكبار للاعمال وقد وزر لخمارويه بن احمد بن طولون وتقلد مصر مرات وعاش نيفاً وتسعين سنة ومات في سنة نيف وأربعين وثلاثمائة قال لما كتبت لخمارويه كنت حدثاً فركبني الاشغال وقطعني ترادف الاعمال عن تصفح احوال

المتعطلين وكان ببابي شيخ من شيوخ الكتاب قد طالت عطلته وقد غفلت عن تصريفه فرأيت ليلة في منامي أبي وكانه يقول ويحك يابني أما تستحي من الله عز وجل ان تتشاغل بأعمالك والناس ببابك يتلفون ضرًا وهزالاً هذا فلان من شيوخ الكتاب وقد أفضى أمره الى ان تقطع سراويله وما يمكنه ان يشتري بدلها انظر ان لا تغفل أمره أكثر من هذا فانتبهت متعجباً واعتقدت الاحسان الى الشيخ من غد ونمت وأصبحت وقد أنسيت أمره فركبت الى دار خمارويه واذا بالرجل على دوبية له ضعيفة ثم أومي الى الترجل فانكشف فاذا هو لابس خفاً بلا سراويل فحين وقعت عيني عليه ذكرت المنام وقامت قيامتي فوقفت في موضعي واستدعيته وقلت ياهذا ماحالك وما صنعت بنفسك في ترك اذكاري أمرك ما كان في الدنيا من يوصل الي رقعة أو يخاطب في أمرك الآن قد قلدتك الناحية الفلانية وعينت لك رزقها وهو في كل شهر مائتا دينار وأطلقت لك من خزانتي الف دينار معونة وأمرت لك من الثياب والحملان بكذا وكذا فاقبض ذلك واخرج فان حسن أثرك في عملك زدتك وفعلت بك وصنعت قال وضممت اليه من ينجز له ذلك * حدثني أبو الحسن احمد بن يوسف بن يعقوب بن البهلول التنوخي قال خرج أخي أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه ابا يعقوب اسحاق بن يوسف وهو حينئذ بمصر ومعه زوجة كانت لابي يعقوب ببغداد وصبية منها فلما عاد حدثني انه سلك في قافلة كبيرة من هيت على طريق السماوة يريد دمشق قال فلما حصلت في اعماق السماوة اخفرتنا خفراؤنا وجاء قوم من الاعراب ظاهروهم علينا وأظهروا انهم من غيرهم وقطعوا علينا واستاقوا ركابنا وبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذي كنا نزلنا عليه بلا جمل ولا زاد فأيسنا من الحياة فقلت للناس ان الموت لا بد منه على كل حال أقمنا في مكاننا أو سرنا ولأن نسير في طلب الخلاص فلعل الله سبحانه وتعالى يرحمنا ويخلصنا أولى من ان نموت هاهنا وان متنا في سيرنا كان أعذر فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وانا أحمل الصبية بنت اخي لان امها عجزت عن حملها ولما طال الطريق ولم نر محجة ولا انساناً

احسسنا بالهلاك ومات منا قوم قال وأنا في خلال ذلك قد بدأت بخثمة وأنا متشاغل بها و بالدعاء الى أن وقعنا في اليوم الثالث على حلة اعراب فانكرونا فلم اعمل أنا عملاً حتى ولجت بيت امرأة منهم وأمسكت ذيلها وكنت سمعت ان هذا اذا عمله الانسان فهو آمن من شرهم وقد وجب حقه عليهم قال فتفرقنا في بيوتهم واختلف أحوال الناس فأما أنا فان صاحب البيت الذي انزلت عليه لما رأى هيبتي ودرسي للقرآن وأني لم ازل احادثه وأرفق به قال لي ما تشاء قلت تركبني وهذه المرأة وهذه الطفلة راحلة لك وتسير معي الى دمشق حتى أعطيك ثمن راحلتك واهبها لك واقضي حقك بعد هذا فتذمم واستحيا وقدرت اني اذا دخلت الى دمشق وجدت بها من اصدقاء أخي من آخذ منه ما اريده فكساني الاعرابي وكسا المرأة والصبية ووطأ لي راحلة ولها راحلة وحمل معنا من الزاد والماء ما يكفينا وركب معنا راحلة وكان اكثر من وصل معنا الى ذلك الموضع قد تأتى له مثل ما تاتي لي قال فسرنا ونحن رفقة صالحة العدد فلما كان بعد أيام شارفنا دمشق مع طلوع الشمس فاذا اهلها قد طلعوا يستقبلون الناس وكل من له صدق او معرفة يسأل عنه وقد بلغهم خبر القطع فما شعرت الا وانسان يسأل عن كنيتي ونسبتي فقلت ها أناذا فعدل الي فقال انت أبو محمد بن الازرق الانباري قلت نعم فقام الي فاخذ بخطام راحلتي وتبعني الاعرابي برواحله حتى دخلنا مع الرجل الى دمشق فجاء بنا الى دار حسنة تدل على نعمة حسنة فأنزلنا فلم أشك في أنه صديق لاخي فنزلت والاعرابي وأخذت جمالنا وادخلنا الحمام والبست خلعة نظيفة وفعل بالمرأة والصبية كذلك وأقمت يومي وغده في خفض عيش لا اسأله عن شيء ولا يسألني فلما كان في اليوم الثالث قال لي ماصورة هذا الاعرابي فأخبرته بما اخذنا منه فقال خذ ما تريد من الدنانير فقلت كذا وكذا دينارًا فاعطانيها فدفعتها الى الاعرابي وسلمت اليه الجمال وسألت الرجل ان يزوده زادًا لا يكون مثله في البادية فأخرج له شيئاً كثيرًا وخرج الاعرابي شاكرًا فقال الرجل أين تريد الآن من البلاد و كم يكفيك من النفقة فلما قال لي ذلك ارتبت به وقلت لو كان

هذا من أصدقاء اخى الذين كاتبهم بتفقدي لكان قد علم مقصدي فقلت له كم كاتبك أخي ان تعطيني قال ومن أخوك فقلت أبو يعقوب بن الازرق الكاتب الانباري المقيم بمصر قال والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه فورد علي أعجب مورد فقلت يا هذا اني ظننتك صديقاً له وان ما عاملتني به من الجميل بسببه فانبسطت اليك بالطلب ولو لم اعتقد هذا لانقبضت فما السبب فيما عاملتني به قال أمر هو أوكد من امر أخيك يجب ان يكون انبساطك به أتم فقلت ما هو قال ان خبر الوقعة بالقافلة التي كنت فيها بلغنا في يوم كذا وكذا فما بقي بدمشق أحد الا وردت عليه مصيبة عظيمة اما بذهاب مال او بغم على صديق غيري فانه لم يكن لى بشيء من ذلك تعلق واستعد الناس للخروج الى تلقى المنقطعين واصلاح أحوالهم ولم اعزم أنا فلما كان في الليل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وكانه يقول لى أدرك أبا محمد الازرق الانباري فأغثه وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده فلما أصبحت خرجت مع الناس اسأل عنك فكان ما رأيت فهات فاذكر الآن ما تريده قال فبكيت بكاء شديداً لم اقدر معه على خطابه مدة ثم نظرت ما يبلغني مصر فطلبته منه وأخذته وأصلحت أمري وسألت الرجل عما يعرف به فقال انا فلان بن فلان الصابوني ذكره ابو محمد وأنسيه أبو الحسن فلما بلغت الى مصر حدثت أخي بالحديث فتعجب منه وبكى وقال ابو الحسن وضرب الدهر من ضربه وورد أخي ابو محمد الى بغداد بعد سنين كثيرة فتذاكرنا هذا الحديث فقال لى لما عرفني اخي أبو محمد ما عامله به ابن الصابوني الدمشقي جعلته صديقاً وكنت اكاتبه فلما وردت الى دمشق وجدت حال الرجل قد اختلفت بمحن لحقته فوهبت له ضيعتي بدمشق وكانت جليلة الغلة والقيمة وسلمتها اليه مكافاة على ما فعل وعامل به اخي أبا محمد ه قال محمد بن عبدوس في كتاب الوزراء حدثني الحسين بن على الباطفائي قال حدثني أبى قال قال احمد بن المدبر لما أمر محمد بن عبد الملك بحبسي ادخلت محبساً فيه احمد بن اسرائيل وسليمان بن وهب وهما يطالبان قال فجعلت في بيت ثالث وكنا نتحدث ونا كل جميعاً وربما أدخل الينا

النبيذ فنشرب وكان احمد بن اسرائيل شديد الجبن وكان ينكر علينا ويمنعنا ان نتحدث بشيء أو نرجو لانفسنا فجاءني يوماً سليمان بن وهب فقال رأيت البارحة في نومي كأن قائلا يقول لي يموت الواثق الى ثلاثين ليلة فقم بنا الى ابى جعفر حتى نحدثه فقلت والله لئن سمع أبو جعفر هذا ليشقن ثوبه وليسدن اذنه فقال لى قم على كل حال فقمنا فدخلنا عليه فاخبره سليمان بالخبر فقال يا هذا أنت أحسن الناس واشدهم تحننا على نفسك وعلينا وانما تريد ان يشيع هنا فنقتل فقال له فتكتب هذه الرؤيا عندك لنمتحن صدقها فنفر وقال أنا لا اكتب مثل هذا فكتبت انا في رقعة صغيرة اليوم فلما جاز يوم الثلاثين دخل الى احمد بن اسرائيل فقال لى يا أبا الحسن هذا يوم الثلاثين فاخرجت الرقعة فاذا هو قد حفظ اليوم قال ومضي يومنا الى آخره فلما كان في الليل لم نشعر بالباب الا وقد دق دقاً شديداً وصاح بنا صائح البشرى قدمات الواثق واخرجوا فقال احمد قوموا بنا فقد حقق الله الرؤيا وأتى بالفرج فقال سليمان بن وهب كيف نمشي مع بعد منازلنا ولكن نوجه من يجيئنا بما نركب فاغتاظ احمد بن اسرائيل وقال نعم نقعد حتى يجلس خليفة آخر ويقال له في الحبس جماعة من الكتاب عليهم أموال فيأمر بالتوثق بنا الى أن ينظر في أمرنا قم عافاك الله تعالى حتى نخرج فخرج وخرجنا على أثره فقبل ان نخرج من باب الهادوني رأينا رجلين يقول أحدهما لصاحبه سئل أمير المؤمنين جعفر عمن في الحبس فقيل له جماعة من الكتاب فقال يكونون فيه الى ان ينظر في أمورهم فجدينا في السير وقصدنا غير منازلنا فاستترنا وبحثنا عن الاخبار فبلغنا اقرار الخليفة محمد بن عبد الملك فكتبت اليه رقعة عن جماعتنا نعرفه خبرنا واتساع آمالنا ونستأذن فيما نفعل فلما وصلت اليه وقع على ظهرها ولم استخفيتم وليس منكم الا من عنايتي تخصه ورأيي فيه جميل اما أبو أيوب فقد تكلم في أمره أبو منصور ايناخ واستوهبه فوهبته له وأمرت باحضاره ليخلع عليه فليحضر وأما أبو جعفر فانه طولب بما ليس يلزمه وقد وضحت حجته في بطلانه فليصر الى وأما ابو الحسن فانه قذف بباطل فاظهروا جميعاً واثقين بما عندي من

حياطتكم ورعاية حرماتكم فصرنا اليه جميعاً وزال عنا ما كنا فيه وخلع على سليمان ابن وهب خاصة قال وفي هذه الحبسة كتب سليمان بن وهب الى أخيه الحسن ابن وهب فيما حكاه محمد بن داود

هل رسول وكيف لي برسول ... ان ليلي ان نمت حد طويل
هل رسولا الى أخي وشقيقي ... ليت اني مكان ذاك الرسول
ياأخي لو ترى مكاني في الحبـ ... ـس وحالي وزفرتي وعويلي
وعثاري اذا أردت قياماً ... وقعوداً في مثقلات الكبول
لرأيت الذي يغمك في الاء ... داء اذ يسلكوا جميعاً سبيلي
هذه جملة أراني غنياً ... معها عن أداك بالتفصيل
ولعل الاله يأتي بصنع ... وخلاص وفرجة عن قليل

وذكر أبياتاً أخر تماماً لهذه الابيات لم أذكرها لانها ليست من هذا المعنى ثم قال وقد ذكر محمد بن داود في كتابه المسمى كتاب الوزراء من أمر خروج سليمان بن وهب من حبس الواثق غير هذا وتركت ذكره واعادته ه حدثني علي ابن محمد الانصاري الخطمي قال حدثني أبو عبدالله الحسن بن محمد السمري كاتب الديوان بالبصرة قال كان أبو محمد المهلبي في وزارته قد قبض علي بالبصرة وطالبني فأطال حبسي حتى آيست من الفرج فرأيت ليلة في المنام كأن قائلاً يقول اطلب من ابن الزاهبوني دفترًا قديماً خلقا عنده على ظهره دعاء فادع الله به فانه عز وجل يفرج عنك قال فكان ابن الزاهبوني صديقاً لي من أهل ثناة واسط وهو بالبصرة فلما كان من غد قلت له عندك دفتر على ظهره دعاء فقال نعم فقلت فجئني به فجاءني به فرأيت على ظهره مكتوباً اللهم انت انت انقطع الرجاء الا منك وخابت الآمال الا فيك صل على محمد وعلى آل محمد ولا تقطع اللهم رجائي ولا رجاء من يرجوك في شرق الارض وغربها ياقريباً غير بعيد ياشاهداً لا يغيب و ياغالباً غير مغلوب اجعل لى من امري فرجاً ومخرجاً وارزقني رزقاً واسعاً من حيث لا احتسب انك علي كل شيء قدير قال

فواصلت الدعاء بذلك فما مضت الا مدة يسيرة حتى وجه المهلبي فأخرجني من الحبس وقلدني الاشراف على احمد بن محمد الطويل في اعماله باسافل الاهواز ٭ حدثني أبو الربيع سليمان بن داود وكانت جدته تعرف بشمسة قهرمانة كانت في دار القاضي ابي عمرو محمد بن يوسف رحمه الله قال كان في جوار القاضي قديماً رجل انتشرت عنه حكاية وظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل وكنت اسمع ان أبا عمرو حماه من السلطان فسألت عن الحكاية فدافعني طويلاً ثم حدثني فقال ورثت من ابي مالا جليلا فاسرفت فيه وأتلفته حتى أفضيت الى بيع ابواب داري وسقوفها ولم يبق لي في الدنيا حيلة وبقيت مدة لا قوت لي الا من بيع امي لما تغزله وتطعمني ونفسها منه فتمنيت الموت فرأيت ليلة في منامي كأن قائلاً يقول لي غناك بمصر فاخرج اليها فبكرت الى ابي عمرو القاضي وتوسلت اليه بالجوار والخدمة التي كانت من ابي لابيه وسألته ان يزودني كتاباً الى مصر لاتصرف بها ففعل وخرجت فلما حصلت مصراً وصلت الكتاب وسألت التصرف فسد الله علي التصرف حتى لم أظفر بتصرف ولا لاح لي شغل ونفدت نفقتي فبقيت متحيراً وفكرت في أن أسأل الناس وأمد يدي الى الطريق فلم تسمح نفسي بذلك فقلت أخرج ليلاً وأسأل الناس بين العشاءين فما زلت أمشي في الطريق وتأبى نفسي المسألة ويحملني الجوع عليها وأنا ممتنع الى أن مضى من الليل نصفه فلقيني الطائف فقبض علي فوجدني غريباً فأنكر حالي فسألني فقلت رجل غريب ضعيف فلم يصدقني وبطحني وضربني مقارع فصحت وقلت له أنا أصدق فقال هات فقصصت عليه قصتي من أولها وحديث المنام فقال لي أنت رجل ما رأيت أحمق منك والله لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم كأن قائلاً يقول لي ببغداد بالشارع الفلاني بالمحلة الفلانية قال فذكر شارعي ومحلتي فسكت وأصغيت وأتم الشرطي الحديث فقال دار يقال لها دار فلان فذكر داري واسمي وفيها بستان فيه سدرة تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار فامض فخذها فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت اليه وأنت أحمق

فارقت وطنك وأهلك وجئت الى مصر بسبب منام قال فقوي قلبي بذلك وأطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت في غد من مصر وقدمت بغداد فقلعت السدرة وأثرت مكانها فوجدت فيها قمقماً فيه ثلاثون الف دينار فأخذتها ودبرت أمري فأنا اعيش من تلك الدنانير وكلما ابتعته منها من ضيعة وعقار الى الآن

• وجدت في كتاب أبي الفرج عبد الواحد المخزومي الحبطي عن علي بن العباس النحونجتي قال حدثني احمد بن عبد الله التغلبي قال كان من بقايا شيوخ خراسان ممن يلزم دار العامة بسر من رأى شيخ يكني أبا عصمة وكان يحدثنا كثيراً بأخبار الدولة وأهلها فحدثنا ان خزيمة بن حازم كان يجلس في داره للناس في كل يوم ثلاثاً فلا يحجب عنه أحد ولا يستأذن لمن يحضره انما يدخلون ارسالاً بغير اذن فمن كان من أشراف الناس ووجوههم سلم وانصرف ومن كان من طلاب الحوائج او خطاب التصرف دفع رقعة الى الحاجب وكان قد أفرد لهذا كاتباً حصيفاً يقال له الحسن بن سلمة يتصفح الرقاع قبل عرضها عليه فما كان يجوز ان يوقع فيه عنه وقع وسلمه الى اربابه وما كان لابد من قوفه عليه وتوقيعه فيه بخطه عرضه عليه وما كان من زائر ومسترفد عرضت عليه رقعته فيكون هو الموقع فيها بما يراه ولا يكاد ان ينصرف أحد من هذا الجمع العظيم المفرط الا وهو مسرور بقضاء حاجته قال أبو عصمة وكان ممن يتصرف في الاعمال رجل من العرب له لسان وفصاحة يقال له حامد بن عمرو الحراني وكان فيه الحاح شديد وملازمة تامة اذا تعطل فيؤذي بذلك ويبرم ولا يقنع بذلك حتى يلازم بابه في كل يوم واذا ركب خاطبه على الطريق وربما تعرض له في دار الخليفة فيخاطبه ولم يكن في طبع خزيمة الاحتمال لمثل هذا قال أبو عصمة فحدثني الحسن بن سلمة كاتب خزيمة قال نظر خزيمة يوماً الى هذا الرجل في داره وكان لقيه وخاطبه قبل ذلك بيوم وأضجره ووافق من خزيمة ضجراً بشيء حدث من أمور المملكة مع مافيه من الجبروتية والكبر فحين خاطبه الرجل صاح فيه وأمر باخراجه من داره اخراجاً عنيفاً ثم دعاني فقال والله لئن دخل هذا الرجل داري لاضربن عنقه فأخبره بذلك وحذره

وتقدم الى البوابين والحجاب بذلك وكان خزيمة اذا وعد أو توعد فليس الا الوفاء فخرجت الى الحجاب والبوابين وأصحاب المقارع فبالغت في تحذيرهم وعرفتهم ماقال وانه حلف ان يضرب أعناقهم واكدت القصة والوصية بجهدي مستظهراً لنفسي ومضيت خارج الدار فاذا الرجل واقفاً فاعلمته ان دمه مرتهن بنظرة ينظرها اليه خزيمة في دار السلطان أو على بابه أو في بعض الطريق وحذرته تحذيراً شديداً وخوفته بالله عز وجل في دمه ان لايجعل على نفسه سبيلاً فشكرني على تحذيره وانصرف كئيباً فلما أصبحنا من غد غدوت الى دار خزيمة على رسمي في الملازمة فلما دنوت من الباب اذا بالرجل واقفاً كما كان يقف منتظراً لركوبه فعظم ذلك علي فقلت ياهذا أما تخاف الله عز وجل أتحب ان تقتل نفسك اما تعرف الرجل فقال والله ما أتيت هذا الرجل جهلاً مني ولا اغتراراً بل أتيته على أصل قوي وسبب وثيق وستري من لطف الله عز وجل مايسرك وتعجب منه قال الحسن بن سلمة فزاد عجبي منه ودخلت الدار فصادفت خزيمة في صحن الدار يريد الركوب فحين نظر الي قال لي مافعل حامد بن عمرو قلت رأيته الساعة بالباب وقد تهددته فلما رأيته اليوم بالباب تعجبت من جهله وعوده مع ما أعذرت اليه من الوعيد وأمرته بالانصراف فأجابني بجواب لا أدري ماهو فأنا بريء من فعله فقال بأي شيء أجابك فأخبرته فسكت خزيمة وخرج فركب فحين رآه ترجل له حامد فصاح خزيمة لا تفعل والحقني الى دار أمير المؤمنين قال وسرنا ودخل خزيمة الى دار أمير المؤمنين الرشيد ودخلنا معه الى حيث جرت عادتنا ان نبلغه معه من الدار فجلسنا فيه ومضى خزيمة يريد دار الخليفة وجاء حامد فجلس الي فقلت أصدقني عن خبرك والسبب في جسارتك على خزيمة ولينه لك بعد الغلظة وعرفته ماجرى بيني وبين خزيمة ثانياً فقال طب نفساً فما أبدي لك شيئاً الا بعد بلوغ الامر فبينا نحن كذلك اذ دعي بحامد بن عمرو وأدخل الى حيث كان موسى مابان يدخل اليه من يخلع عليه فتحيرت فلم يكن بأسرع من ان خرج وعليه خلع الخليفة وبين يديه لواء عقده له وقد ولي طريق الفرات بأسره

فقمت اليه وهنأته وقلت له ولا الساعة تخبرني الخبر فقال ما فات شيء وودعني ومضى وأقمت بمكاني الى ان خرج خزيمة فسرت معه الى داره فلما استقر فيها دعاني فسألني عن أمور من خدمته ثم قال أظنك قد أنكرت ماجرى في أمر حامد بن عمرو قلت اي والله أيها الامير قال فاسمع الخبر اعلم اني كنت في نهاية الغيظ عليه فأمرت فيه بما أمرت فلما كان البارحة رأيت فيما يري النائم كانه قائم يصلي ورفع يديه الى الله عز وجل يدعو علي فكانه قد وقع في نفسي انه يريد ان يدعو علي قال فصحت به لاتفعل وادن مني فانفتل من صلاته فجاء فوقف بين يدي فقلت له مايحملك على ان تدعو علي فقال لانك أهنتني واستخففت بي وأخرجتني من دارك ذليلاً آيساً وأشمت بي اعدائي ووعدتني بالقتل ظلماً وقطعت أملي في طلب رزقي وقوتي فأنا اشكوك الى الله عز وجل واستعينه عليك فكاني اقول له طب نفساً ولا تدع علي فاني أحسن اليك غداً وأوليك عملاً واستعطفته فعجبت من المنام وعلمت اني ظلمت الرجل وقلت في نفسي شيخ من العرب وله سن وشرف اسأت اليه بغير جرم وأرعبته وماذا علي اذا لحح في طلب الرزق وعلمت ان المنام موعظة في أمره وحث علي حفظ النعم ولا أنفرها بقلة الشكر واستعمال الظلم واعتقدت ان أوليه كما وعدته في المنام فكان مارأيت قال الحسن بن سلمة فصوبت رأيه في هذا ودعوت له وانصرفت فجاءني من العشي حامد بن عمرو مسلماً ومودعاً ليخرج الي عمله فقلت هات الآن خبرك قال نعم انصرفت من باب خزيمة موجع القلب قلقاً مرتاعاً فأخبرت عيالي بما جرى فكانه في داري مأتم عظيم ولم أطعم أنا ولا عيالي يومي وليلتي طعاماً وأمسيت علي ذلك فلما هدأت العيون توضأت واستقبلت القبلة وصليت ما شاء الله وتضرعت اليه عز وجل ودعوته باخلاص طوية وصدق نية وأطلت فحملتني عيني وأنا ساجد في القبلة فرأيت في منامي كاني على حالي في الصلاة والدعاء وكأن خزيمة بن حازم قد وقف علي وأنا ادعو فصاح بي لاتفعل وعد الي فاني أحسن اليك وأوليك فانتبهت مذعوراً وقد قويت نفسي فقلت أبكر اليه فلعل الله عز وجل ان يطرح في قلبه

الرقة لي فغدوت اليه فكان مارأيت فقال الحسن فكثر تعجبي لاتفاق المنامين وقلت لحامد لقد أخبرني الامير بمثل هذا لم يخرم منه حرفاً وبكرت الى خزيمة وحدثته الحديث وأحضر حامداً حتى سمع ذلك منه فعجب منه وأمر له بصلة وكسوة وحملان ولم يزل بعد ذلك متعهداً اكرامه ولا يتعطل ٥ ويقارب هذا الحديث حديثان أحدهما حدثني به غير واحد من أهل بغداد ان عطاراً من أهل الكرخ بها كان مشهوراً بالستر والامانة فارتكبه دين وقام عن دكانه ولزم بيته مستتراً وأقبل على الدعاء والصلاة الى ان صلي ليلة جمعة صلاة كثيرة ودعا ونام قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول اقصد علي بن عيسى وكان اذ ذاك وزيراً فقد أمرته لك بأربعمائة دينار فخذها وأصلح بها أمرك قال وكان علي ستمائة دينار فلما كان من غد قلت قال النبي صلى الله عليه وسلم من رآني في منامه فقد رآني حقاً فان الشيطان لا يتمثل بي فلم لا أقصد الوزير قال فقصدته فلما صرت ببابه منعت من الوصول اليه فجلست الى ان ضاق صدري وهممت بالانصراف فخرج الشافعي صاحبه وكان يعرفني معرفة ضعيفة فأخبرته الخبر فقال ياهذا الوزير والله في طلبك منذ السحر الى الآن وقد سألني عنك فأنسيتك وما عرفك أحد والرسل مبثوثة في طلبك فكن بمكانك ورجع ودخل فما كان بأسرع من ان دعا بي فدخلت على علي بن عيسى فقال ما اسمك فقلت فلان بن فلان قال من أهل الكرخ قلت نعم فقال ياهذا أحسن الله جزاءك في قصدك اياي فوالله ماتهنأت بالعيش منذ البارحة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءني البارحة في منامي فقال لي أعط فلان بن فلان العطار بالكرخ أربعمائة دينار يصلح بها شأنه فكنت اليوم طول نهاري في طلبك وما عرفك أحد فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني البارحة في منامي فقال لي كيت وكيت قال فبكى علي بن عيسى وقال أرجو ان تكون هذه عناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم بي ثم قال هاتوا ألف دينار فجاء بها عيناً فقال خذ أربعمائة دينار امتثالاً لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وستمائة دينار هبة مني لك فقلت ما أحب ان ازداد على عطاء رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاني ارجو البركة فيه لا فيما عداه فبكي علي بن عيسى وقال هذه الف دينار فخذ ما بدالك فأخذت اربعماية دينار وانصرفت فقصصت قصتي على صديق لي وأريته الدنانير وسألته ان يقصد غرمائي ويخبرهم ويتوسط بيني وبينهم ففعل ذلك فقالوا نؤخر بالمال ثلاث سنين فليفتح دكانه فقلت لا ولئك تأخذون مني الثلث في كل سنة فأعطيتهم مائتي دينار وفتحت دكاني بالمائتي دينار الباقية فما حال الحول الا ومعي الف دينار فقضيت ديني كله وما زال مالي يزيد وحالي يصلح الى الآن ٭ والآخر حدثني به أبو الحسن علي بن يوسف الازرق التنوخي قال حدثني ابو القاسم بن ماجور المنجم قال حججت فرأيت عند طاهر بن يحيى العلوي بالمدينة رجلاً خراسانياً كان يحج في كل سنة فاذا دخل المدينة جاء الى طاهر بن يحيى فاعطاه مائتي دينار من ماله كانت كالجراية له منه فلما كان سنة قبل ذلك جاء يريد داره ليعطيه المال فاعترضه رجل من اهل المدينة فسب عنده طاهراً وقال تضيع دنانيرك التي تدفعها اليه وهذا يأخذ منك ومن غيرك فيصرفه فيما يكرهه الله عز وجل فيفعل ويصنع وتكلم فيه بكل قبيح قال الخراساني فلما سمعت ذلك عرضت نفسي عن دفع شيء اليه وتصدقت بالدنانير وخرجت من المدينة فلم ألقه فلما كان في العام الثاني دخلت المدينة فتصدقت بما كنت أريد ان اتصدق به وطويت طاهراً فلم امض اليه فلما كان في العام الثالث تأهبت للحج فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول ويحك قبلت في ابني طاهر بن يحيى قول اعدائه وقطعت عنه ما كنت تبره به لا تفعل واقصده بما فاته ولا تقطعه عنه ما استطعت قال فانتبهت فزعاً ونويت ذلك وأخذت صرة فجعلت فيها ستمائة دينار وحملتها معي فلما صرت بالمدينة بدأت بدار طاهر فدخلت وجلست ومجلسه حافل فلما رآني قال يا ابا فلان لو لم يبعث بك الينا ما جئت فتغافلت عنه وقلت ما معنى هذا الكلام اصلحك الله قال قبلت في قول عدو الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وعدوى وقطعت عادتك حتى لامك رسول الله صلى الله عليه وسلم في مناماك وأمرك ان تعطيني الستمائة دينار هاتها ومد يده الي فتداخلني من الدهش

ما ذهلت معه فقلت اصلحك الله هكذا والله كانت القضية فما علمك بذلك قال انه بلغني خبر دخولك المدينة في السنة الاولى فلما خرج الحاج ولم تجئني اثر ذلك في حالي وسألت عن القضية فعرفت ان بعض اعدائنا اقيك فسبني عندك فآلمني ذلك فلما كان في الحول الثاني بلغني دخولك وأنك قد عملت على قوله في فازداد بذلك غمي فلما كان منذ شهور ازدادت اضاقتي وامتنع النوم علي غما بما دفعت اليه ففزعت الى الصلاة فصليت ما قضي لي ودعوت الله سبحانه وتعالى بالفرج مما أنا فيه ونمت في المحراب فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وهو يقول لا تغتم فقد لقيت فلاناً الخراساني وعاتبته على قبوله فيك قول أعدائك وأمرته ان يحمل اليك ما فاتك لسنتين ولا يقطع عنك بعدها ما استطاع فحمدت الله عز وجل وشكرته فلما رأيتك الآن علمت ان المنام جاء بك فأحرجت الصرة التي فيها ستمائة دينار فدفعتها اليه وقبلت رأسه و بين عينيه وسألته ان يجعلني في حل من قبول قول ذلك الرجل فيه حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الموصلي قال كانت في شارع دار الرقيق ببغداد جارية علوية أقامت مزمنة نحو خمس عشرة سنة وكان أبي ايام نزولنا من هذا الشارع في دار شفيع المقتدري التي كان اشتراها يتفقدها ويبرها وكانت مسجاة لا تنقلب من جنب الى جنب حتى تقلب ولا تقعد حتى تقعد وكان لها من يخدمها في ذلك وكانت فقيرة لا قوت لها هي وخادمتها الا مما تبرها الناس فلما مات ابي اختل امرها و بلغ تجني جارية الوزير المهلبي خبرها فكانت تقوم بامرها واجرت عليها جراية في كل شهر وكسوة في كل سنة قال فباتت ليلة من الليالي على حالها تلك ثم أصبحت من غد وقد برئت ومشت وقامت وقعدت وكنت مجاوراً لها فكنت ارى الناس يتناوبون باب دارها فانفذت امرأة من داري ثقة تعرفها حتى شاهدتها وسمعتها تقول اني ضجرت من نفسي ضجراً شديداً فدعوت الله عز وجل طويلاً بالفرج مما أنا فيه او بالموت وبكيت بكاء متصلا وبت وأنا قلقة متألمة ضجرة وكان سبب ذلك ان الخادمة تضجرت وخاطبتني بما

ضاق منه صدري فلما استثقلت في نومي دخل علي رجل فارتعدت منه وقلت يا هذا كيف تستحل ان تراني فقال أنا أبوك فظننته أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين ما ترى ما أنا فيه فقال انا أبوك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكيت وقلت يا رسول الله ادع لي بالعافية قال فحرك شفتيه بشيء لم أفهمه ثم قال هاتي يدبك فأعطيته يدي فأخذها وجذبني بهما فقمت فقال لي امشي على اسم الله تعالى فقلت كيف امشي فقال يدبك فأخذهما وما زال يمشي وهما في يديه ساعة ثم اجلسني حتى فعل بي ذلك ثلاث مرات ثم قال قد وهب الله عز وجل لك العافية فاحمديه واتقيه وتركني ومضى فانتبهت وأنا لا أشك انه واقف لسرعة المنام فصحت فظنت الجارية أني أريد البول فتثاقلت فقلت ويحك اسرجي السراج فاني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فانتبهت المرأة فوجدتني مستجاة فشرحت لها المنام فقالت أرجو ان يكون الله عز وجل قد وهب لك العافية هاتي يديك فأعطيتها يدي فأجلستني ثم قالت لي قومي فقمت معها ومشيت متوكئة عليها ثم جلست وفعلت ذلك ثلاث مرات الاخيرة منهن مشيت وحدي فصاحت الخادمة سروراً بالحال واعظاما لها فقدر الجيران أني قدمت فجاؤني فقمت ومشيت معهم قال ابو محمد وما زالت قوتها تزيد الى ان رأيتها قد جاءت الى والدتي في خف وازار بعد أيام ولا قلبة بها فبررتها وهي باقية وهي من أصلح النساء وأورعهن من أهل زماننا وقد زوجت من رجل علوي موسر وصلحت حالها ولا تعرف الآن الا بالعلوية المزمنة ومضى على هذا الحديث شهور كثيرة فجرى بيني وبين ابي بكر محمد بن عبد الرحمن بن فريعة مذاكرة بالمنامات فحدثني بحديث منام هذه العلوية وقصتها وعلتها على ما حدثني به ابو محمد بن فهد قال قال لي ابو بكر أنا كنت احمل اليها جرايتها من عند تجني جارية الوزير ابي محمد المهلبي وكسوتها على طول السنين وسمعت منها هذا المنام ورأيتها تمشي بعد ذلك صحيحة بلا قلبة وتجي الي تجني وتجني زوجتها من العلوي وأعطتني مالا قمت منه بتجهيزها وأمرها حتى اعرس بها زوجها وهي الآن من خيار النساء قال مؤلف

هذا الكتاب وحدثني بهذا الحديث جماعة اسكن اليهم من أهل شارع دار الرقيق بخبر هذه العلوية على مثل هذا وهي باقية الى الآن وآخر معرفتي بخبرها في سنة ثلاث وسبعين وثلثماية ولا تعرف الآن الا بالعلوية الزمنة * حدثني أبو محمد يحيى بن فهد الازدي الموصلي قال سمعت ابا القاسم السعدي يحدث ابي رحمه الله قال كنت وأنا حدث السن مشغوفاً بغلام لي شغفاً شديداً وكنت منهمكا على الفساد وكان ربما هجرني فأترضاه بكل ما اقدر عليه حتى يرضى قال وانه غضب علي مرة غضباً شديداً وهرب واستتر عني حتى لحقني من الحيرة والوله ماقطعني عن النظر في امري واجتهدت في صرف ذلك عني فلم ينصرف وحضر وقت خروج الناس الى الحائر على ساكنه افضل الصلاة والسلام فكتبت رقعة اسأل الله الفرج مما أنا فيه ودفعتها الى بعض من خرج وسألته ان يدفعها فى ناحية من القبر وأتت ليلة النصف من شعبان ففزعت الى الله عز وجل في كشف مابي وصليت ودعوت ثم غلبني النوم فرأيت في منامي كانني في مقابر قريش والناس مجتمعون فيها اذ قيل جاء الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم للزيارة فتشوقت لرؤيتهما فاذا بالحسين رضي الله عنه في صورة كهل وعليه دراعة وعمامة ومعه فاطمة عليها السلام متنقبة بنقاب بياض فاعترضت الحسين رضي الله عنه وقلت له يا ابن رسول الله كتبت اليك رقعة في حاجة لي اسألك فان رأيت ان تعمل فيها فلم يجبني ودخل القبة بالمدفن ودخلت فاطمة وكأن قوماً قد وقفوا يمنعون الناس من الدخول اليهما فلم أزل اتوصل الى ان دخلت فأعدت الخطاب عليه فلم يجبني فقلت ياسيدة اني رأيت على ان تعملي في أمري فقالت على ان تتوب قلت نعم فقالت قل الله فقلت الله فكررت علي ثلاثاً ثم اومأت الى جماعة ممن كانوا قياماً ودفعت اليهم خاتماً كان في يدها وكلمتهم بما لم أفهمه فحملوني حتى غبت عنهما ثم حلوا سراويلي وشدوا ذكري بخيط شداً قويا ثم وضعوا على الشد طيباً وختموه بالخاتم فورد على من الالم ما انبهني فانتبهت وأثر الخيط في الموضع وصار اثر الختم كالجدري مستديراً حول الموضع ثم قال ان شيت كشفت لك فأريتك

فقد رأيت لجماعة فقلت اني لا استحل النظر الى ذلك قال السعدي فاصبحت من غد ولم يبق في قلبي شيء من الغلام فاشتريت الجواري وكنت لا انكر من جماعي شيئاً ثم طالبتني نفسي بالغلمان وغلبتني الشهوة فاستدعيت غلاماً فلم اقدر عليه وبطل العضو فلما فارقته أنعظت فعاودته فاسترخى فجربت ذلك مع عدة غلمان فكانت صورتي واحدة فجددت التوبة بعد ذلك ومانقضتها الى الآن ٭ حدثنا ابو علي الحسين بن محمد الانباري الكاتب قال كان ابن الفرات يتتبع ابا جعفر ابن بسطام بالاذية ويقصده بالمكاره فلقي منه في ذلك شدائد كثيرة وكانت ام ابي جعفر محمد قد عودته مذ كان طفلاً ان تجعل في كل ليلة تحت مخدته التي ينام عليها رغيفاً فاذا كان من غد تصدقت به عنه فلما مضت مدة من اذية ابن الفرات له دخل الى ابن الفرات في شيء احتاج اليه فيه فقال ابن الفرات يا ابا جعفر لك مع امك خبر في رغيف فقال لا قال لابد ان تصدقني فذكر ابو جعفر الحديث فحدثه به على سبيل التطاير باحوال النساء فقال ابن الفرات لا تفعل فاني بت البارحة وأنا ادبر عليك أمراً لو تم لاستاصلتك ونمت فرأيت في منامي كان بيدي سيفاً مسلولاً وقد قصدتك فاعترضتني امك بيدها رغيف تترسك به مني فما وصلت اليك وانتبهت فعاتبه ابو جعفر على ما كان بينهما وجعل ذلك طريقاً على استصلاحه وبذل له من نفسه ما يريده ولم يبرح حتى ارضاه وصارا صديقين وقال له ابن الفرات لا رأيت بعدها مني سوأ ما عشت ابداً ٭ وري عن محمد ابن علي بن يونس عن ابيه انه كتب لرجاء بن ابي الضحاك وهو بدمشق وان علي بن اسحاق بن يحيى بن معاذ كان يتقلد خلافة خمار تكين على المعونة على دمشق فوثب على رجاء فقيده وقبض على جماعة من اسبابه وأمر بحبسي فحبست في يدي سجان كان جاراً لي وكان يأتيني بالخبر ساعة بعد ساعة فدخل الى وقال اخرج والله رأس صاحبك رجاء على قناة ثم جاءني وقال قد قتل مطيبه ثم جاءني فقال قد قتل ابن عمه ثم جاءني فقال قد قتل كاتبه الآخر فلان ثم قال الساعة يدعي بك للقتل فلما سمعت ذلك نالني جزع شديد وخرج السجان وقفل

الباب ودعي بي فدافع عني وقال مفتاح القفل مع شر بكي والساعة يحضرفنالني في تلك الساعة نعاس فرأيت في منامي كاني ارتمطت في طين كثير وكاني قد خرجت وما بلت قدمي واستيقظت وتأولت الفرج وسمعت حركة شديدة فلم اشك انها لطلبي فعاودني الجزع فدخل السجان وقال ابشر فقد أخذ الجند على بن اسحاق فحبسوه فلم البث حتى جاءني الجند فأخرجوني وجاؤا بي الى مجلس علي بن اسحاق الذي كان فيه جالساً وقدامه دواية وكتاب قد كان كتبه الى المعتصم في تلك الساعة يخبره بخبر قتله رجاء وجعل له ذنوباً ولنفسه معاذير ويسمى رجاء المجوسي الكافر فحرقت الكتاب وكتبت بالخبر كما يجب الى المعتصم من نفسي وما أجري اليه علي بن اسحاق وأنفذت الكتاب ولم أزل أدبر العمل حتى تسلم مني وحمل الى المعتصم فحبس حبساً طويلاً وأظهر الوسواس وتكلم فيه احمد بن أبي دواد فأطلق ه وجدت في بعض الكتب ان المنصور استيقظ من منامه ليلة من بعض الليالي وهو مذعور لرؤيا رآها فصاح بالربيع وقال له صر الساعة الى الباب الذي يلي باب الشام فانك ستصادف هناك رجلاً مجوسياً مستنداً الى الباب الحديد فجئني به فمضي الربيع مبادراً وعاد والمجوسي معه فلما رآه المنصور قال نعم هو هذا ماظلامتك فقال ان عاملك بالانبار جاورني في ضيعتي فساومني ان أبيعه اياها فامتنعت لان معيشتي منها وقوت عيالي فغصبني عليها فقال له المنصور فأي شيء دعوت به قبل ان يصل اليك رسولي قال قلت اللهم انك حليم ذو أناة ولا صبر لي على اناتك فقال المنصور للربيع أشخص هذا العامل واحسن أدبه وانتزع الضيعة من يده وسلمها الى هذا المجوسي وابتع من العامل ضيعته وسلمها اليه أيضاً ففعل الربيع ذلك كله في بعض نهار وانصرف المجوسي وقد فرج الله عنه وزاده وأحسن اليه ه وجدت في كتاب حدث القاسم بن كرسوع صاحب أبي جعفر بخبره وقال ان ابن أبي عون صاحب الشرطة قد وعد مخبره ان يجيئه للاقامة عنده والشرب مصطبحاً على ستارته في يوم ثلاثاء فأبطأ عنه وتعلق قلب مخبره بتأخره فبعث غلاماً له في طلبه وتعرف خبره فعاد الى مخبره وقال وجدته في مجلس

الشرطة يضرب رجلاً بالسياط وقد ذكر انه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة جاء ابن أبي عون فقال له أبو جعفر قد وعدتني ببكورك وشغلتني بتأخرك فما سبب ذلك فقال اني رأيت البارحة في منامي كاني بكرت بليل لاجيئك وليس معي سوى غلام واحد فسرت في خراب اسحاق بن ابراهيم بن مصعب لاجيء الى رحبة الجسر فاني لاسير في القمر اذ رأيت شيخاً بهياً نظيف الثوب وعلى رأسه قلنسوة لاطية وفي يده عكاز فسلم علي وقال اني أرشدك على مافيه مثوبة لك في حبسك شيخ مظلوم وافي البارحة من المداين في وقت ضيق فاتهم انه قتل رجلاً وهو بريء من دمه وقدضرب وحبس وقاتل الرجل غيره وهو في غرفة وسطى من ثلاث غرف مبنية على طاق التك بالكرخ واسمه فلان بن فلان ابعث من يأخذه فانك ستجده عريان سكران وفي يده سكين مخضبة بدم فاصنع ماترى به وأطلق الشيخ البائس فقمت فانتبهت فركبت وسرت حتى وافيت رحبة الجسر فقلت ماحدث في هذه الليلة فقالوا وجدنا هذا القتيل وهذا الشيخ معه فضربناه فلم يقر فرأيت به أثر ضرب عظيم فسألته عن خبره فقال أنا معروف بالمداين بسلامة الطريقة ومعاشي التغبيح أنفذني فلان بن فلان الى فلان بن فلان من أهل بغداد بهذه الكتب فأخرج اضبارة فدخلت وقت العتمة أوائل بغداد فوجدت في الطريق رجلاً مقتولاً فخرجت ولم أدر أين آخذ فأنا على حالي اذ أدركني الاعوان فظنوني قتلته والله ما أعرفه ولا رأيته قط ولا أدري من هو ولا من قتله ولا قتلت أحداً قط وقد ضربوني وحبسوني فالله الله في دمي فقلت قد فرج الله عنك انطلق حيث شئت ثم أخذت الرجالة ومضيت الى طاق التك فوجدت الغرف مصطفة كما وصف الشيخ فهجمت على الوسطى فاذا رجل سكران عليه سراويل فقط وفي يده سكين مخضبة بالدم وهو يقول أخ عليك نعم يا سيدي أنا جرحته انا التجبة وان مات فأنا قتلته فأنزلته مكتوفاً وبعثت به الى الحبس وانحدرت الى الموفق فحدثته الحديث فتعجب منه وتقدم الي أن اضرب القاتل بالسياط الى ان يتلف واصلبه في موضع جنايته فتشاغلت بذلك الى أن فرغت ثم جئتك ٭ حدثني

محمد بن علي بن اسحاق قال خرجت مع أبي وهو يكتب لمحمد بن القاسم الكرخي المكنى بأبي جعفر لما ثقلد الموصل والديارات وكان قد ضم الى أبي جعفر جماعة من قواد السلطان فلما صرنا بنصيبين كان أبي قد مضي وأنا معه الى أبي العباس احمد بن كشمرد مسلماً عليه فتحدثا فسمعته يحدثه قال لما أسرني أبو طاهر القرمطي فيمن أسره بالهبير فحبسني وأبا الهيجاء والغمر في ثلاث حجر متقاربة ومكننا من ان نتزاور ونجتمع على الحديث فمكن أبا الهيجا خاصة واختص به وعمل على اطلاقه وشفعه في أشياء فسألت أبا الهيجاء ان يسأله اطلاقي فوعدني واستدعاه القرمطي فمضى اليه وعاد الى حجرته فجئت وسألته هل خاطبه فدافعني فقلت لعلك أنسيت فقال لا والله ولوددت اني ما ذكرتك له اني وجدته متغيظاً عليك فقال والله لاضربن عنقه عند طلوع الشمس في غد ورحل أبو الهيجاء فورد على أمر عظيم وعدت الي حجرتي وقد يئست من الحياة فلما كان في الليل رأيت في منامي كان قائلاً يقول لي اكتب في رقعة بسم الله الرحمن الرحيم من العبد الذليل الى المولى الجليل مسني الضر والخوف وأنت ارحم الراحمين فبحق محمد وآل محمد اكشف همي وحزني وفرج عني واطرح الرقعة في هذا النهر وأومأ الي ساقية كانت تجري هناك في المطبخ فانتبهت من نومي وكتبت الرقعة وطرحتها في الساقية فلما كان السحر استدعاني القرمطي فلم اشك انه القتل فلما دخلت اليه أدناني واجلسني وقال قد كان رأيي فيك غير هذا الا اني قد رأيت تخليتك فخرجت فاذا على الباب راحلة ورجل يصحبني فركبت ودخلت البصرة سالماً ولحقت ابا الهيجاء بها فدخلنا معاً الى بغداد * وقال ابو الحسن علي بن زكي قال كنت مع صاحبي عيسى البوسري وكان مضافاً لمحمد بن سليمان الكاتب على حزب الطولونية الى ان افتتحت مصر فتقلد قال قال عيسى خرج يوماً محمد بن سليمان الى ظاهر الفسطاط فانتهى به السير الى قبة كانت لاحمد بن طولون يقال لها قبة الهواء مطلة على النيل وعلى البر فجلس فيها ومعه الحسين بن حمدان وجماعة من القواد ثم قال الحمد لله الذي بيده الامر كله يفعل ما يشاء فقال له

الحسين بن حمدان لا شك ان تجديدك الحمد لامر قال نعم وهو عجيب ظريف ذكرته الساعة وهو اني نزعت الى مصر وانا في حال رثة في زي صغار الاتباع فضاق علي المعاش بها فاتصلت بلؤلؤ الطولوني فاجرى علي دينارين في كل شهر وصيرني مشرفاً في اصطبله على كراعه فكنت هناك من حيث لا يعرف وجهي جيداً ولا اقدم على الوقوف بين يديه فلما كان بعض الايام احضرني فقال ويحك من أين يعرفك الامير يعني احمد بن طولون فقلت والله ما رآني قط ولا وقعت عينه علي الا في الطريق ولا محلي محل من يتصدى للقائه فقال دعاني الساعة وهو في قبة الهواء فقال معك رجل اشقر اشهل يقال له محمد بن سليمان فقلت ما اعرفه فقال بل هو في جنبتك فابعده عنك فاني رأيته البارحة وفي يده مكنسة يكنس داري بها فتوق ويحك ولا تتعرف الى احدمن حاشيته واقرني على أمري فامتثلت أمره ومضت لهذا الحديث شهور ثم دعاني ثانية فقال ويحك ماذا بليت به منك و بليت انت به من هذا الامير دعاني بعدة من اصحاب الرسائل فوافيته وانا في غاية الوجل فقال أليس امرتك بصرف محمد بن سليمان الازرق الاشقر فقلت قد عرفتك يا سيدي اني ما استخدمت من هذه سبيله ولا وقعت لي عليه عين فقال لي كذبت وهو معك في اصطبلك فاخرجه عن البلد الساعة فاني رأيته في النوم أيضاً وفي يده مكنسة وهو يكنس بها سائر دوري وحجري ونسأل الله الكفاية فقلت للؤلؤ اي ذنب لي ياسيدي في الاحلام فقال لي صدقت فاستتر الي ان يتناسى الامير ذكرك وكان يجري علي رزقي في كل شهر وانا لا أعمل شيئاً فلما تهيأ من انفاذ لؤلؤ الى الشام ما تهيأ نهضت معه وتخلف عنه كتابه لما كانوا علموا من تغيير حاله عند صاحبه فادناني وقربني واجري علي عشرة دنانير في كل شهر وحملني على دابة فلزمت خدمته ولقيته واستجدت اليه فرادني من رأيه ولم ينتبه احمد بن طولون من استيحاش لؤلؤ فكتب له بالرجوع الى مصر فشاورني فاشرت اليه بالانحدار الى نواحي ديار مصر واخذ كل ما استخف نيله من المال ولم اترك غاية الا اتيتها في نضريته وتأليبه حتى اوردته

مدينة السلام ثم تقلبت بي الاحوال في خدمة السلطان وخدمة الدول وتوفي احمد بن طولون وحبس ابنه وقتل ابو الجيش وتولى بعدهم هارون بن خمارويه ابن احمد وضم الي القواد والرجال وكان فيهم لؤلؤ صاحبي وكان اصغرهم حالاً فلم اقصر في صلاح حاله والاحسان اليه ومعرفة حقه فلم ادن من الشام حتى تلقاني بدر الحمامي مطيعاً وتلاه طغج بن حف مسرعاً وصرت الى مصر فلما شارفتها وثب شيبان بن احمد بن طولون ومن معه من جند مصر فقتلوا هارون وتولى شيبان الامر اياماً وانثال الى القواد في الامان ولحق بهم شيبان وتخلف الرجالة وقطعة من الفرسان واظهروا الخلاف فاوقعت بهم وافنيتهم قتلاً واسراً ودخلت الفسطاط عنوة وحويت النعم والمهج واشخصت الطولونية من البلد الى الحضرة حتى لم يبق فيها منهم احد وصح بذلك منام احمد بن طولون فسبحان الذي ما شاء فعل واياه نسأل خير ما تجري به اقداره وان يختم لنا بخير رحمته * حدثني ابو الفرج عبد الواحد بن نصر الكاتب المعروف بالببغا قال اعتللت بحلب علة خف منها بدني كله فكنت كالخشبة لا اقدر ان اتحرك ونحل جسمي وتقلبت في اغلال متصلة متضادة وانا من هذا ألقى خلف فراش ثلاث سنين متواليات وآيس الاطباء من برئي وقطعوا مداواتي وكان لي صديق يعرف بأبي الفرج ابن دارم من اهل بلدي يعني نصيبين مقيم بحلب يلازم عيادتي وكان لفرط اغتمامه بي وان الاطباء أيسوا مني يظهر لي حزناً يؤلم قلبي ويوئسني من نفسي ويجاوز ذلك الى التصريح لي باليأس وتوطيني ثم تعدى هذا الى ان صار لا يملك دمعته اذا خاطبني فضعفت عن تحمل ذلك وتضاعفت به علتي وحارت معه قوتي فاعتقدت ان اقول لغلامي ان يترصده فاذا جاء ليدخل عليَّ قل له عني اني لا استحسن جوابه وان علتي قد تضاعفت بما اشاهده واسمع من خطابه ويسأله ان ينقطع عني او يقطع مخاطبتي بما فيه اياسي وقررت عزمي على ذلك في ليلة من الليالي ولم أخاطب به غلامي فلما كان في صبيحة تلك الليلة باكرني ابن أبي دارم فحين وقعت عيني عليه تثاقلت به خوفاً من ان يسلك معي مذهبه وهممت ان افتتح مخاطبته بما كنت عزمت على

مراسلته به فسبقني بان قال لي قد جئتك مبشرًا فقلت بماذا قال رأيت البارحة كاني بالرقة والناس يهرعون الى زيارة قبور الشهداء فقال ابو الفرج وهم ممن قتلوا مع امير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصفين منهم عمار بن ياسر رضى الله عنه وحملوا الى ظاهر الرقة فدفنوا بها والحال في ذلك مشهور والقبور الى الآن مغشية معمورة فقال ابن ابي دارم ورأيت كأن اكثر الناس مطيفون بقبة فسألت عنها فقيل لي قبر عمار بن ياسر فقصدتها واطلعت فيها فاذا القبر مكشوف وفيه رجل شيخ جالس بثياب بيض وفي رأسه ضربات بينة دامية وعلى لحيته دم والناس يقولون هذا عمار بن ياسر وكاني سلمت عليه والناس يسألونه فيجيبهم فلحقتني حيرة ولم أدرِ عما اسأله فقلت ياسيدي لعلك عارف بأبي الفرج عبد لواحد ابن نصر المخزومي المعروف بالببغا قال انا عارف به قلت أتعرف ما به من الجهد والبلاء بالعلة الطويلة فقال نعم قلت أفيعيش ويبرأ أم لا فقال يعيش ويبرأ ولكن انت لك ابن الحذر عليه من علة تلحقه قريبًا واستيقظت قال وأخذ يهنيني بالعافية ويقول قد سرني لك ما جرى ولكن قد أوحشني في أمر ابني فاسأل الله الكفاية قال أبو الفرج وكان للرجل ابن عمره نحو الثلاثين سنة وهو في الحال معافى فلما مضت خمسة ايام من الرؤيا حم الفتى فقويت نفسي في صحة المنام وما مضت الا ايام يسيرة حتى مات الفتى وادبر مرضي ولم تزل العافية تتزايد الى ان قويت وعاودت الى عادتي بعد مدة قريبة ٭ وجدت في بعض الكتب انه لما اشتدت الحرب بين الاسكندر وبين دار ابن دارا استظهر دارا عليه فأشرف الاسكندر على الهلاك وآيس من النصر وحال المساء بينهما فانصرف الاسكندر الى معسكره قلقًا مغمومًا متحيرًا مهمومًا عامة ليلته ثم نام فرأى في منامه كانه صارع دارا فصرعه دارا فانتبه وقد زاد همه وغمه فقص رؤياه على بعض فلاسفته فقال ابشر أيها الملك بالغلبة والنصر وانك تملك على دارا الارض لانك كنت قلبها لما صرعك فلما كان بعد أيام يسيرة انهزم دارا وقتل وجاؤا برأسه الى الاسكندر وملك ممالكه ٭ قال مؤلف هذا الكتاب رحمه الله ومثل هذا مشهور في روايات أصحاب السير

والاخبار ان عبد الله بن الزبير رأى في منامه كانه صارع عبد الملك بن مروان فصرع عبد الملك وسمره في الارض بأربعة أوتاد فأرسل راكباً الى البصرة وأمره ان يلقي ابن سيرين ويقص الرؤيا عليه ولا يذكر له من أنفذه ولا يسمي عبد الملك فسار الراكب حتى أناخ بباب ابن سيرين فقص عليه المنام فقال له ابن سيرين من رأى هذا فقال أنا رأيته في رجل بيني وبينه عداوة فقال ليس هذه رؤياك هذه رؤيا ابن الزبير او عبد الملك بن مروان أحدهما في الآخر فسأله الجواب فقال ما أفسرها او تصدقني فلم يصدقه فامتنع من التفسير وانصرف الراكب الى ابن الزبير فأخبره بما جرى فقال له ارجع اليه فاصدقه اني رأيتها في عبد الملك فرجع الراكب الى ابن سيرين برسالة ابن الزبير فقال له قل له أيها الامير عبد الملك يغلبك على الارض ويلي هذا الامر من ولده لصلبه بعده أربعة بعدد الاوتاد التي سمرته بها في الارض * قال وحدثني أبو القاسم الحسين بن بشر الادمدي الكاتب المقيم بالبصرة الى ان مات بها قال لما سعى أبو احمد طلحة بن الحسين بن المتنبي مع جيش أبي القاسم بن ابي عبد الله اليزيدي في ان يقبضوا عليه ويحبسوه عند ابي احمد وان يرد المطيع لله او جيش له بالبصرة فيملكوها ويتسلموا منه ابا القاسم اليزيدي وكانت القصة مشهورة في ذلك فبلغتني فخلوت بابي احمد وكنت اكتب له حينئذ وكان لايحتشمني في اموره ونبهته على هذا الرأي وعرفته وجوه الغلط عليه والغلط في ذلك والمخاطرة والغدر بدمه ونعمته وهو غير قابل لمشورتي الى أن اكثرت عليه فقال لي اعلم اني رأيت رؤيا وانا بها واثق في تمام ما شرعت فيه من القبض على هذا الرجل فعجبت من نفسي في رجل يخالف الحزم الظاهر والرأي الواضح من اجل منام ثم قلت له ما الرؤيا قال رأيت كان حية عظيمة قد خرجت علي من حائط هذا العرض قال وكان جالساً في عرض ذكره قال وكاني قدرميتها فاثبتها في الحائط فذكرت تأويل ابن سيرين لمنام ابن الزبير وقص المنام الذي ذكرته قال فسبق الى قلبي تأويل منام ابي احمد انه قد أثبت عدوه في حائطه وانه سيغلبه على البلد فأمسكت وقطعت

الكلام فما مضت مدة يسيرة حتى شاع التدبير وصح الخبر عند القاسم اليزيدي فبادر بالقبض على فائق الاعسر وكان هو الذي ندبه ابو احمد للقبض على اليزيدي وان يكون أمير البلد الى ان يرد جيش الخليفة فقرره فأقر بالخبر على شرحه فقبض ابو القاسم على ابي احمد بعد قبضه على فائق بيومين او ثلاثة ايام فاستصفاه واهله وولده ثم قتله بعد ذلك بايام ٥ بلغني عن ابراهيم بن المهدى انه قال كنت في جفوة شديدة من اخي الرشيد أثرت في جاهي ونقصت حالى وافضيت معها الى الاضاقة بتأخر رزقي وظهور اطراحه اياي واختلت لذلك ضيعتي وركبني دين فادح فبلغ مني القلق بذلك والفكر فيه ليلة من الليالي مبلغاً شديداً ونمت فرأيت في منامي كاني واقف بين يدي المهدي وهو يسألني عن حالي وأنا اشكو اليه ما نكبني به الرشيد وانهيت حالى اليه واقول ادع عليه يا أمير المؤمنين فكانه يقول اللهم أصلح ابني هارون يكررها فكاني اقول له يا أمير المؤمنين اشكو اليك ظلم هارون لى واسألك ان تدعوعليه فتدعو له فقال لى وما عليك اذا اصلحه الله لك وللكافة ان يبقي على حالهوذا أمضي اليه الساعة وآمره ان يرجع لك ويقضي دينك ويولك جند دمشق فكاني أومي اليه بسبابتي واقول له دمشق دمشق استقلالالها فكانه يقول حركت مسبحتك استقلالاً لدمشق انها ريا وكيف قل حظك منها كان في العاقبة اجود لك فانتبهت واحضرت مؤدباً كان لي في أيام المهدي فسألته عن المسبحة فقال كان عبد الله بن العباس يسمى السبابة بالمسبحة فما سبب سؤالك أيها الامير عنها فقصصت عليه الرؤيا وامتنع النوم عني فأخذ يحدثني وأنا جالس في فراشي اذ جاءني رسول الرشيد فارتعت له ارتياعاً شديداً ولم أعبأ بالمنام وخفت ان يكون يريدني بسوء يوقعه بي فخفت وقلت أدافعه الى ان تطلع الشمس ثم أدخل عليه نهاراً فان كان أراد بي غيلة لم تتم فتقاطرت رسله حتى اعجلوني عن الرأي واضطروني الى الركوب في الحال فدخلت عليه وأنا شديد الجزع وهو جالس في فراشه ينتحب فلما رآني قال سألتك بالله يا أخي هل رأيت الليلة في منامك شيئاً قلت نعم الساعة رأيت المهدي

فلما قلت له ازداد بكاؤه ثم قال ويحك بالله شكوتني اليه وسألته ان يدعو علي قلت كان ذلك ولكنه قال كذا وكذا وشرحت عليه ما قال فقال والله الساعة جاءني في منامي فقص علي جميع ماذكرت وقد وفى بعهده والله لامتثلن أمره ولاصلن رحمي منك كم دينك قلت كذا وكذا فأمر بقضائه وقال لاتبرح حتى اصلي واعقد لك علي دمشق فانتظرت حتى وجبت الصلاة فاستدعاني فأظهر تكرمتي وعقد لي لواء على دمشق وأمر الناس فصاروا معي الى منزلي فعاد جاهي وصلحت حالي ٥ وقال حدثني أبو القاسم طلحة بن محمد الشاهد قال حدثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الخصبي قال حدثني أبو الفضل ميمون بن مهران قال حدثني موسى بن عبد الملك قال رأيت في منامي وانا في الحبس قائلاً يقول هذه الابيات

لازلت تعلو بك الجدود ... نعم وحفت بك السعود
ابشر فقد نلت ماتريد ... بيد اعدائك المبيد
لم يمهلوا ثم لم يقالوا ... والله يأتي بما يريد
فاصبر فصبر الفتى حميد ... واشكر ففي شكرك المزيد

فانتبهت وقد طفى السراج فطلبت شيئاً حتى كتبت الابيات على الحائط واصبحت وقد قويت نفسي واطلقت بعد مدة يسيرة ٥ وقال وذكر المدايني في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة والضيقة قال توبة العنبري اكرهني يوسف بن عمر على العمل فلما رجعت حبسني حتى لم يبق في رأسي شعرة سوداء فأتاني آت في منامي وعليه ثياب بيض فقال ياتوبة أطالوا حبسك فقلت أجل فقال سل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ثلاثاً ناستيقظت فكتبتها ثم توضأت وصليت ماشاء الله ثم جعلت ادعو حتى وجبت الصلاة للصبح فصليتها فجاء حرسي فقال اين توبة العنبري ثم حملني في قيودي وأنا اتكلم بهن فلما رآني يوسف بن عمر أمر باطلاقي قال توبة العنبري وكنت علمتها وأنا في السجن رجلاً فقال لي لم ادع الى عذاب قط فقلتهن الاخلي عني فجيء بي يوماً الى العذاب فجعلت أتذكرها

ولا أذكرها حتى جلدت مائة سوط ثم ذكرتهن بعد ذلك فدعوت بهن فخلى سبيلي ٭ وروي المدايني أيضاً في كتابه عن أبي المثني علي بن القاسم قال حدثني رجل قال رأيت في أيام الطاعون في المنام انهم أخرجوا من داري اثنتى عشرة جنازة وأنا وعيالي اثنا عشر نفساً فمات عيالي وبقيت وحدي فاغتممت فضاقت علي الارض فخرجت من الدار ثم رجعت من الغد فاذا لص قددخل ليسرق فطعن في الدار فخرجت جنازته منها فسرى عني ما كنت فيه ووهب الله عز وجل السلامة ٭ وذكر القاضي ابو الحسن في كتابه كتاب الفرج بعد الشدة ان وهب بن منبه قال أملقت حتى قنطت او كدت فاتاني آت في منامي ومعه شبيه بالفستقة فدفعها الى وقال افضض ففضضتها فاذا فيها حرير فقال انشرها فنشرتها فاذا هي ثلاثة اسطر ببياض الاول لا ينبغي لمن عرف من الله عدله الثاني او عقل عن الله أمره الثالث ان يستبطئ الله في رزقه قال فاعطاني الله عز وجل بعدها فاكثر ٭ وذكر عن الواقدي انه قال ضقت ضيقة شديدة وهجم شهر رمضان وانا بغير نفقة فضاق ذرعي لذلك فكتبت الى صديق لى علوي اسأله ان يقرضني الف درهم فبعث الي بها في كيس مختوم فتركتها عندي فلما كان عشي ذلك اليوم وردت على رقعة صديق لي يسألني اسعافه لنفقة شهر رمضان بالف درهم فوجهت بالكيس اليه بخاتمه فلما كان من الغد جاءني صديقى الذي اقترض مني والعلوي الذي اقترضت منه فسألني العلوي عن خبر الدراهم فقلت صرفتها في المهم فاخرج الكيس بختمه وضحك وقال اعلم انه قرب هذا الشهر وما عندي الا هذه الدريهمات فلما كتبت الي وجهت بها اليك وكتبت الى صديقنا هذا أقترض منه الف درهم فوجه الي الكيس فسألته عن القصة فشرحها لي وقد جئتك لنقسمها والي ان تنفقها يأتي الله عز وجل بالفرج قال الواقدي فقلت لهما لست ادري اينا اكرم واقتسمناها ودخل شهر رمضان فانفقت اكثر ما حصل لي منها وضاق صدري فجعلت افكر في امري فبينما انا كذلك اذ بعث الي يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يومي فقال لي يا واقدي رأيتك البارحة

فيما بري النائم وأنت على حال دلتني انك في غم شديد وأذى فاشرح لي أمرك فشرحت له الي ان بلغت الى حديث العلوى وصديقي والالف درهم فقال والله لا ادري ايكم اكرم وأمر لي بثلاثين الف درهم ولهما بمثلها وقلدني القضاء

﴿ انتهى الجزء الاول من كتاب الفرج بعد الشدة ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني اوله الباب السابع ﴾

DATE DUE

...U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00512592